

الدليل الببليوجرافى

لمقالات

الأستاذ الدكتور " عبدالمنعم سعيد "

مدير مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية

بمؤسسة الأهرام

في الفترة

من ٧ يوليو ٢٠٠١ الى ٣١ ديسمبر ٢٠٠١

رقم الملف الكودى

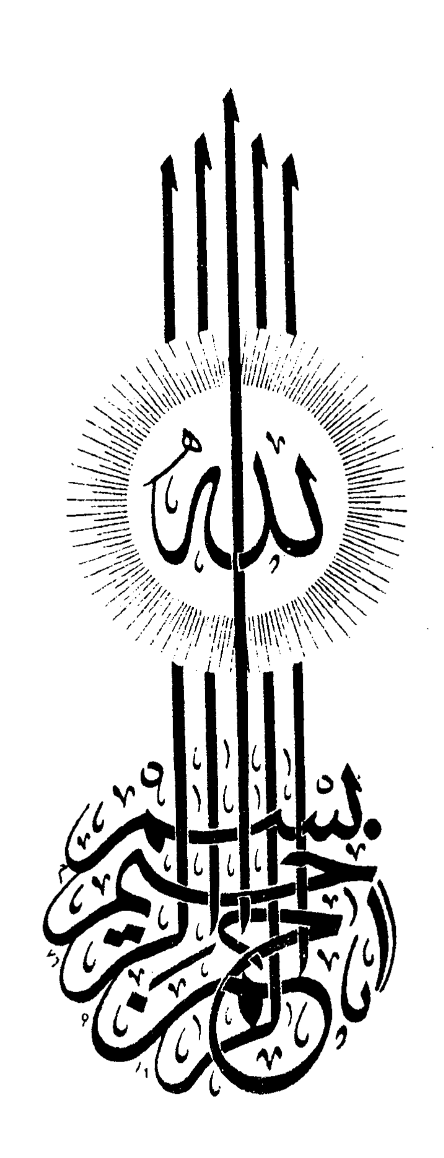
(١٢)

الجزء الثامن

تاريخ الإصدار : نوفمبر ٢٠٠٢

مركز الاهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - الرقم البريدى ١١٥١١ تليفون : ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠ - ٥٧٨٦٣٠٠ - ٥٧٨٦٤٠٠ - تلكس ٩٢٠٠٢ فاكس : ٥٧٨٦٤٤٣


الله
بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم : فكر وفلسفة المركز للملفات الوثائقية

لقد بدأ مركز الأهرام فى تقديم شكل جديد من خدمات المعلومات الا و هى الملفات الوثائقية وذلك من خلال مايملكه من تراث معرفى متراكم لأكثر من مائة وخمسة وعشرون عاما ، يشمل أصدارت الأهرام اليومية ودورياته المتعددة ، والتى تغطى قطاعات وأنشطة مختلفة ومتنوعة ، وذلك بهدف تقديم خدمة معلوماتية ووثائقية متكاملة بإعتبار ذلك ذاكرة التاريخ ومرأه الحاضر وأستشراق المستقبل .

وقد بدأ مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات أصدار تلك الملفات منذ بداية عام ١٩٨٦ فى شكل أتجاهين :

الأول أصدارات الملفات الشخصية والموضوعية للأحداث التاريخية .

والثانى أصدارات الملفات للأحداث الجارية على الساحة الوطنية والعربية والدولية .

وذلك بهدف جمع التراث ورصد الحداثة فى نفس الوقت لتقديمه إلى الباحثين والمتخصصين والدارسين آملين أن يجدو فيه منافع تساندهم فى إعداد الدراسات والأبحاث والتقارير لخدمة المجتمع ، ومراكز اتخاذ القرار فى الدولة ، علاوه على مساندتها للباحثين فى القضايا الاقليمية والعربية والدولية .

واخذت الفكرة خلال السنوات الماضية مراحل التطوير والتحديث وفقا للاتجاهات الفكرية الحديثة وباستثمار تكنولوجيا المعلومات حيث تم التزود بمصادر معلومات متنوعة خارج دائرة اصدارات الأهرام ، لدعم ومسانده الخدمة سواء كانت مصادر معرفيه عربية أو دولية حتى تتسع رؤية المساحة المعرفية فى مكونات ومصادر الملفات الوثائقية ، علاوة على استخدام تقنيات متطورة فى معالجة مواد المعلومات ، مما أضاف تنوع كمى ونوعى يضمن التعرف على الاراء والافكار من كل الاتجاهات ، حتى لايكون الباحث أسير فكرة أورأى محدد ، كما شمل التطوير ايضا منهجية ترتيب وتصنيف مواد المعلومات من خلال الضبط الببليوجرافى لإعداد فهرس مصنف يقود الباحث إلى مواد المعلومات بطريقة أنضباطية ومقننة من خلال تحديد للواصفات ، أو الكلمات الدالة للمحتوى المعرفى ، إضافة إلى التحول من الوعاء الورقى الحامل لمواد المعلومات إلى الوعاء الميكروفيلمى ، وأخيرا الوعاء الالكترونى الممثل فى الأقراص المدمجة C . D مع إعداد قاعدة بيانات ببليوجرافية فى نفس الوقت .

وهكذا - بحمد الله وتوفيقه - تم إعداد وتجهيز مايزيد على ٢٠٠ ملف وثائقى تغطى موضوعات وشخصيات واحداث متعددة ومتنوعة ، ويجرى فى نفس الوقت إعداد ملفات اخرى للاحداث التاريخية والجارية ، وذلك فى ضوء خطة العمل التى تفى بحاجات مجتمع المستفيدين فى مصر والوطن العربى .

والله ولى التوفيق &

مدير مركز الأهرام
للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

مهندس . نبيل الورداني

مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - الرقم البريدي ١١٥١١ تليفون : ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠ - ٥٧٨٦٣٠٠ - ٥٧٨٦٤٠٠ - تلكس ٩٣٠٠٢ فاكس : ٥٧٨٦٤٤٣



المدخل الموضوعى

م	الموضوع	المصدر	التاريخ	من	الى
١	**أحداث ١١ سبتمبر (الهجوم على أمريكا)**				
	* تعريف الأزمة ... !	الأهرام	١ أكتوبر ٢٠٠١	٧٦	٧٧
	– حول تفسير أزمة ١١ سبتمبر ووجهت النظر فى الدوافع التى دفعت لارتكابها				
	– حقيقة العلاقات العربية الاسلامية – الأمريكية				
	* مصالح مصر ... !	الأهرام	٨ أكتوبر ٢٠٠١	٧٨	٧٩
	– حول مدى تأثير المصالح المصرية بأحداث ١١ سبتمبر وتهديد العلاقات المصرية الأمريكية ودور اسرائيل فى تطوير هذه العلاقات للأسوأ				
	* فى شأن الذى جرى بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ؟ !	الأهرام الاقتصادى	٨ أكتوبر ٢٠٠١	٨٠	٨٣
	– اعلان الرئيس جورج بوش أنه سوف يشن حربا صليبية ضد الارهاب وعداء أمريكا للمسلمين والعرب				
	* أولى أزمات القرن الواحد والعشرين !!	الأهرام العربى	١٣ أكتوبر ٢٠٠١	٨٤	٨٥
	– حول ما حدث من أحداث تهدد المصالح العظمى وطلب تسليم الارهابيين من كابول				
	* حديث الأزمة لايزال مستمرا !	الأهرام	١٥ أكتوبر ٢٠٠١	٩٠	٩١
	– حول تأييد مصر الإجراءات الأمريكية ضد الارهاب الدولى وعرض الدول الأوروبية للولايات المتحدة أن تشاركها الحرب ضد الارهاب				
	* فقه وفقهاء الأزمة العالمية الراهنة ... !	الأهرام الاقتصادى	٢٢ أكتوبر ٢٠٠١	٩٦	٩٩
	– حول تفسير الأزمة على أنها حرب بين الأسلام والمسيحية				
	– تفسير موقف المسلمين الأمريكيين من الأزمة الراهنة				
	– موقف العسكريين المسلمين فى الجيش الامريكى				

م	الموضوع	المصدر	التاريخ	من	الى
	أحداث ١١ سبتمبر (الهجوم على أمريكا) (تابع)				
	* مصر وأزمة ١١ سبتمبر ٢٠٠١	الأهرام	١٩ نوفمبر ٢٠٠١	١٢٦	–
	– حول مدى تأثر مصر بأحداث ١١ سبتمبر على الاقتصاد والضغط على الموازنة العامة والركود الاقتصادى				
	* نكسة كبيرة للحضارة الانسانية	الأهرام الاقتصادى	٣ ديسمبر ٢٠٠١	١٣٢	١٣٥
	– حول مدى تأثير أحداث سبتمبر على الحضارة الانسانية وتفجيرها طاقات هائلة للخوف وانعدام الامان				
٢	**أحداث عالمية**				
	* عشر تأملات فى أحداث عالم اليوم	الأهرام الاقتصادى	٥ نوفمبر ٢٠٠١	١٠٨	١١١
	– حول ما يحدث فى العالم من أحداث وتغييرات بعد أحداث سبتمبر				
	* عصر ما بعد كوبرنيكس ... !	الأهرام	١٧ ديسمبر ٢٠٠١	١٤٤	١٤٥
	– حول الثورة التى حدثت بعد كوبرنيكس وما يحدث من تغيرات وأحداث عالمية				
٣	**الارهاب**				
	* تعريف الارهاب ... !	الأهرام العربى	٢٠ أكتوبر ٢٠٠١	٩٢	–
	– حول وضع تعريف شامل وكامل ومانع للأرهاب				
	– الحالات التى يجرم فيها الارهاب				
	* الارهاب فى عيون مصرية !	الأهرام العربى	١٠ نوفمبر ٢٠٠١	١١٦	١١٧
	– حول المصريين بالخارج ومشاهدتهم ما يحدث للمسلمين والعرب من اضطهاد وقلقهم بعد العمليات الارهابية فى أمريكا				

م	الموضوع	المصدر	التاريخ	من	الى
٤	**التحالفات الدولية**				
	* حكاية ركوب القطارات وأشياء أخرى مهمة !	الأهرام العربى	١٧ نوفمبر ٢٠٠١	١٢٤	١٢٥
	- وظهور بعض المصطلحات مثل ركوب القطار التحالف الدولى ضد الارهاب ولماذا يشبه بالقطار ؟				
٥	**التفكير الرأسمالى**				
	* التفكير رأسماليا ... !	الأهرام	١٢ أغسطس ٢٠٠١	٣٤	-
	- حول ضرورة تغيير التفكير من أن الغنى أفضل كثير من الفقر والغنى والقوة هما اللذان يراكمان الثروة وتطبيق ذلك على الحالة الصينية وأوروبا . وضرورة مواكبة عصر الانفتاح الاقتصادى				
	* مره أخرى التفكير رأسماليا ... !	الأهرام	١٣ أغسطس ٢٠٠١	٣٥	٣٦
	- حول اتخاذ الحكومة المصرية قرارات فيما يخص سعر العملة وأسعار الصرف لتسريع عملية التنمية حتى تواكب عملية الاصلاح الاقتصادى وتتمشى معها				
٦	**حركات السلام**				
	* مره أخيرة . السلام فى زمن الحرب	الأهرام الاقتصادى	٢ أغسطس ٢٠٠١	٢٤	٢٧
	- حول النهضة فى حركات السلام الاسرائيلية والعربية بعد تراجع وكمون خلال الفترة الماضية				
	* السلام فى زمن الحرب !	الأهرام الاقتصادى	١٢ أغسطس ٢٠٠١	٣٧	٤٠
	- حول عودة حركات السلام للشرق الأوسط لموقفها المتشدد لتطوير التعاون الاسرائيلى الفلسطينى والحوار والسلام بين الشعوب				

م	الموضوع	المصدر	التاريخ	من	الى
٧	**حركة طالبان**				
	* أسامه بن لادن وطالبان وآخرون – وما يحدث من أحداث مثل أزمة تماثيل بوذا فى باميان وأحداث سبتمبر وما يحدث فى أفغانستان	الأهرام العربى	٢٤ نوفمبر ٢٠٠١	١٢٧	–
	* تأملات فى نهاية حركة طالبان وما يحدث لها من دمار ومنهجها فى الحرب ومعتقداتها تجاه الغرب	الأهرام الاقتصادى	٣١ ديسمبر ٢٠٠١	١٥٤	١٥٦
٨	**الحكومة المصرية**				
	* السعادة الدائمة ... !! – حول ضرورة وجود حكومة للسعادة الدائمة يمكنها حل المشكلات بإجراءات بسيطة والقضاء على مشاكل (البطاله – العرض والطلب – التعليم والاعلام)	الأهرام العربى	٨ سبتمبر ٢٠٠١	٥٣	٥٤
٩	**الشرق أوسطيه**				
	* حول بداية تنفيذ فكرة الشرق أوسطيه في منطقة البلقان المستعمرة بالصراعات ! – المجالات التى دار حولها مشروع الشراكة المتوسطيه وكيف نجح فى البلقان ولم ينجح فى الشرق الأوسط	الأهرام الاقتصادى	١٦ يوليو ٢٠٠١	٩	١٢
	* مره أخرى : الشرق أوسطيه فى البلقان ! – الفرق بين الشرق أوسطيه فى الشرق الأوسط والشرق أوسطيه فى البلقان – الجداول التى يقوم عليها ميثاق الاستقرار فى جنوب شرق أوروبا	الأهرام الاقتصادى	٢٢ يوليو ٢٠٠١	١٣	١٦

م	الموضوع	المصدر	التاريخ	من	الى
١٠	**الصحافة**				
	* أيام عصيبه قادمة !	الأهرام	٢٤ سبتمبر ٢٠٠١	٦٥	٦٦
	- حول ماتنشره الصحف المصرية من عناوين مثيرة كمثل اتجاهات محددة لدى الرأى العام المصرى				
١١	**صراع الحضارات**				
	* نظرية صراع الحضارات والواقع	الأهرام	٢٤ ديسمبر ٢٠٠١	١٥٢	١٥٣
	- حول متناقضات صراع الحضارات ومافعله حضارة الغرب فى افغانستان فى حضارة الاسلام من قتل وتمثيل بالجثث وعدم مراعاة حرمة الحضارة				
١٢	**العولمه**				
	* هوامش على دفتر (ضد العولمه)	الأهرام الاقتصادى	٦ أغسطس ٢٠٠١	٢٨	٣١
	- حول سعى بعض الدول والكتاب الى عملية تقويض العولمه وظهور حركات (ضد العولمه) لمهاجمتها				
	* أعراض صينية .. !!	الأهرام	١٢ نوفمبر ٢٠٠١	١١٨	١١٩
	- حول تأثر النظام العالمى بالاعراض الصينية اقتصاديا وماليا ووقوف العالم كله بجانب الولايات المتحده للخروج من أزمتها				
	* تأملات أخرى فى احداث عالم اليوم ... !	الأهرام الاقتصادى	١٢ نوفمبر ٢٠٠١	١٢٠	١٢٣
	- حول قضية العولمه وانشغال العالم كله وتأثيرها على الاقتصاد والثقافه				
	* انتصار (العولمه) على (ضد العولمه) .. !	الأهرام الاقتصادى	٢٦ نوفمبر ٢٠٠١	١٢٨	١٣١
	- حول انهيار طالبان وانتصار الولايات المتحده بمعنى انتصار العولمه وتفسير هذه التفجيرات على أنها ثورة على النظام العالمى				

م	الموضوع	المصدر	التاريخ	من	الى
١٣	**فنون**				
	* أيام السادات ، أيام نيكسون	الأهرام العربى	٢٨ يوليو ٢٠٠١	١٨	١٩
	- حول المقارنة بين فيلم أيام السادات ومالاقاه من نجاح لتجسيد الشخصية والأحداث وأعمال السادات ورحلته مع الكفاح وبين فيلم نيكسون وأعماله				
	* أنغام صيفية .. !	الأهرام العربى	١ سبتمبر ٢٠٠١	٥١	٥٢
	- تعليق على ظهور طائفة من الشرائط وما يسمى بالأغنية الشبابية				
١٤	**القطاع الخاص**				
	* عن الرأسمالية والقطاع الخاص	الأهرام	٢٣ يوليو ٢٠٠١	١٧	-
	- حول الهجوم على القطاع الخاص وعمليات الاقتراض للقطاعين الخاص والعام من البنوك والهروب الى الخارج				
	- دور القطاع الخاص فى عمليات الاصلاح السياسى والاقتصادى				
١٥	**القضية الفلسطينية**				
	* القضية الفلسطينية فى زمن الحرب الافغانية	الأهرام الاقتصادى	٩ نوفمبر ٢٠٠١	١١٢	١١٥
	- هل يمكن حل القضية الفلسطينية والتوصل الى تسوية للصراع العربى الاسرائيلى فى الوقت الذى انشغل فيه العالم بالحرب الافغانية				
١٦	**مشروعات تجميلية**				
	* التعاسة فى بحر السعادة .. !!	الأهرام العربى	١ أغسطس ٢٠٠١	٣٢	٣٣
	- حول النهضة التى وجدت بالاسكندرية والمشروعات التعميرية والتجميلية على جانبى الطريق والسعادة على وجوه البشر وظهور بعض العبث والتشويه فى بعض الفئات				

م	الموضوع	المصدر	التاريخ	من	الى
١٧	**ندوات**				
	* من مصر الى ايران وبالعكس ... !	الأهرام الاقتصادى	٣٠ يوليو ٢٠٠١	٢٠	٢٣
	- ندوة حول العلاقات المصرية الايرانية فى مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام				
	* التفكير رأسماليا : حالة السينما	الأهرام	٢٠ أغسطس ٢٠٠١	٤١	٤٢
	- ندوة بمركز الدراسات السياسية لمناقشة أزمة السينما فى مصر لأنها أداه من أدوات السياسة الخارجية لمصر فى تشكيل الفكر والثقافة . أسباب أنهيار السينما				



المدخل الشخصى

مركز الاهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - الرقم البريدى ١١٥١١ تليفون : ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠ - ٥٧٨٦٣٠٠ - ٥٧٨٦٤٠٠ - تلكس ٩٣٠٠٢ فاكس : ٥٧٨٦٤٤٣

م	الشخصيات	المصدر	التاريخ	من	الى
١	**بن لادن** * حكاية شريط بن لادن .. ! (تعليق) - حول اذاعة الولايات المتحده شريط تلفزيوني عن لقاء اسامه بن لادن يحكى لضيوفه كيف تمت عمليات التفجير في الولايات المتحدة باعتبارها نوعا من الجهاد الاسلامى زعيم خلية القاعدة بأفغانستان	الأهرام	٢٢ ديسمبر ٢٠٠١	١٤٦	١٤٧
٢	**حسين احمد امين** * عودة الى دليل المسلم الحزين - حول كتاب السفير حسين احمد امين (دليل المسلم الحزين) الى مقتضى السلوك فى القرن العشرين) يتعرض فى الكتاب لجوانب مختلفة للتخلف فى العالم الاسلامى سفير	الأهرام العربى	٣ نوفمبر ٢٠٠١	١٠٦	١٠٧
٣	**سعاد حسنى** * بين يدى سندريلا - حول تاريخ سعاد حسنى الفنى والشخصى وتدرجها ورسالتها فى الفن وتكريمها وسر وفاتها فنانه مصرية	الأهرام العربى	٧ يوليو ٢٠٠١	١	٢
٤	**فهمى هويدى** * فى واجبات استنكار الاستنكار ! - تعليق على مقال الاستاذ فهمى هويدى بعنوان (لزوم استنكار الاستنكار) الذى نشره تعليقا على مقال دكتور عبدالمنعم سعيد بعنوان (استنكار الاستنكار) وشجب الشجب حول الصراع الاسرائيلى	الأهرام	١٨ سبتمبر ٢٠٠١	٦٣	-

م	الشخصيات	المصدر	التاريخ	من	الى
٥	**محسن العينى**				
	* خمسون عاما فى الرمال المتحركة	الأهرام العربى	٦ ديسمبر ٢٠٠١	١٣٦	١٣٧
	– حول اختياره هذا العنوان لمذكراته الذى تحكى العلاقات العربية – العربية ومبادىء الفكر الثورى القومى العربى رئيس وزراء اليمن الأسبق				
٦	**محمد حسنين هيكل**				
	* محاولة أخرى لإعادة اكتشاف أمريكا : الجغرافيا والتاريخ (١)	الأهرام الاقتصادى	٢٧ أغسطس ٢٠٠١	٤٣	٤٦
	– حول تاريخ الأمريكيين وأهميته لمصر والمنطقة العربية وغنى مواردها وكبر جغرافيتها				
	* محاولة أخرى لاكتشاف أمريكا : العنف والعبوديه (٢)	الأهرام الاقتصادى	١ سبتمبر ٢٠٠١	٤٧	٥٠
	– حول من اين جاءت أمريكا بالثروة وتاريخها فى استعباد الشعوب وأخذ ثرواتها من أرض الهنود الحمر ومن جهد العبيد				
	* محاولة اخرى لإعادة اكتشاف أمريكا : انها المصالح حقا (٣)	الأهرام الاقتصادى	١٧ سبتمبر ٢٠٠١	٥٥	٥٧
	– تفسير أسباب دخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية والثالثة للحفاظ على مصالحها المهددة ودورها فى حرب الخليج				
	* أمريكا تعيد اكتشاف نفسها	الأهرام الاقتصادى	٢٤ سبتمبر ٢٠٠١	٦٧	٧٠
	– بعد الحادث الارهابى الذى دمر مبنى مركز التجاره العالمى ومبنى البنتاجون أمريكا تحتاج لاعادة اكتشاف نفسها وطاقاتها				



مدخل الدول

مركز الاهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - الرقم البريدى ١١٥١١ تليفون : ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠ - ٥٧٨٦٣٠٠ - ٥٧٨٦٤٠٠ - تلكس ٩٣٠٠٢ فاكس : ٥٧٨٦٤٤٣

م	دول	المصدر	التاريخ	من	الى
١	**اسرائيل**				
	* اسرائيل ليست تشيكوسلوفاكيا .. !	الأهرام الاقتصادى	١٥ أكتوبر ٢٠٠١	٨٦	٨٩
	- حول انزعاج الاسرائيليين من تشبيههم بالنازيه وسياساتها وتدخلها فى الشرق الأوسط				
٢	**أمريكا**				
	* د / عبدالمنعم سعيد فى حوار مع نصف الدنيا يروى رأيه فى أحداث سبتمبر ويرى انها عملية عبقرية شديدة البساطة وينصح أمريكا بالبحث عن الجانى الحقيقى	نصف الدنيا	٣٠ سبتمبر ٢٠٠١	٧١	٧٥
	* العرب والمسلمون فى الميزان العالمى	الأهرام	٢٢ أكتوبر ٢٠٠١	٩٣	٩٥
	- حول سؤال أمريكا لنفسها لماذا يكره المسلمون أمريكا ؟ بالرغم من وقوف العالم معها فى الحرب ضد الارهاب واستنكارهم لما حدث				
	- تاريخ توتر العلاقات بين العالم الاسلامى والغرب				
٣	**تركيا**				
	* ليالى استنبول ... !	الأهرام العربى	١٤ يوليو ٢٠٠١	٧	٨
	- حول الحياة فى استنبول وعلاقتها بدول الغرب والشرق والشرق الأوسط				
٤	**الشرق الأوسط**				
	* هل يمكن التنبؤ بمستقبل الشرق الأوسط ؟	الأهرام الاقتصادى	٢٩ أكتوبر ٢٠٠١	١٠٢	١٠٥
	- حول تأثير الصراع العربى الاسرائيلى على مستقبله				
	- العوامل التى تؤثر على مستقبل الشرق الأوسط				



مدخل المنظمات

مركز الاهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - الرقم البريدي ١١٥١١ تليفون : ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠ - ٥٧٨٦٣٠٠ - ٥٧٨٦٤٠٠ - تلكس ٩٣٠٠٢ فاكس : ٥٧٨٦٤٤٣

م	منظمات	المصدر	التاريخ	من	الى
١	**الإتحاد الأوروبى**				
	* التحديات التى لاينتبه لها أحد : توسيع الاتحـــــاد الأوروبى ومايترتب عليها من انصــــراف نظـــر وقلة اهتمام أوروبا بالمشكلات العربية	الأهرام الاقتصادى	١٧ ديسمبر ٢٠٠١	١٤٠	١٤٣
	* مواجهة الخطر القادم من أوروبا – حول خطر توسيع الاتحاد الاوروبى وتعليق على ذلك من مميزات وعيوب	الأهرام الاقتصادى	٢٤ ديسمبر ٢٠٠١	١٤٨	١٥١
٢	**مراكز البحوث**				
	* دور مراكز البحوث فى المشاركة بين الحكومات والعمل الأهلى – المجالات التى يمكنها تحســـين العلاقـــات بيـــن الأطراف الثلاثه والتطور والنمو	الأهرام الاقتصادى	٩ يوليو ٢٠٠١	٣	٦



المصدر: الاهرام العربي

مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

التاريخ : ٧ يوليو ٢٠٠١

بين يدى سندريلا...!!

يجب أن أعترف بأننى أشعر بعتب شديد تجاه الراحلة سعاد حسنى، فقد اكتشفت أن شخصى ربما كان الوحيد فى مصر، الذى لم تقم بالاتصال به، أو تلتقى به بطريقة ما، أو حتى ترسل له رسالة مباشرة أو عبر وسيط. ففى وقت كتابة هذا المقال، أى بعد أسبوع من الوفاة، كان كم هائل من المقالات والتحقيقات قد تم نشره عن الفقيدة فى كل الصحف والمجلات بغير استثناء، مشفوعة بالصور والذكريات، وتحليلات الأفلام، والذكريات التى جمعت سندريلا الشاشة العربية كما وصفت مع كاتب أو كاتبة الموضوع. ولا أظن أن الأمر سوف يتغير كثيرا عند نشر المقال، فسوف يكون قد مر أسبوع آخر بعد عودة جثمان الفنانة الكبيرة ودفنه، ولا جدال أن حجم الكتابة والنشر والبرامج الإذاعية والتليفزيونية سوف يكون أكبر مما سبق، يتضمن أيضا تلك الصلات العميقة والذكريات والرسائل التى خلقت رابطة بين سعاد ومئات من البشر.

لماذا تم استبعادى من هذه الصلة الحميمة مسألة محل نظر، ولا يمكن القول إن ذلك يعود إلى أننى لم أحاول أبدا الاتصال بها، فمن كل الروايات التى سمعتها، والأرجح أننى سوف أسمعها، لم يكن من هم مثلى، أو من أبناء جيلنا الذى يضم سعاد حسنى شخصيا، هم الذين يبادرون بالطلب، وإنما كانت هى شخصيا التى تقوم بذلك، ولساعات طويلة حسب الروايات الكثيرة التى سمعناها وقرأناها، وبعضها كان يأتى فى أول الليل وبعضها كان يأتى فى منتصفه. ولا يمكن أيضا الاحتجاج بأنها لم تكن تحب الكتاب السياسيين، خاصة هؤلاء الذين يعانون أمراضاً أكاديمية واضحة، ومع ذلك فإن القصص التى ذاعت أكدت على أنها لم تكن تفرق بين الكتاب، وبعضهم لا تقل كتاباته سخافة عن أى كاتب أكاديمى. وعلى أى الأحوال ربما لا يكون هذا السؤال المطروح هو السؤال الأهم، فالأهم منه هو إذا كانت سعاد حسنى تعرف كل هؤلاء وتتصل بهم غداة الليل وأطراف النهار فلماذا ماتت من الاكتئاب؟!

السؤال ضرورى، وهو لا يرمى إلى اتهام أحد بالمسئولية عن قتلها، أو انتحارها، أو ببساطة رحيلها دون معرفة الذى حدث لها، فعلى الأرجح أن كل هذه الاتصالات لم تحدث، أو حدث التليل منها للغاية، وفى الأغلب أنها ذهبت فى وحشة وغربة ووحدة كبيرة، وأن لحظة الذهاب كانت لحظة انفصال كامل عن العالم الذى عرفته ولم تعد تعرف كيف تتصل به. وبالطبع فإن هناك احتمالا آخر، وهو أنها كانت تعرف ما سوف تفعل، فكما قيل إنها قبل الذهاب أرسلت حقائبها إلى القاهرة، والأكثر من ذلك أنها خلعت حليها الذهبية ووضعتها على المائدة، وهى حالة وعى كاملة بالحدث القادم ونتائجه. وفى هذه الحالة فإن سعاد حسنى تريد أن ترسل لنا رسالة، ربما سوف نحتاج إلى وقت طويل حتى نفك ونفهم مضمونها ودلالاتها، فقد كانت حياتها كلها رسالة ما، خلبت بها لب جيل بأكمله كممثلة وحبيبة وحالة راح الكل يقارنها بكل من حوله.

ومن المؤكد أن ذلك لم يكن هو ما شعرت به إزاء الفنانة الراحلة منذ بدأت التمثيل، فبشكل ما فإن الخيال المراهق كان قد انقسم بينها وبين نادية لطفى، ولكن سعاد حسنى فازت فى السباق لأنها كانت فى النهاية مصرية

وخمرية «ودمها زى الشربات»، وهو نموذج نقى يحن له المصريون حتى ولو خلبت لبهم الشقراوات أحيانا. ومن المدهش أن أول من قدم التأصيل - فيما أعلم - لظاهرة سعاد حسنى فقد كان الأستاذ الدكتور عبد الوهاب المسيرى الذى كتب مقالا رائعا نشره فى الأهرام عن فيلم «خلى بالك من زوزو» الذى كسر الدنيا وقتها، ولفت النظر ساعتها إلى كلمة «صح» التى قالتها زوزو بعد أول قبلة لها فى الفيلم، ورأى فى ذلك ثورة كبرى فى التفكير والإحساس المصرى الذى كان يجعل من هذه المشاهد مدعاة للخجل والكسوف وربما الإحساس بالعار، وأعتبر ذلك علامة صحة ونضج ودخول إلى عصر جديد للفتاة المصرية. هذا الكلام بدا معقولا أيامها مهما كان الموقف من الفيلم ذاته أو حتى مهما تغير موقف الدكتور المسيرى إزاء مثل هذه القضايا، فقد كانت اللحظة هى التى أفرزتها مجانية التعليم ودفعت بأعداد هائلة إلى صفوف الجامعات المختلطة بالشباب والشابات الذين كان عليهم التعبير بعاطفة متدفقة وصريحة عن وطن يتطلع للانطلاقة الكبرى التى سيكون فيها تماثيل رخام على الترعة وأوبرا كما كان يغنى عبد الحليم «حافظ».

وربما كان هذا التأصيل صحيحا وقتها، ولكنه لم يكن صحيحا مع كل الأوقات، فقد انتهى جيل سعاد حسنى نهاية عجيبة مع الثمانينيات عندما انتهى الفن الصريح والواضح وعاد للف والدوران وإخفاء العلاقات فى تلافيف الخجل والعار والإثم والمعصية، ومع التسعينيات كان فن السينما قد انتهى تقريبا. والحقيقة أن موتها بعد ذلك كان مماثلا لموت كل من ماتوا من البارزين فى جيلها إما بحوادث السيارات، أو بالأزمة القلبية، أو الانتحار مباشرة إذا عزت الخيارات الأولى. وزاد على سندريلا التى شاهدتها لمرة واحدة مندهشا من حجمها الدقيق على أعتاب جمعية الفيلم عام 1975 قبل إعطائها جائزة فيلم «أين عقلى» أنها كانت تتمتع بقدر هائل من رهافة الحس وحساسية الأعصاب، التى جعلتها تستقبل رسائل المعجبين المعلنة وغير المعلنة على مدى ثلاثة عقود، ومن بعدها لم تكن هناك رسائل ولا رسالات، وإنما الإهمال والقطيعة، وانتهاء عصر الصراحة، فلم يبق فى الدنيا متسع للبقاء.

فقد كانت سندريلا فى الأسطورة الأصلية خارجة من أصولها الفقيرة، لكى ترقص مع الأمير ثم بعد ذلك تترك له حذاءها عندما ينتصف الليل وتجرى، فيأخذ الحذاء ويبحث عنها حتى يجدها. ومع سعاد حسنى فقد كان هناك فارق مهم حين خرجت بالفعل من أصول فقيرة، ولكنها بعد ذلك أعطت كل من شاهدها على الشاشة الشعور بالرقص معها، وقطعة من نفسها. وليس حذاءها - لكى يبحث عنها طول العمر. وعلى عكس الأسطورة أيضا فإنه لم يكن لكل أمراء الجيل أن يجدوها أو يعثروا عليها، ولم يكن أمامهم إلا أن يفتقدوها، ويفتقدوا العصر والزمن الذى تمثله، والذى تم اغتياله واغتيابه، ولم يبق منه سوى الذكرى. ولذلك كان العتب من غياب الاتصال رغم كثرته مع كل من كتب وسطر، ولكنه عتاب يأتى بعد وقته، فقد هوى الجسد على الأرض، وصعدت الروح إلى السماء، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

البريد الإلكترونى: amseed@ahram.org.eg



المصدر: الاهـرام الاقـتـصادي

مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات التاريخ : ٩ يوليو ٢٠٠١

دور مراكز البحوث فى المشاركة بين الحكومـات والعمـل الأهـلى

التنمية

المصرية والعربية لن تحدث بالمعدلات والنوعية المرغوب فيها فى ظل العالم المعاصر مالم تتم المشاركة بين الحكومات والقطاع الخاص والمجتمع المدنى بمساهمة واضحة من مراكز البحوث ومعاهد التفكير والدراسة، او هكذا تقول لنا التجربة العالمية في العالم المعاصر. ولكن المشهد الراهن بين اطراف هذه المشاركة يشير الي ان العلاقات بينها تعاني من فقر الدم وتقطع الشرايين اللازمة للتفاعل الحقيقى بينها، والاخطر كم هائل من الشكوك والتوجسات وانعدام الثقة والإنكار احيانا من قبل كل طرف للاطراف الاخري. واذا كان مفهوما وجود ذلك فيما يتعلق بالعلاقة بين الحكومات والقطاع الخاص خاصة فى فترات التحول الاقتصادية والاجتماعية التي تؤثر بالضرورة في علاقات القوة فى المجتمع فإن ذلك ليس مفهوما فيما يخص العلاقات بين مراكز البحوث والمجتمع المدنى او الاهلى. فبينما لا ترى مراكز البحوث فى الجمعيات الاهلية الا مجموعة من الهواة الذين يعملون علي هامش النظام السياسي والاقتصادى والاجتماعى ومن ثم يركزون على دور الدولة والقطاع الخاص والاحزاب السياسية، فان الجمعيات الاهلية لا ترى في مراكز البحوث الا مجموعة من الجالسين في الابراج العاجية يراقبون حركة المجتمع من عل وربما يعرفون قشوره الخارجية ولكنهم عاجزون تماما عن الخوض في اعماقه واحشائه.

وربما يعود ذلك فى جزء منه الي انعدام المعرفة بالامكانيات المتاحة لكل منهما لدي الطرف الاخر، نتيجة الندرة في الدراسات المسحية التى توصف بشكل دقيق مجالات عمل كل منهما واسهام كل منهما فى العمل العام ، ونتيجة الاعداد المهنى والعملى المختلف في كل مجال. وفى الحقيقة فانه ربما كانت الحكومات هي الاسرع فى ادراك الفائدة في مراكز البحوث فى مجال السياسة الخارجية، والفائدة من الجمعيات الاهلية فيما يتعلق بالتخفيف من الاعباء الواقعة على الدولة، ولكنها ايضا لاتزال متخوفة منها نتيجة الطبيعة التعبوية للدولة وتخوفها من استقلال المؤسسات سواء الرسمية او الطوعية.

ولكن رغم ذلك كله فإن هناك عددا من العلامات الواعدة التى تبشر بمستقبل افضل للعلاقة بين الاطراف الثلاثة، فعدم وفاء كل منها بمهامه الاساسية تدفعه دفعا نحو التعاون مع الاطراف الاخرى. كذلك فان التحول نحو اقتصاد السوق والاقتراب من صيغ مختلفة للتحول

الديمقراطى تفتح مجالات متزايدة للتعاون والمشاركة ظهرت لها بعض البدايات المشجعة. فقد تبنت معاهد الخدمة الاجتماعية واقسام الاجتماع وكليات الاقتصاد والعلوم السياسية لمقررات دراسية تعنى بدراسة المجتمع المدنى بوجه عام والجمعيات الاهلية بوجه خاص. قامت لجنة متابعة التنظيمات الاهلية العربية بعدد من الدراسات الهامة حول تطور الجمعيات الاهلية وقيامها بعدد من المؤتمرات وورش العمل

التى تخلق نوعا من الشبكات بين الجمعيات الاهلية فضلا عن نقل الخبرة الاجنبية فى هذا المجال. وقام عدد من مراكز البحوث بالمتابعة المنتظمة لعمل التنظيمات الاهلية العربية، ومنها صدر عدد من الدراسات الهامة، حيث قام مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام على سبيل المثال بتغطية نشاط هذه المنظمات سنويا ، كما صدرت عنه دراسة مسحية شاملة عن الجمعيات الاهلية في مصر. وقامت بعض مراكز البحوث العربية بدراسات مسحية تساهم في تحديد اولويات التنمية مثل قيام معهد التخطيط القومى فى مصر باصدار تقرير التنمية البشرية في مصر، الذي وضع الاصابع بشكل علمى علي التفاوت الهائل في التنمية بين شمال مصر وجنوبها، مما دفع الحكومة الى وضع خطط تنموية سريعة لصعيد مصر. وبالتأكيد فإن مثل هذا العمل الوطنى يعطي مؤشرات للجمعيات الاهلية لتحديد الجهة الاولى بالرعاية فى مجالات انشطتها التنموية.

ولكن هذه المؤشرات الواعدة لاتزال محدودة للغاية ولاتزال بعيدة عما هو مأمول لتحقيق المشاركة الحقة بين مراكز البحوث والحكومات وجمعيات العمل الاهلى فضلا عن ما تم عمله لايزال فى بداياته الاولي، كما انه لا يشمل كافة الدول العربية وانما يكاد يتركز فى عدد محدود من الدول اهمها مصر والاردن ولبنان وتونس وفلسطين ولعل ذلك يجعلنا نعرف عن يقين ان الطريق لايزال طويلا امام قيام علاقة صحية بين الحكومات ومراكز البحوث والجمعيات الاهلية. ولاشك ان هناك حاجة الي اصلاحات هيكلية فى المجتمعات العربية اهمها الاصلاح الديمقراطى الذي طال انتظاره فى كثير من الاقطار العربية حتى ان بعضها لايزال في مرحلة ماقبل البرلمانات والمجالس التشريعية الحقة واتساع نطاق الحريات العامة ونمو المجتمع المدنى حتى يمكن توافر البيئة الصحية الملائمة لقيام مشاركة حقيقية بين الاطراف الثلاث. ولكن وحتى فى ظل الظروف الراهنة فان هناك عددا من المجالات التي يمكنها تحسين هذه العلاقة وتعظيم الفائدة منها مع فتح الباب لتطور تدريجى ينمو بنمو البيئة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمجتمعات العربية ونحددها فيما يلى:

١- التعريف بالمجتمعات الاهلية ومراكز البحوث الاكاديمية فرغم وجود بعض الجهد فى مجال حصر الجمعيات الاهلية فانه لايزال فى مراحله الاولية ولا يتعدى الحصر الكمي لهذه الجمعيات وتحديد انشطتها ونطاقها الجغرافى مع القليل عن فاعليتها وامكانياتها المادية والمالية والبشرية. ان هذا الجهد لابد استكماله بحيث يتوافر دليل DIRECTORY شامل وواف عنها في كل قطر عربى ، واخر خاص بالبلدان العربية مجتمعة، ولا يستطيع القيام بهذه المهمة الا

احد المراكز البحثية العربية المتخصصة فى هذا المجال . واذا كان مثل هذا العمل سوف يجد ارضية مبدئية يبنى عليها فانه لا توجد مثل هذه البداية فيما يتعلق بمراكز البحوث الاكاديمية العربية حيث لا يوجد مثل هذا العمل على الاطلاق. وحتى بالنسبة للدليل الذي تصدره مؤسسة نيرا اليابانية عن مراكز البحوث العالمية فانه لا يوجد الا قلة ضئيلة من المراكز العربية. وعلى سبيل المثال فانه فيما يتعلق بمصر لايحتوى الدليل الا على مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية. ومراكز البحوث الاقتصادية للدول العربية وتركيا وايران، ورغم توافر عدد كبير من هذه المراكز في مصر فى الوقت الراهن . ان مثل هذا التعريف ضرورة لاغنى عنها لتحديد الاطراف التى ستتم الشراكة بينها، وتعريف كل منهما بمجالات عمل الاخر وامكانياته الحالية التى يمكن استخدامها فى اقامة المشاركة بينهما. وربما سوف يفاجأ العاملون في حقل البحث العلمى بمدي المشاركة التى تقوم بها الجمعيات الاهلية فى الاقتصاد السياسى لبلادهم والذى عادة ما يتم تجاهله فى الاحصائيات العامة والدولية البحثية والتحليلية المتوافرة فى مراكز البحوث القريبة منهم.

٢- فى هذا المجال فان للحكومات دور هام، فبالاضافة الى توافر اكبر قدر ممكن من الحرية التى تتيح ازدهار الجمعيات الاهلية ومؤسسات البحث الاكاديمية ، فإنها فيما يتعلق بالمشاركة تحديدا، فان المهمة المناط بها لخدمة المشاركة تتحدد في المدى القريب فى توفير كافة المعلومات الممكنة سواء عن الجمعيات الاهلية او عن المجتمع بشكل عام، بالاضافة الى السماح بل وتشجيع مراكز البحوث علي القيام ببحوث، ودراسات الرأى العام التى اصبحت اداة لا غنى عنها على الاحتياجات المجتمعة وأولوياتها . ومن المدهش ان انشط المراكز البحثية العربية التى تعمل فى مجال الاستطلاع للرأى العام نشأت في نابلس تحت الاحتلال الاسرائيلى وهو مركز البحوث الفلسطينية والذى يقوم ببحوث سياسية واجتماعية ذات طبيعة علمية راقية. ماعدا ذلك فإن هذا المجال البحثى لايزال متواضعا فى معظم الاقطار العربية ولا يتعدى بحوثا محدودة مثل التى يقوم بها المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية في القاهرة ومركز الدراسات الاستراتيجية بالجامعة الاردنية وفي السنوات الاخيرة مركز الدراسات



السياسية والاستراتيجية بالاهرام.

٣ - ان ماورد فى السابق يفتح الباب لعلاقة اوثق بين مراكز البحوث والجمعيات الاهلية للقيام بمجالات التعاون المنوه عنها مسبقا مثل الاعداد للحملات وتحديد برامج العمل والتقييم لعمل الجمعيات والتدريب.. الخ ولكن المشكلة هنا سوف تبزغ من عدم وجود قنوات اتصال كافية بين الطرفين، وعدم توافر التمويل الكافى لاجراء مثل هذه البحوث لدي الجمعيات الاهلية والتى تعانى فى الاصل من ضعف الموارد التى تحتاجها فى انشطتها . وهنا يقترح مايلى:

ا - عدد من المؤتمرات وورش العمل التى تحقق اللقاء بين المراكز البحثية والجمعيات الاهلية حول موضوعات موضع الاهتمام المشترك.

ب - اصدار دورية علمية يصدرها احد مراكز البحوث تتخصص في الجمعيات الاهلية ودراستها ووضع الاسس المنهجية لترقية عملها ونقل الخبرة العالمية فى هذا المجال.

ج - تخصيص صندوق مالى لعدد من مراكز البحوث للقيام باعداد قواعد للبيانات واستطلاع للرأى العام سواء لتحديد اولويات العمل او تقييم مردود عمل الجمعيات تستفيد منه اعداد رائدة من الجمعيات الاهلية، ويتم تمويل هذا الصندوق من الحكومات والقطاع الخاص والمؤسسات التمويلية العالمية المعنية بالعمل فى مجال العمل الاهلى.

٤ - تشجيع مراكز البحوث الاقليمية للاهتمام بالجمعيات الاهلية التى تقع فى نطاقها الجغرافى بحيث يقل الضغط على المراكز البحثية القومية، ولتحقيق اكبر قدر من التفاعل بين الطرفين علي المستوى البيئى المباشر.

٥ - العمل الاعلامى لنشر المعرفة بهذه المجالات كلها حتى تصل الي كافة انواع الجمعيات الاهلية ومراكز البحث العلمى حتى يصبح التواصل والمشاركة بين الطرفين تقليدا مجتمعيا ذائعا.

إن هذه الخطوات الاولية المتواضعة سوف تضع اللبنة الاولى في بناء المشاركة بين الحكومات والجمعيات الاهلية، وتفتح الباب للتطور المجتمعى لكى يأخذ مجراه الطبيعى بحيث يحقق التناغم بين الاطراف الثلاثة ويمهد لاكتشاف كل طرف للقدرات الكامنة لدى الاطراف الاخرى.



المصدر: الاهرام العربي

مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات   التاريخ : ١٤ يوليو ٢٠٠١

ليالى استنبول...!

حكمت ظروف العمل أن أزور استنبول مرتين خلال أقل من شهر للمشاركة فى مؤتمرين مختلفين، وبالتالى أتيحت الفرصة لأول مرة للتعرف على المدينة التى كانت آخر عواصم الخلافة الإسلامية، والتى حكمت منها مصر ومعظم العالم العربى على مدى خمسة قرون تقريبا. وبالإضافة إلى التاريخ فإن المدينة الواقعة على البسفور، والمنقسمة بين قارتين آسيا وأوروبا تتميز بأنها خليط يجمع بشكل ما بين القاهرة، خاصة الجزء التاريخى الإسلامى منها، والإسكندرية حيث يوجد ساحل بحر مرمرة الذى هو صورة مصغرة من البحر الأبيض المتوسط الذى يلتحم مع مائه عند بحر إيجه. ومهما رأى الأتراك فى أنفسهم أو ظنوا أنهم جزء من أوروبا إلا أن المدينة شرق أوسطية لا ريب بكل ما يجمع المنطقة من ملامح وصفات، ربما لأن الرابطة العثمانية كانت أولى الصيغ التى جمعت شعوبها وقبائلها فى رابطة واحدة على مدى أكثر من خمسة قرون.

ولكن ربما كان الأمر المدهش فى استنبول أننى تركتها فى المرة الأولى فى أوائل شهر يونيو، كان سعر الدولار فيها يساوى مليونا من الليرات التركية، وإذا به فى أوائل شهر يوليو ينخفض بما مقداره 25٪، وهكذا زادت ثروتى المليونية بمقدار الربع خلال فترة تقل عن أربعة أسابيع. ولو تخيلنا أن الحالة كذلك فى مصر لوصل سعر الدولار إلى خمسة جنيهات، وهو الأمر الذى كان سيسبب ذعرا هائلا لو أخذنا فى الاعتبار الحالة التى عرفها المصريون عندما وصل سعر العملة إلى أربعة جنيهات، بعد ثبات دام تسع سنوات تقريبا. وعلى أى الأحوال فإن هذه لم تكن المرة الأولى التى ينخفض فيها سعر العملة التركية فعندما زرتها لأول مرة منذ أكثر من عشر سنوات كان الدولار يساوى 650 ليرة. أى أن قيمته انخفضت أكثر من عشرة أمثال خلال عقد من الزمن. ولعل ذلك فى حد ذاته يخلق ثقافة خاصة لأصحاب العملات متغيرة السعر بسرعة شديدة، وفى حالة العملة التركية فقد وصلت هذه السرعة إلى مستويات فلكية منذ شهر مارس الماضى عندما تم تعويم العملة وسمح لها بالهبوط إلى المستويات الحقيقية لسعرها. وفى مثل هذه الثقافة فإن الدفع الفورى وبالنقود «كاش» بالغ الأهمية، فأى انتظار يعنى الحصول على النقود وقد نقصت قيمتها بالفعل، ولذلك فإن البائعين فى استنبول على استعداد لتخفيض السعر فورا بما مقداره 25٪ إذا كان الدفع فوريا، أما إذا تم ذلك بعملة مثل الدولار الأمريكى أو المارك الألمانى فإن تخفيضا إضافيا قدره 10٪ سوف يضاف فورا. وفى مثل هذه الأجواء فإنه لا يوجد لدى أحد وقت لكى يلجأ إلى البنوك، وتصير سوق العملة هى السوق التركية كلها. وفى مكان مثل السوق الكبيرة المغطاة فى استنبول فإنها تصير بمثابة البنك المركزى للدولة.

وحينما قال لى الصديق التركى، أستاذ العلوم السياسية فى واحدة من أشهر الجامعات التركية ومن أكثر الأساتذة الذين عرفتهم نشاطا ونشرا فى الدوريات العالمية، أن دخله انخفض إلى النصف خلال الشهور القليلة الماضية وبدت المأساة الاقتصادية قريبة للغاية مجسدة فى وجه واسم وحياة محددة وليست أرقاما مجردة. ولكن رغم ذلك فلم يوجد فى ليالى استنبول ما يشير إلى مأساة من نوع ما، فالحياة تمضى بزخم هائل من التدافع والسرعة

والعمل، مع قدرة مذهلة على التكيف مع أوضاع صعبة، وفى لحظة ما فإن الزائر للمدينة سوف يحس بأنه يواجه عدد سكانها البالغين ستة عشر مليونا من البشر الذين لا يكفون عن الحديث والصياح والعمل حتى ولو عزت فرصه كثيرا. وفى الليل لا يبدو أن شيئاً تغير كثيرا، فالعاصمة التجارية والاقتصادية والثقافية لتركيا لا تعرف الهجوع والسكينة، وعندما يأخذ القارب المختار من عشرات القوارب والسفن المرء عبر البسفور والدردنيل وبحر مرمرة وأبواب البحر الأسود، فإن المدينة تبدو معلقة كلها فوق الجبال كأنها حبات من اللؤلؤ المتناثر فوق الربى العالية، حيث تختلط أسرار الدنيا مع مآذن الجوامع التى يبلغ عددها ثلاثة آلاف من المساجد مع عدد غير معلوم من المآذن.

ويشكل ما فإن آخر عواصم الخلافة العثمانية تبدو . رغم المصاعب الكثيرة . متعايشة مع نفسها، ومع ذلك الجسر الشهير عند البسفور الذى يربط آسيا وأوروبا، أو هكذا على الأقل ما يتخيله أهلها. فالجسر الذى يبدو من بعيد . مع جماله الآسر . رفيعا متوترا بين قارتين، يظهر كما لو كان معبرا عما يريده الأتراك لأنفسهم، مع يقين بأنهم لأسباب متنوعة قد خرجوا من الشرق أو الشرق الأوسط على وجه الدقة، ولكنهم لم يهبطوا إلى أوروبا بعد. وبقدر ما يسمع الإنسان عن انضمام تركيا للاتحاد الأوروبى فى المستقبل، والأوروبية والعلمانية وحتى الديمقراطية التى أهلتها لذلك، فإنه لن يعدم سماع نبرة عالية من الشك فى حدوث ذلك الآن أو فى المستقبل، بل إن النغمة العربية الذائعة عن أن الغرب، وأوروبا تحديدا، تكره العرب «لوجه الله»، لابد من سماعها من أتراك متغربين ومخلصين فى غربيتهم، فمع كل عقبة على الطريق لا يجد التركى أسهل من إلقاء تبعاتها على ذلك الغرب الذى لا يريده بين صفوفه مهما فعل واقترب، فالطريق إلى «الأوروبية» يبدو طويلا وعصيا على الوصول. وما بين الاقتصاد المتردى والثقافة المختلطة والجسر الرفيع المتوتر بين الشرق والغرب يكون العبء ثقيلا والمسئولية غير قابلة للحمل.

وتتعقد المسألة برمتها أكثر عندما يظهر وكأن أهل استنبول، ومعهم أهل تركيا، يبدون وكأنهم اتخذوا قرارين فى نفس واحد، قرار الوجود مع الغرب، وقرار البقاء فى الشرق، وبقدر ما يظهر الأول على ساحل المدينة فإن الثانى يفرض نفسه عند الأسواق والجوامع الكبرى. وبشكل ما فإنه عند النساء تتجسد المعضلة الكبرى، وما بين آخر صيحات باريس للأزياء، وآخر أشكال الحجاب فى طهران يتزامل القراران ويوجدان.

ورغم أن هذه المعضلة تكاد تكون متجسدة فى كل عاصمة شرق أوسطية تقريبا فى القاهرة أو بيروت، فإنه لا يوجد مثيل للتوتر الحادث بين القرارين فى استنبول. ربما لأن هناك قدرا من القسر الناجم عن الأصولية العلمانية التركية التى لا يوجد مثيل لها فى كل العواصم الغربية الأخرى، وربما لأن الديمقراطية العسكرية التركية تبدو غير منسجمة مع المشروع الغربى كله، وربما لأن هذا وذاك دفع وبشدة رجال ونساء استنبول للتأكيد على ما يعتقدونه ويرونه جزءا من ذاتيتهم المتفردة، وهو إعلان سياسى وثقافى لا تكف نخبة المدينة الصاخبة عن إعلان كراهيتها له بقدر ما تعلن إعجابها وحبها لجسر التوتر المعلق فوق البسفور.

البريد الإلكترونى: amseed@ahram.org.eg



مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاهرام الاقتصادي

التاريخ: ١٦ يوليو ٢٠٠١

الشرق أوسطية فى البلقان!

لا أدرى كم من البشر والكتاب والمفكرين يتذكر "الشرق أوسطية" الآن، فكم تبدو بعيدة المشاجرات الفكرية التى شغلتنا طوال التسعينيات واستغرقت الكثير من وقتنا ومن صفحات صحفنا القومية وغير القومية، المحلية والعابرة للبحار. هذه الفكرة الآن بطريقها إلى التنفيذ فى مكان آخر، وهو منطقة البلقان المستعرة بالصراعات الحادة، تماما مثل الشرق الاوسط، وكانت هى المنطقة التى عرفت ثلاثة حروب خلال عقد واحد، وربما تضاف لها حرب رابعة وقت كتابة هذه السطور فى مقدونيا ما لم تفلح محاولات وقف إطلاق النار وتمضى عملية بناء الإقليم على أسس جديدة لم يعرفها طوال تاريخه.

وكانت الشرق أوسطية قد برزت كمفهوم بعد انتهاء حرب الخليج والحرب الباردة وبداية عملية السلام العربية ـ الإسرائيلية فى مدريد، واستندت الى نظرية مؤداها أن ندرة المصالح المشتركة بين الأمم والشعوب هى التى تسبب البغضاء والحروب، أما إذا وصلت هذه المصالح الى درجة عالية من الكثافة والاعتماد المتبادل فإن الصراع يصبح أمرا مستحيلا. وهى النظرية التى حكمت العلاقات الاوروبية خاصة بين ألمانيا وفرنسا ـ وهم من أصحاب الصراعات التاريخية ـ بعد الحرب العالمية الثانية، حينما جاءت عملية التكامل والوحدة الاوربية لكى تجعل عودة الحرب داخل أوروبا أمرا مستبعدا تماما. وكذلك فإن كثافة المصالح وعلاقات الاعتماد المتبادل هى التى تجعل من فكرة العداء أمرا غير ممكن بين الولايات المتحدة واليابان، والولايات المتحدة وكندا.

وهكذا جاء التصور أنه لو قامت شبكة هائلة من المصالح المتبادلة وعلاقات الاعتماد المتبادل فى الشرق الاوسط فإن فرص تسوية الصراع العربى الإسرائيلى وصراعات أخرى كثيرة فى المنطقة سوف تصبح ممكنة. ولن يسود السلام فقط، بل أن المنطقة بأسرها سوف تكون أكثر قابلية للاندماج فى النظام الاقتصاد العالمى، والتقدم والتحديث فى العموم. وكانت الخطوة الاولى فى هذا الاتجاه انعقاد المفاوضات متعددة الاطراف فى نهاية شهر يناير ١٩٩٢ فى موسكو، والتى صممت بحيث تبدأ المفاوضات بين دول الشرق الاوسط، ومع بقية الدول الاخرى فى العالم حول قضايا الامن الإقليمى والحد من

التسلح، والمياه، والبيئة، واللاجئين، والتعاون الاقتصادى. وإذا كانت هذه المفاوضات بين الحكومات، فقد تم استكمالها بتجمع آخر يشمل القطاع الخاص والشركات الرأسمالية العالمية فيما عرف بقمة الشرق الاوسط الاقتصادية التى عقدت مؤتمراتها فى الدار البيضاء وعمان

والقاهرة والدوحة. واستكمالا للإطارين رأت أوروبا أن هناك فجوة هامة ينبغى استكمالها فتقدمت فى خريف عام ١٩٩٥ بفكرة الشرق الأوربية المتوسطية لكى تشتمل على ثلاثة سلال للتعاون فى مجالات الأمن والاقتصاد والأمور السياسية والاجتماعية. ورغم أن الفكرة السائدة كانت أن هناك توترا من نوع ما بين "**الشرق أوسطية**" و "**المتوسطية**"، فإن كلاهما كان يستند الى نظرية واحدة فى العلاقات الإقليمية.

على أى الأحوال فقد ووجهت "**الشرق أوسطية**" بمعارضة حادة فى العالم العربى، وكان هناك من نظر لها على أنها تمثل بديلا لفكرة العروبة والتكامل العربى والجامعة العربية، وكان هناك من رآها جزءا لا يتجزأ من عملية الغزو الثقافى الغربى للدول العربية.

المدهش أن جانبا من الإسرائيليين كان يعارض الشرق أوسطية لنفس الاسباب التى عارضها العرب من أجلها، وربما كان الفارق أنه بعد أن توقفت المفاوضات متعددة الأطراف، وتوقفت مؤتمرات القمة الاقتصادية، وانسحبت المتوسطية لكى تكون على مستوى العلاقات الثنائية، فقد اختفى الموضوع من ساحة النقاش والخلاف العربى.

أما فى إسرائيل فلا يزال الموضوع مطروحا بشدة فقد نشر مناحيم بن مقالا فى صحيفة "معاريف" الإسرائيلية بعنوان "**فقط ليس العربية**" يعارض فيه تعليم اللغة العربية فى المدارس العبرية، وهو الاقتراح الذى تبناه الوزير العربى صالح طريف والعالمة العبرية يامبى شيلج. ورأى الكاتب أن مثل هذا الاقتراح سيؤدى الى إلغاء الطابع اليهودى العبرى لإسرائيل ويجعلها تتحول الى "**فلسطين ب**"، وفى ظل السلام سوف "**تتعاظم مسألة الهوية الإسرائيلية المدافعة عن نفسها فى وجه الإغراق الثقافى العربى المتوقع**".

ويضيف مناحيم بن، كما لو كان عربيا يكتب عن "**الشرق أوسطية**": **فيكفى مليون سائح عربى، سواح فقط وليس متسللين ولا غزاة، أن يقرروا الوصول الى البلاد سنويا، كى يتعرض الطابع العبرى لإسرائيل لتهديد ثقافى ووجودى خطير. فتصوروا مطاعم وفنادق ودور ضيافة ومواقع استجمام تغير طابعها وربما أسماءها أيضا كى تغوى السياح العرب من إمارات الخليج. تصوروا أن تمتلئ شواطىء السباحة وشوارع المدن الكبرى والحدائق العامة بالسواح من الناطقين بالعربية إلى جانب العرب الإسرائيليين والدروز والبدو خاصة المتمسكين بلغتهم. كما أن جزءا من الاسرائيليين من سليلى البلدان العربية من شأنهم أن يعودوا إلى ألسنتهم الأصلية العربية فى أجواء مفعمة بالعربية**

المتوقعة لنا حسب سيناريو السلام آنف الذكر، وعلى الأقل فى فرع السياحة سيكون مطلوبا علي نحو خاص الناطقون بالعربية ممن يمكنهم استقبال السياحة العربية الوافدة مغنيون ومغنيات فنانون وفنانات ، ممن يعرفون كيف يرفهون عن الجمهور العربى بلغته، سيكونون مطلوبين على نحو خاص، أما العبرية فقد تتحول فى حينه إلى لغة أقلية فى بلادنا .

ولا يزال الحديث مستمرا لماحيم بن: **وإذا ما أضفنا إلى ذلك نواقص التعليم العبرى التى تطورت على نحو خاص فى السنوات الأخيرة وأنشأت جيلا يجد جزءا هاما منه صعوبة فى قراءة العبرية ببساطة، وإذا تذكرنا الروح ما بعد صهيونية ، والأكاديمية المزيفة المناهضة للعبرية، والتى تعصف بنا من المحافل الأكاديمية والنخبوية، وإذا ما أخذنا فى الحسبان الجيل الشاب الذى يغرق تماما فى المسلسلات التلفزيونية الأمريكية والتعبيرات الأجنبية على اختلاف ضروبها، وإذا ما أضفنا المليون مواطن عربى فى إسرائيل، والذين يسعون بأغلبيتهم إلي تحويل البلاد من دولة عبرية إلى دولة ثنائية القومية كمرحلة أولى. فإنه بوسعنا أن نفهم أنه لعله كل ما ينبغى كى تغلق الدائرة نهائيا على العبرية الجوهرية لهذه البلاد هو تعويد أبنائنا جميعا على التحدث بالعربية. هذا ما ينقصنا فقط.**

هكذا انتهى ما كتبه الكاتب الإسرائيلى، الذى لايزال يتخوف من «**الغزو الثقافى**» العربى حتى بعد توقف كل التفاعلات العربية الإسرائيلية خارج نطاق المواجهة والمقاومة والنزال فى ساحة القتال. ولكن ما يهمنا هنا - على أى الأحوال - أن الخائفين العرب، والمرتعدين الإسرائيليين من «**الغزو الثقافى والغزو الثقافى المضاد**» قد نجحا تماما فى إسقاط قضية الشرق أوسطية كمفهوم ونظرية وحالة عملية قابلة للتطبيق .

ولكن الحالة لم تكن كذلك فى البلقان، أو فى منطقة شرق أوروبا التى تنافس الشرق الأوسط فى الأحمال التاريخية الكبيرة والثقيلة على الواقع، وخلال العقد الأخير كانت المسرح لثلاثة حروب كبرى نتجت عن الانهيار الكامل للاتحاد اليوجوسلافى، وفى اثنين منها تدخل حلف الأطلنطى الذى أنشىء فى خلال الحرب الباردة للدفاع ضد الاتحاد السوفيتى فإذا به يستخدم لأول مرة بعد انتهاء الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفيتى فى حربى البوسنة وكوسوفو، وهناك الآن احتمال استخدامه مرة أخرى فيما يتعلق بالاضطرابات الواقعة فى مقدونيا. ومع

ذلك فإن نظرية «**الشرق أوسطية**» فى حل المنازعات الإقليمية الكبرى كانت موجودة بشكل كامل لتجد من يطبقها بين الدول التى تصارعت أو شاركت فى الصراع بشكل مباشر، أو غير مباشر خلال العشر سنوات الماضية، ولكن جذور صراعاتها تعود لقرون طويلة وقادت العالم إلى الحرب العالمية الثانية وأهوالها .

وقد حدث ذلك عندما اجتمع ٤٠طرفا من الدول والمنظمات الدولية بناء على مبادرة من الاتحاد الأوربى فى مدينة أتولون بألمانيا لتوقيع ميثاق الاستقرار فى جنوب شرق أوروبا، فى ١٠يونيو١٩٩٩، واصبح سارى المفعول فى اجتماع على مستوى القمة فى مدينة سراييفو حيث دارت أسوأ معارك حرب البوسنة فى ٣٠يوليو ١٩٩٩. أطراف هذا الميثاق هم دول الاتحاد الأوروبى والهيئة الأوروبية، دول الأقليم وجيرانه وهم ألبانيا والبوسنة والهرزج وبلغاريا وكرواتيا ومقدونيا والمجر ورومانيا وسلوفانيا ويوغسلافيا وتركيا، ودول مجموعة السبعة الصناعية الكبرى بالإضافة إلى روسيا، ودول أخرى مثل النرويج وسويسرا، والمنظمات الدولية ممثلة فى الأمم المتحدة ومنظمة التعاون والأمن الأوروبى ومجلس أوروبا ولجنة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان وحلف الأطلنطى ومنظمة التعاون الاقتصادى والتنمية واتحاد غرب أوروبا، والمنظمات المالية الدولية ممثلة فى البنك الدولى وصندوق النقد الدولى والبنك الأوروبى للتعمير وعدد من المنظمات والمبادرات الإقليمية الخاصة بالبحر الأسود ووسط أوروبا وجنوب شرق أوروبا.

معظم هذه الأطراف كانت ممثلة فى مشروع الشرق أوسطية خاصة الأطراف الرئيسية مثل الاتحاد الأوروبى وهيئاته ومجموعة الثمانية دول الصناعية والمؤسسات الدولية المالية، وربما كان الجديد هذه المرة فى البلقان هو مشاركة حلف الأطلنطى المباشرة والمنظمات والمبادرات ذات الطابع الإقليمى. ولكن المشابهة لاتتوقف عند الأطراف المشاركة وإنما تمتد إلى موضوعات العمل والتعاون الإقليمى وهى ثلاثة: **أولها** يتعلق بعملية التحول الديمقراطى وحقوق الإنسان، و**ثانيها** إعادة البناء الاقتصادى والتعاون والتنمية، و**ثالثها** التعاون فى مجالات الأمن والدفاع والعدالة. وهى تقريبا ذات المجالات التى دار حولها مشروع الشراكة المتوسطية والمفاوضات متعددة الأطراف فى الشرق الأوسط مع فروق تتعلق بالأوضاع الخاصة بكل إقليم ولكن جوهر الفكرة ظل واحدا مع فارق أساسى وهو أن الهدف النهائى المحدد فى إقليم جنوب شرق أوروبا هو إعداد الدول الضالعة فيه للانضمام إلى الاتحاد الأوروبى وحلف الأطلنطى فهل حصل مشروع الشرق أوسطية على فرص أكثر نجاحا فى البلقان عما كان عليه الحال فى الشرق الأوسط؟



مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاهرام الاقتصادي

التاريخ: ٢٣ يوليو ٢٠٠١

مرة أخرى

الشرق أوسطية في البلقان!

لم أكن اطلاقا ضمن الذين فوجئوا بقيام يوغوسلافيا بتسليم رئيس جمهوريتها السابق سلبودان ميلسوفيتش الى المحكمة الدولية الخاصة بجرائم الحرب فى يوغوسلافيا فى لاهاى، ولا أظننى سوف أفاجأ عندما يتم تسليم باقى مجرمى الحرب اليوغسلاف. ولا حتى عندما يتم حل الاتحاد اليوغوسلافي كله بخروج جمهورية الجبل الاسود او مونتينيجرو من الاتحاد. فقد كان واضحا لبعثة الاهرام التي زارت بلجراد خلال شهر مايو الماضى ان مرحلة التمرد اليوغوسلافى على اعادة ترتيب الاوضاع القومية والسياسية في البلقان قد انتهت، وان النخبة الصربية قد استقرت انه من الأفضل لها ان تحصل على جمهورية اصغر واكثر فعالية وجزء من كيان اكبر هو اوروبا والاتحاد الاوروبي من ان تكون دولة كبيرة ممزقة بالخلافات والأعاصير والأمجاد الزائفة. ولم يخف علينا كثيرا أن الوجه الشاحب والمرتسم بالأسى للرئيس كوستينتشا لايعطى فقط رغبة في نهاية سلمية وقانونية للاحداث تتم من خلال التشريعات والبرلمان، ولكنه ايضا كان موحيا بما وصلت إليه السلطة الفيدرالية من ضعف، ظهر بعد ذلك عندما تصرف رئيس وزراء صربيا وقام بتسليم الرئيس السابق للمحكمة دون تشاور مع احد، فلم يكن رئيس الوزراء الصربى جينجيش الصغير السن والممتلىء بالحيوية علي استعداد لتأخير حركة التاريخ اكثر من ذلك!

وكانت حركة التاريخ فى اوروبا تقول ان الدولة القومية المتجانسة، او شبه المتجانسة، هي الأساس الذى منه يتكون البناء الاوروبى المتعدد الطوابق والمستويات والذى لا يصعد فيه الا كل من هو على استعداد للعمل الشاق والقادر على الصعود الي الذرى العالية للاندماج الاوروبى. ومنذ بداية حركة التوحيد الاوروبى وهناك مستويات متعددة لعلاقات التكامل والارتباط تبدأ من المعاملات التفضيلية وحتى السوق المشتركة والعملة الواحدة ومن بينهما الانتساب والسوق التجارية الحرة والاتحاد الجمركى، وعلى كل طرف من الاطراف ان يحدد المستوى

الذي ينتمي اليه، فاذا ما اراد فإن هناك شروطا ومعايير عليه استيفاؤها واستكمالها قبل ان يتخطى العتبات وينتمي الى المنتديات الملائمة. ولعل ذلك يختلف كثيرا عن التجربة الامريكية فى صهر الاقوام والشعوب واللغات من خلال تجربة انتاجية واستهلاكية وثقافية وسياسية بالغة التعقيد والتركيب، ولكن الامر على اية حال ليس حالة للمقارنة فلكل منطقة تاريخها ومنطقها الخاص، وبالتأكيد فإن للتجربة الاوروبية ما يميزها ويخصها.

ولعل ذلك هو ما باتت تعرفه اوروبا جيدا عندما شرعت في ان تطبق فى جنوب شرق اوروبا ما نجحت فيه فى غرب اوروبا قديما ومايبدو انها سوف تنجح فيه فى وسط وشرق اوروبا حديثا بعد ان تم وضع خطط التوسع في الاتحاد الاوروبى عبر مراحل زمنية متتابعة يتم تطبيقها خلال العقدين القادمين. ولكن البلقان قصة اخرى جديدة ومختلفة تماما، فهى منطقة كانت الاساس فى عمليات العنف الاوروبية الكبرى خلال القرنين الاخيرين، كما ان الدماء لاتزال حارة فيها مع ذاكرة تاريخية حية ويقظة ومتجددة وهى على استعداد ان تحكى معارك البطولة والفداء على مدى القرون العشر الماضية. والاكثر خطورة من ذلك انها متخلفة للغاية على الاقل وفق المستويات الاوروبية حتي الشرقية منها، وخالية من كوادر الوحدة والاتحاد، وعامرة بمناضلى الفرقة والكفاح من انواع كثيرة.

وكان حل هذه المعضلات كلها تجربة جديدة، استخدمت بعض ابعادها وعناصرها فى منطقة قريبة مماثلة في الميراث التاريخى والتخلف الاقتصادى هى الشرق الاوسط ولكن التجربة تعطلت لان اطرافها لم يكونوا منهكين بما فيه الكفاية ولايزال لديهم قدر كبير من الطاقة للمواجهة والمنازلة واستخلاص الحقوق التاريخية كما انهم مستوعبون تماما في الايدولوجيات القومية الكبرى العروبية والاسلامية والصهيونية التي لاتزال مابينها حسابات كبرى يجري تصفيتها باشكال شتى. ورغم ان اوروبا ابقت شكلا من اشكال التعاون فى الشرق الاوسط لعل وعسى تحت لافتة «**المتوسطية**» فإن التجربة بأسرها تم نقل جوهرها الى منطقة البلقان، فقد تعب الناس فيها، او تم ارهاقهم عن قصد، من الحرب والنزال والمنازلة واذا كان قد تم القضاء على فكرة صربيا الكبرى فإن ذلك لا يعنى اطلاقا ان يفتح الباب لالبانيا العظمى، وعندما تتقلص الاحلام الكبرى والنوايا العظمى فإن الباب يفتح لانواع جديدة من التعاون.

وكان هذا التعاون ممثلا فى ميثاق الاستقرار لمنطقة جنوب شرق اوروبا الذى اشرنا له هنا فى هذا المكان في العدد الماضى من الاهرام الاقتصادى والذي تم توقيعه فى قمة سراييفو في يوليو ١٩٩٩ وشارك فيه اربعون طرفا من الدول والمنظمات الدولية تعمل وفق تنظيم معين يتعامل مع العلاقات المتشابكة والقضايا الملحة لاطرافها. واذا كانت الشرق اوسطية قد قامت على لجان مشتركة لبحث قضايا الامن والتعاون الاقتصادى والبيئة واللاجئين والمياه، ويديرها من فوق لجنة محركة عليا للمفاوضات متعددة الاطراف، واذا كانت المتوسطية تتكون من ثلاث سلاسل هى الأمن والتعاون الاقتصادى والأمور الاجتماعية والسياسية، فإن ميثاق الاستقرار فى جنوب شرق اوروبا يقوم على ثلاثة جداول **اولها** خاص بالديمقراطية وحقوق الانسان، و**ثانيها** عن

اعادة البناء الاقتصادي، **وثالثها** عن الأمن والدفاع. وبينما ينسق العمل ما بين جداول الاعمال الثالث جدول عام يسمى الجدول الاقليمي الذي يشرف على الحركة في كل الجبهات، وتشكلت له امانة عامة لها منسق خاص يعمل معه ٣٠ موظفا فقط مهتمهم التنسيق ما بين الانشطة المختلفة ومنع الازدواج غير الصحي بينها. وربما لن يكون مدهشا اذا عرفنا ان مقر المنسق العام ومكتبه ليس واقعا في عاصمة من عواصم الدول الاعضاء، وانما يوجد فى بروكسل حيث المقر الرئيسى للاتحاد الاوروبى.

إن مغزى ذلك واضح تماما، فالهدف النهائى هو ان يدخل الجميع الذين كانوا يتحاربون بالامس، وحتى هؤلاء الذين يتحاربون الآن، مظلة الاتحاد الاوروبى او بالاحرى كل البنية السياسية والاقتصادية الاوروبية وحتى الامنية الغربية والاطلنطية. وهو الهدف الذي ظهر انه عزيز تماما على كل النخب السياسية الشرق اوروبية التى كانت تشكو حتى وقت قريب للغاية من ادارة الغرب لظهره لها، بل ووقوعه في حالة العداء الخاص الاستراتيجي لها. ولكن حتى يتحقق الهدف البعيد المدى فلابد من التحضير والعمل من اجله الآن وليس غدا عبر عملية طويلة ومضنية وقاسية فى احيان كثيرة. ولن ينسى الاوروبيون ابدا انهم بدأوا مشروعهم للهندسة الانسانية الاوروبية فى ٢٢ مارس ١٩٥٧ عندما تم توقيع اتفاقية روما، وبعد خمسة واربعين عاما من هذا التاريخ سوف يكون لدي احدى عشر دولة اوروبية عملة واحدة هى «**اليورو**» التى سوف تدخل نطاق التداول الفعلى بدءا من يناير القادم فكما انه لا يوجد غذاء بالمجان فأنه لا يوجد تكامل بين يوم وليلة، واذا كانت ١٥ دولة اوروبية احتاجت تلك الفترة لتصل الى ماوصلت اليه من تكامل وسوف تحتاج ١٢ دولة لعقدين اضافيين للحاق بذلك كله، فإن منطقة البلقان سوف يكون عليها ان تبدأ الطريق من اوله، حتى دون معرفة دقيقة لمتى يصل القطار الى المحطة، والفترة الزمنية التى تستغرقها حركة المياه فى النهر فى طريقها من المنبع الى المصب.

وفى مثل هذا الطريق الطويل فإن «**الاستقرار**» يصير هو المهمة الاولى، ولم تكن هناك صدفة ان يكون «**ميثاق الاستقرار**» هو المظلة التي يبدأ بها تطبيق «**الشرق اوسطية**» في البلقان ، وربما كان هذا العنوان اكثر واقعية وعملية ، بل انه تلافى بعضا من عيوب الشرق اوسطية التى جاءت مع تصورات لشرق اوسط جديد ووسط حديث عن نظام عالمي جديد. وكانت كل هذه «**الجدة**» تعنى اعادة تركيب المنطقة مرة اخرى في لحظة كانت فيها كل القوى التقليدية والمحافظة موجودة ومؤثرة وخائفة من اثار التغيير على مصالحها ومن ثم كانت انتفاضتها على المفهوم حتى قبل ان تتبين مكوناته وابعاده. هذه المرة فإن تعبير

«**الاستقرار**» بدا ليس واقعيا فقط بل اقرب الي مقتضى الحال دون مبالغة حول الانقلاب الذي سيحدث، والتغير الذي سوف يجري لمجرد الحديث عنه.

ولعل ذلك هو الفارق الاساسى بين «**الشرق اوسطية**» فى الشرق الاوسط والشرق اوسطية فى البلقان، فهى لا تحدث وسط احلام كبيرة رغم ان الهدف منها هو اللحاق بأوروبا الموحدة ، فالاهداف المحددة الآن هى تحقيق الاستقرار بالفعل ، وهو مانجده بوضوح فى جداول العمل الثلاثة ، وماتفرع عنها من جداول اخرى للأعمال ، فجدول العمل الاول هو الديمقراطية وحقوق الانسان التى هى لب الموضوع كله في حالة الوحدة والتكامل الاوروبى الذي لايقوم على العرق او الدين او القومية وانما يقوم على منظومة من القيم الليبرالية والديمقراطية وبدونها فلا وحدة ولا اتحاد ولا تكامل. وضمن هذا الاطار تم وضع اهمية خاصة لموضوعات حقوق الانسان وحقوق الاقليات، فما لم يتم احترام هذا او ذاك فإن النسيج السياسى للتجمع كله يصير مهددا وعلى الاغلب متفجرا. ومن بعده تأتى القيم الاساسية الاخرى مثل الحكم الجيد القائم على الكفاءة والمسئولية وموضوعات المرأة والاعلام وحدود الحرية والمسئولية فيه فى مجتمعات متناحرة حتى وقت قريب والتعليم والشباب، وبالطبع موضوعات اللاجئين والتعاون البرلمانى، واخيرا ، ونظرا لانها جاءت متأخرة الى الساحة فإن تأييد قوى التحول الديمقراطى فى يوجوسلافيا بات ذي اهمية خاصة تتطلب برنامجا خاصا للدعم والتأييد.

جدول العمل الثانى هو عن اعادة البناء والتنمية والتعاون، وفى منطقة مدمرة بالحرب، وخارجة من الحكم الشيوعى، وكانت في كل الاحوال اكثر مناطق اوروبا تخلفا فإن المنطقة كلها تحتاج عملية اعادة تأهيل كاملة للبنية الاساسية، وتطوير القطاع الخاص، وتنمية التجارة داخل الاقاليم، وحماية الاستثمار وتشجيعه. اما جدول العمل الثالث فيتضمن الموضوعات الامنية الخاصة بمعنى انتشار اسلحة الدمار الشامل، والحد من التسلح، والتعامل المشترك مع الالغام والاسلحة الصغيرة والكوارث الطبيعية. وضمن هذا الجدول يوجد ماقد يستغربه البعض وهو الامر الخاص بالعدالة والامن الداخلى، والعدالة خاصة بالبحث والتقصى واعتقال ومحاكمة مجرمى الحرب حتى لا تتكرر المأساة مرة اخرى، أما الأمن الداخلى فبات ضروريا ان يتم فى اطار اقليمى، فخلال فترة الحروب ازدهرت الجريمة المنظمة والتجارة فى السلاح والبشر. وبعد ذلك فإن القصة طويلة وبها منجزات كثيرة، ولمن يحب التفاصيل عليه بالاطلاع علي موقع ميثاق الاستقرار على شبكة الانترنت وهو httP:WWW.stability.org



مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاهـرام

التاريخ : ٢٣ يوليو ٢٠٠١

عن الرأسمالية والقطاع الخاص

جاء في هذا المكان في الأسبوع الماضي، أن قضية التغيير، والتقدم في الحقيقة، في مصر خلال العقدين الماضيين، قامت على خمسة روافع اساسية، هي دون ترتيب في الاهمية: توسع المجتمع المدني، وزيادة دور القطاع الخاص، وحرية الصحافة والتعبير، وكفاءة المؤسسات الديمقراطية وفي المقدمة منها مجلس الشعب، وأخيرا عملية السلام في الشرق الأوسط هذه الروافع التي استجدت على حياتنا خلال العقدين الماضيين، تتعرض للمراجعة والهجوم، بل والدعوة للرجوع عنها تحت دعاوى شتى، والعودة الى ما كان عليه الحال خلال الستينيات من سيطرة وهيمنة للدولة حتى تحدث التنمية، وتقام العدالة، ويسعد الفقراء، ويتم تحرير الأراضي العربية التي جرى احتلالها في ذلك العقد المراد العودة إليه!

ومن بين هذه الروافع، كلها فإن القطاع الخاص أكثرها تعرضا للهجوم، فهو احتكاري أو يسعى للاحتكار، وهو لا يقوم بدوره الاجتماعي، وهو لا يحل مشكلة البطالة ولا يقوم بالتنمية، والأخطر من ذلك، أنه حصل على مدخرات المصريين، أو سرقها في قول آخر، ثم هرب بها الى الخارج، وللعلم فإن هذه الصورة الدرامية البالغة القتامة، ليست جديدة بالمرة، فطوال العشرين عاما الماضية، والقطاع الخاص الذي تقول الدولة إنه رافعة للتنمية في البلاد، يتعرض لهجوم قاس في أجهزة الإعلام الرسمية وغير الرسمية، وكان الفن بصفة خاصة هو الذي حمل عبء تصوير الرأسمالية المصرية كحفنة من اللصوص ومصاصي الدماء، وعادة كانت الرواية أو الفيلم أو المسرحية، تنتهي بالبطل الذي يمثل الخير حاملا ساطورا أو سكينا أو مسدسا، ليقتل الرجل الشرير، الذي هو أحد رجال الأعمال، أو يمزقه قطعا ويبعثر دماءه على الشاشة أو على خشبة المسرح، كان ذلك على الأقل هو الموقف السائد في الثمانينيات في سلسلة أفلام ومسلسلات الانفتاح، وبعد أن طرأت تطورات مهمة على القطاع الخاص المصري مع عمليات الإصلاح الاقتصادي منذ عام ١٩٩١، تغيرت صورة رجال الأعمال من هؤلاء الذين يعطون الشعب أغنية سامة، الى هؤلاء الذين يسرقون أمواله ويهربون بها الى الخارج.

الهجوم الجديد على القطاع الخاص هذه الأيام، إذن ليس جديدا بالمرة، وخطورته كامنة ليس في كونه لايريد فقط ضرب القطاع الخاص، مع بقية الروافع الأخرى المساندة له، وإنما أيضا لأنه يريد تقويض أسس الحياة الاقتصادية والعودة بها الى أمراض كنا قد تعدينها وأفقنا منها ومن آثارها الوخيمة على الاقتصاد القومي، وبصراحة كاملة، فإنه لم يعد معقولا بعد عقد كامل من الإصلاح الاقتصادي، أن نعود مرة أخرى الى حالة تعدد أسعار الصرف، وتعود السوق السوداء في العملات الأجنبية، ويعود مع كل ذلك ظاهرة «الدولرة» للاقتصاد، ومهما قيل عن دور الصيارفة والمضاربة وأصحاب النوايا الشريرة، فإن الثابت أن أيا من ذلك لم يكن حادثا على مدى سبع سنوات كاملة لم يستقر فيها سعر الدولار فقط، وإنما أيضا زادت فيها الاحتياطات القومية، المسألة هي ببساطة وجود خطأ في السياسات الاقتصادية، وميل للعودة الى تعدد أسعار الصرف، واتجاه لدعم المستوردين وصادرات الدول الأخرى، كما كان الحال تماما في الماضي الذي ليس ببعيد.

على أي الأحوال، فإن ذلك ليس بقضيتنا الآن، ولكن القضية هي أن القطاع الخاص المصري لم يعمل في ظل ظروف اقتصادية معقولة، وسياسات اقتصادية عاقلة، إلا لفترة قصيرة للغاية وعلى وجه التحديد ما بين مايو ١٩٩١ ويناير عام ١٩٩٧، حينما عادت الدولة مرة أخرى للتدخل الثقيل في النشاط الاقتصادي من خلال الهيمنة الكاملة على ما سمي بالمشروعات القومية الكبرى، ورغم أن هذه المشروعات في حد ذاتها، قد تكون بالغة الأهمية لمستقبل الأجيال المقبلة، إلا أنها لم يتم اختيارها أو ادارتها بعد ذلك بالطريقة التي تتناسب مع قدرات القطاع الخاص، والقطاع المصرفي مما أدى في النهاية الى حالة الركود الحالية، هذه الفترة القصيرة التي شهدت موجة الارهاب أيضا، كانت الفترة التي على القطاع الخاص المصري، أن يحل فيها مسألة البطالة، ويحقق التنمية، وينجز معجزة في التصدير، ويحقق مستويات للنمو تتعدى ٧٪ سنويا.

ولكن عدم العدالة في تقويم القطاع الخاص، لا ينصرف فقط الى الفترة الزمنية القصيرة، والتي لا تتعدى ست سنوات، وإنما تنصرف أيضا، وهو الأهم، الى تجاهل منجزاته التي حققها خلال هذه الفترة والفترة السابقة عليها، رغم كل القيود والمعوقات، ونحن لا نتحدث هنا عن مساهمة القطاع الخاص في معدلات النمو، التي تحققت خلال السنوات الأخيرة، وهي مساهمات معتبرة في مجالات الاقتصاد القومي المختلفة، وإنما تحقيق انطلاقات كبرى في عدد من المجالات التي باتت واعدة للمستقبل الاقتصادي المصري، مثل مجال السياحة بحيث بلغت أعداد السياح في نهاية التسعينيات خمسة أمثال ما كانت عليه في بدايتها، مع التشغيل المباشر لقرابة المليون من العاملين، يزيد عددهم الى عدة أمثال اذا ما حسب التشغيل غير المباشر.

وفي مجال الزراعة، حقق هذا القطاع معجزة حقيقية نتيجة عملية التحرير الاقتصادي فيه، التي أطلقت نشاط القطاع الخاص فيه بحق، فبعد أن كانت مصر تفقد قرابة ستين ألف فدان سنويا للتوسع الحضري، مما أدى في نهاية عقد السبعينيات ليس فقط الى ضياع مايقرب من مليون فدان تم استصلاحها منذ قيام الثورة، عن طريق الحكومة والقطاع العام، وإنما أيضا الى حدوث تآكل في مساحة الأرض المنزرعة ذاتها، فنزلت لأول مرة عن ستة ملايين فدان بنحو مائتي ألف فدان، ومع انطلاقة القطاع الخاص - مع كل مشكلاته - في قطاع الزراعة، فإنه لم يعوض فقط الأرض المستقطعة للتوسع الحضري، بل أضاف إليها نحو مليونين وسبعمائة ألف فدان، وكان لذلك نتائج مهمة فيما يتعلق بالاستجابة للاحتياجات الغذائية لخمسة وعشرين مليون نسمة إضافية، والأهم تحقيق الاكتفاء الذاتي في عدد من السلع الغذائية وتصدير بعضها، وتخفيض الاعتماد على الخارج في البعض الآخر، أو تثبيت هذا الاعتماد رغم الزيادة السكانية والقدرات الاستهلاكية العامة في البعض الثالث.

إن ذلك ولاشك مثل تقدما كبيرا في الاقتصاد الوطني، لم يكن ليحدث لولا الدور الذي قام به القطاع الخاص، وإذا ما أضيف الى ذلك الدور، الذي قام به هذا القطاع في مجالات الصناعة والمواصلات، وبناء المدن الجديدة، والتوسع الحضري والتعميري في سيناء وسواحل البحر الأبيض والأحمر، وتحسين الانتاجية العامة في المجتمع التي تدهورت الى حد كبير خلال العقود السابقة، بحكم عمليات التشغيل غير المنتجة في الحكومة والقطاع العام، لأدركنا الى أي حد كانت مساهمة هذا القطاع وسط ظروف داخلية وخارجية صعبة للغاية في تطوير الاقتصاد القومي، بل ومصر كلها، ومع ذلك، فإن هناك القليل الذي يذكر من كل ما سبق، بل ويمتد الظلم أكثر الى اختزال عمل القطاع العام في الاقتراض من البنوك ثم الهرب بها الى الخارج.

وبالفعل فإن القطاع العام قد اقترض من البنوك، كما هو الحال في كل بلاد العالم الأخرى، وارتفعت القروض التي حصل عليها القطاع الخاص من ٦٧ مليار جنيه عام ١٩٩٦، أو ما يمثل ٣٩٪ من جملة الاقراض الكلي الى ١٦٠ مليار جنيه عام ٢٠٠٠، أو ٥٤٪ من إجمالي الأموال المقترضة، وصحيح أيضا أن القروض المتعثرة لدى القطاع الخاص قد ارتفعت بدورها من ٧.٩ مليار عام ١٩٩٦، حتى وصلت الى ١٥.٢ مليار جنيه في عام ٢٠٠٠، ولكن ذلك يغفل تماما القروض التي حصل عليها القطاع الخاص ووفى بها وسدد فوائدها التي سمحت للمدخرين بالحصول على الفوائد من الايداعات والتي تراوحت ما بين ٩ - ١٠٪ خلال السنوات الماضية، من جانب آخر، أن هذه الأرقام تغفل تماما القروض السيئة للحكومة والقطاع العام، وقد ارتفع اقتراضهما من البنوك من ٦٦ مليار جنيه عام ١٩٩٦ الى ٩٨ مليار جنيه عام ٢٠٠٠، وارتفعت نسبة القروض السيئة من ٧.٧ مليار في العام الأول، الى ١٠.٣ مليار في العام الثاني، وفي الحقيقة فإن نسبة القروض السيئة الى الرقم الكلي للاقتراض تتراوح حول ٩.٥٪ عام ٢٠٠٠ بعد أن كانت نحو ٧.٨٪ في القطاعين العام والخاص عام ١٩٩٦، مما يشير الى قضية أعمق تتعلق بالجهاز المصرفي وليس طبيعة القطاع المقترض، المسألة إذن تحتاج الى نظرة متفحصة للأرقام، وتحليل موقف القطاعين بأمانة كاملة دون مزايدة، مع تحري العدالة في التقويم والتوصيف.

د. عبدالمنعم سعيد

أيام السادات وأيام نيكسون

بعد تردد طويل قمت بمشاهدة فيلم «أيام السادات»، فلم يحدث أن استمعت إلى آراء متناقضة بصدد عمل فنى قدر ما حدث هذه المرة حيث لم تتعدد الآراء ما بين كل ألوان الطيف الواقعة فى التقييم كما هى العادة، وإنما كان الانقسام ما بين من يرونه عملا فاشلا بشكل ساحق، ومن يرونه عملا ناجحا بشكل كاسح، ولا يوجد رأى واحد ما بين الرأيين. ولم يكن هذا الانقسام راجعا فقط إلى الانقسام الوطنى السام حول شخصية الرئيس السادات، والذى عادة ما يتحول إلى إنقسام ما بين عبد الناصر والسادات، الذى هو أشد من الناحية القومية من الانقسام فى التأييد والحماسة بين الأهلى والزمالك، وإنما كان راجعا أيضا إلى القيمة الفنية للفيلم والتى انقسم فيها الرأى بشدة حتى بين هؤلاء الذين ليست لهم آراء سياسية على وجه الإطلاق. ولقد قمت بمشاهدة الفيلم فى نفس السينما التى عرضت وشاهدت فيها فيلم ناصر 56، وفى نفس حفل العرض، وفى نفس اليوم من أيام الأسبوع، وكانت نتيجة المشاهدة ما سوف يلى:

كانت قاعة السينما مزدحمة تماما. وفى الحقيقة فى حفل الساعة التاسعة من مساء يوم الأربعاء لم يكن هناك مقعد واحد خال، وكما كانت الحال مع فيلم ناصر 56 كانت الأغلبية من الشباب الذين لم يعرفوا زمن السادات، وبنفس الدرجة كان استقبالهم للفيلم حماسيا. الاستنتاج الذى نصل إليه هو أن شباب الأجيال الجديدة ليس ناصريا وليس ساداتيا، لكنه مهتم بالتعرف على تاريخ مصر بأكثر مما نعتقد. وهو متحمس لإنجازاتها، لكنه فى ذات الوقت يرى فى ذلك تاريخا ذهب وراح. ولا ينبغى له أن يحكم الحاضر بأى معنى. وبالتأكيد فإنه لا ينبغى له أن يصادر على المستقبل.

الأهم من رأى الشباب فى الفيلم وفى السادات، أن العمل الفنى فى حد ذاته جيد، وهناك طريقة فى تقدير العمل الفنى وهى أنه ذلك العمل الذى لا تشعر خلاله بالرغبة فى الرحيل أو إذا كان معروضا فى التليفزيون لا تنتقل إلى المحطة التالية على الريموت كونترول. وقد كانت تلك هى الحال مع فيلم «أيام السادات» الذى تشعر عند نهايته بأنك تتمنى لو كان ممتدا لساعة أخرى رغم أن مدته ثلاث ساعات كاملة. ويعود ذلك بصورة أساسية إلى الحبكة الفنية الكبيرة فى الفيلم، وليست الرواية، فرغم ما يغرى بكثير من الثرثرة واللغو المعتاد، فإن المشكلة مع هذا الفيلم هى الرغبة فى التعرف على مزيد من التفاصيل.

وعلى الأرجح أن مخرج الفيلم محمد خان استفاد كثيرا من فيلم «نيكسون» الذى أخرجه أوليفر ستون، ومثل دوره أنتونى هوبكنز، فالبداية واحدة وهى نقطة الوصول إلى قمة السلطة بالنسبة لريتشارد نيكسون وأنور السادات ومنها تعود الأحداث إلى الطفولة والبداية ورحلة الكفاح التى تمتلىء بالتفاصيل حتى نصل إلى النقطة التى كنا عندها مرة أخرى، وبعدها تنتقل الأحداث نحو الفصل الأخير، نيكسون حتى ووترجيت التى كانت فيها نهايته، والسادات حتى الذهاب إلى إسرائيل وبعدها الاغتيال ممن لم يتحملوا خطابه أمام الكنيست. الرحلة الأولى بطيئة نوعا وفيها كل التفاصيل وفيها قدر لا بأس به من التأمل أحيانا، وفيها الفلسفة أحيانا أخرى، وتأخذ وقتها من الرواية، وكثير منها بالأبيض والأسود، والطفولة لم تكن سعيدة بالمرة،

والشباب أيضا كان شاقا. أما من القمة إلى النهاية فكل شيء يمضى بسرعة، والتفاصيل ليست كثيرة، ولا يزيد فيها العمل الفنى على الإشارات والتلميحات، فالطريق إلى القمة صعب وطويل وشاق، أما الطريق من القمة إلى السفح والنهاية فسريع ولا يحتاج إلى معارف كثيرة.

ولكن الفارق بين ستون وخان أن الأول عرف كيف يولد الدراما من الموضوع. ولعلها وجدت فى تلك العقدة المتولدة لدى نيكسون من علاقته مع كيندى الذى كان يطل عليه من وراء كل باب. وحتى عندما مات لم يفكر أحد فى أن يدعوه لحضور الجنازة رغم كونه نائبا سابقا لرئيس الجمهورية وواحداً من أهم قادة الحزب الجمهورى. وبشكل ما كان نيكسون يعتقد أن مكانته فى التاريخ أرفع وأفضل من كيندى. فرغم أنه من الحزب الجمهورى فقد كان هو الذى أخرج أمريكا من فيتنام بينما كان كيندى هو الذى ورطها فيها، وكان هو الذى نقل العلاقات مع السوفييت من الحرب الباردة إلى الوفاق مهما كانت الادعاءات السلامية للديمقراطيين. وحتى عندما تحدث هؤلاء عن المجتمع العظيم كان هو الذى نفذه. ومع ذلك كان كيندى محبوبا عن نيكسون، وكانت المؤسسة الثقافية تبجله وتحبه وتشيد به أما نيكسون فقد كانت دوما متشككة فيه وفى دوافعه. شيئا من هذا كان موجودا لدى السادات فى علاقته مع عبد الناصر. فتاريخه فى النضال الوطنى سابق عليه، وكان هو أول من ذهب ليلقى خطاب الإعلان عن الثورة، وكان هو الذى حرر الأرض التى احتلت فى عهد عبد الناصر مرتين. وكان هو الذى أتاح من الحريات السياسية والصحفية ما كان حلما فى عهد عبد الناصر.

ومع ذلك فإن النخبة والوطن والجماهير أحبت عبد الناصر وبجلته أكثر، وكانت على استعداد فى كثير من الأحيان أن يكون الاحتلال على يد عبد الناصر أفضل من التحرير على يد السادات، وبشكل ما كانت متشككة دوما فى دوافع السادات وتحركاته بينما كانت واثقة فيما يفعله عبد الناصر حتى ولو كان القبول بتقييد السيادة على سيناء بعد حرب 1956، وقبول مبادرة روجرز عام 1970، وهى ذات الأمور التى رفضتها من السادات. هذه العقدة كان من الممكن أن تحبك فيلم أيام السادات أكثر مما حدث بالفعل، وفى بعض اللحظات بدا أن خان قد اقترب مما فعله ستون، ولكن بعد فترة قصيرة بدا أنه يهرب من المعادلة الصعبة لكى تكون الدراما فى قصة الصعود وهى فى حد ذاتها موجودة لدى نيكسون فى شقائه وموت أخيه بالسل، ولدى السادات فى بداياته الفقيرة ورحلته المضنية مع الكفاح. لكن ذلك ضاع هو الآخر، وبشكل كاريكاتورى أحيانا، ومسطح فى أحيان أخرى، وعندما أمسك أحمد زكى ومعه محمد خان بزمام الشخصية واقتربا من الدراما فى رحلة السقوط القصيرة بعد رحلة الصعود الطويلة كما فعل ستون تماما كان الفيلم كله قد انتهى ولم يبق الكثير ليقال. وعلى أى الأحوال ربما كانت المقارنة التاريخية بين نيكسون والسادات صعبة، وكذلك الحال فى المقارنة الفنية، فالشقة واسعة والاختلاف ظاهر مهما كانت مظاهر الاقتراب، لكن الفيلم فى كل الأحوال يستحق التحية.

البريد الالكترونى: amseed@ahram.org.eg



المصدر: الاهرام الاقتصادي
التاريخ : ٣٠ يوليو ٢٠٠١

من مصر إلى إيران وبالعكس....!

خلال يومى ٢٠ و٢١ يوليو الجارى عقد مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ومعهد الدراسات السياسية والدولية بوزارة الخارجية الإيرانية فى طهران، ندوة عن العلاقات المصرية - الإيرانية فى القاهرة.

وكانت هذه الندوة هى الجولة الثانية من جولتين تمت الأولى منها فى ايران خلال شهر يوليو من العام الماضى، وكان موضوعها ايضا هو العلاقات بين القاهرة وطهران التى تلتف حولها الكثير من الشكوك والهواجس حتى إن العلاقات الدبلوماسية ظلت على مستوى رعاية المصالح رغم حرص البلدين على اعطائه مكانة السفارة من الناحية العملية.

ورغم هذه الحالة الملتبسة على الأقل فى العلاقات بين البلدين، فإن الاقبال على حضور الندوة كان كثيفا للغاية، بل إن كثيرين تخطوا مسألة الدعوة الضرورية للمشاركة وحضروا للمشاركة وابداء الرأى الذى كان فى معظمه حماسا لعودة العلاقات واستئناف ما انقطع بين البلدين. وحتى اللحظة الأخيرة من الندوة كان الحضور منتظما وكثيفا، وعندما قاد برنامج زيارة الوفد الايرانى، الذى جاء على غير العادة سياسيا واكاديميا فى أن واحد، إلى احياء الأزهر والحسين ومناطق الاسكندرية المختلفة، كان الود الشعبى ظاهرا ومعبرا عنه بأشكال مختلفة. وفى الحقيقة فإنه لا ينبغى أن تكون هناك مفاجأة فى ذلك، فخلال الفترة ما بين شهر سبتمبر من العام الماضى وشهر فبراير من العام الجارى أجرى مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام استطلاعا للرأى العام شمل مسحين للجمهور العام ومسحا واحدا للقطاعين العام والخاص، والنخبة الاكاديمية والاعلامية، وكان موضوع الاستطلاع الأساسى هو التكامل فى المشرق العربى، وحتى يتم ضبط نتائج الاستطلاع كان لابد أن نسأل أيضا عن دول الجوار الجغرافى ايران وتركيا واسرائيل.

وفيما يخص ايران كانت نتائج الاستطلاع واضحة للغاية، بل إنه فى الأغلب الأعم وضعها الجمهور والنخبة فى نفس المرتبة التى وضعت فيها الدول العربية المستطلع عنها وهى الأردن وسوريا وفلسطين ولبنان. وكما يوضح الجدولان المنشوران فإن النظرة العامة تشير إلى وجود ايجابية للعلاقات بين البلدين ورغبة كبيرة فى تحسينها ، وان ذلك يتزايد مع الزمن. فالرأى العام المصرى رأى فى شهر سبتمبر أن العلاقات بين البلدين وبنسبة ٦٦,٥٪ إما أنها جيدة جدا أو جيدة نوعا ما، وارتفعت هذه النسبة إلى ٧٣,٨٪فى مسح فبراير الثانى، ومع هذه النظرة الايجابية فى العموم فإن الرأى العام يطالب بالعمل على تقوية هذه العلاقات وبنسبة ٧٩,٨٪ فى المسح الأول ثم ٨٢,٣٪ فى المسح الثانى بينما نقص من يعتقدون بوجود حادة للحد من مستوى العلاقات بين البلدين من ٦,٢٪ إلى ٤,٧٪.

وكما هو الحال فى معظم هذا الاستطلاع للرأى العام، فإن هناك مفارقة كبيرة بين النخبة والجماهير، وبين الصفوة والعامة. فالنخبة متشككة بشدة فى حال العلاقات ويكاد من يرونها سيئة نوعا ما أو سيئة متساوية تقريبا إذا ما حسبنا هامش الخطأ فى الاستطلاع، كما أنها متحمسة للغاية للعمل على تقوية العلاقات المصرية - الايرانية وبنسبة تصل إلى ٩٧٪ فى القطاع الاعلامى و ٩٦,١٪ فى القطاع الخاص و٩٥٪ فى القطاع العام و٩٤,١٪ فى القطاع الاكاديمى، وفى القطاعات الأربعة للنخبة فإن من طالبوا بالحد من مستوى العلاقات لم يزد عن ١٪ وربما كانت هناك شريحة صغيرة فى القطاع

الاكاديمي مقدارها ٥٪ ترى بابقاء هذه العلاقات على ما هى عليه.

وإذا كان ذلك يفسر الحماس العام والنخبوى للعلاقات المصرية ـ الايرانية، وإذا كانت مشاهدات الوفد المصرى فى طهران فى العام الماضى صحيحة وكانت مشابهة، إن لم يكن أكثر للحالة المصرية، فإن السؤال الواضح هو لماذا لم تستأنف العلاقات بين البلدين خاصة وانهما الآن أكثر حاجة لبعضهما البعض من أى وقت مضى. فمن الناحية الايرانية فإن فوز الاصلاحيين فى الانتخابات الأخيرة بالرئاسة للمرة الثانية والتى أوصلت للمرة الثانية الرئيس خاتمي للحكم بعد أن ظن الجميع بفشل برنامجه الاصلاحي، يجعل من العلاقة مع مصر ضرورية لدعم تيار الاعتدال والاصلاح فى ايران، والحصول على الدعم المصرى السياسي والدبلوماسي لتطبيع وضع طهران مع دوائر كثيرة متشككة فى العالم وبعضها بالغ الأهمية لعمليات الاصلاح الاقتصادى فى الدولة التى ستتوقف عليها قدرة الاصلاحيين على قيادة السياسة فى الجمهورية الاسلامية.

ومن ناحية مصر، فإن أوضاعا كثيرة قد تغيرت بدورها، ففوز الاصلاحيين للمرة الثانية يؤكد صلابة التيار الاصلاحي وقدراته التنظيمية مهما كانت عمليات المناوأة الداخلية من المحافظين والمتشددين. كذلك فإن الدول العربية الشقيقة التى كانت لها حساسياتها الغائرة من طهران بسبب مسألة «تصدير الثورة الاسلامية» ، قامت بالفعل باعادة العلاقات الدبلوماسية مع طهران وتقويتها، بل إن المملكة العربية السعودية وقعت اتفاقية أمنية معها. وحتى بالنسبة إلى دولة الإمارات العربية المتحدة التى تربطها بمصر وشائج كثيرة وفى الوقت نفسه لديها نزاع حاد مع ايران بسبب الجزر الخليجية الثلاث طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى، فإنها لم تعد العلاقات الدبلوماسية فحسب، بل إنها قوت إلى حد كبير العلاقات التجارية والاقتصادية معها حتى إن دولة الإمارات تعد الشريك التجارى الأول بين الدول العربية لايران. وأخيرا فإن الأوضاع الراهنة فى الشرق الأوسط، واتساع الشهية العدوانية لشارون تجعل المنطقة كلها محملة بالاحتمالات الصعبة التى تستدعى مراجعة حساسيات قديمة والسعى إلى بناء توازن استراتيجي من نوع جديد قد يساعد على كبح نزاعات عدوانية قبل بلورتها واكتمالها.

ولكن المسألة ليست بمثل هذه البساطة، فلو أن الاعتبارات الاستراتيجية وحدها هى التى تتحكم فى قرار العلاقات المصرية ـ الايرانية لكانت هذه العلاقات قد عادت منذ فترة. فالواضح أن هناك كوابح منعت حدوث ذلك خلال الفترة الماضية رغم اقتراب الطرفين أكثر من مرة من قرار عودة العلاقات فإنهما كانا ما يلبثان العودة بعيدا عنها. ومن جانبنا فى مركز الأهرام فقد كنا حريصين على عرض نتائج رحلتنا السابقة إلى ايران على صفحات الأهرام ومطبوعات المركز المختلفة، لكى ننقل للقراء والباحثين وصناع القرار صورة موضوعية وأمينة، عن بلد ابتعدت به الأحوال عنا لفترة طويلة، مرة لأننا تبادلنا مقاعد الثورة والتغيير، ومرة لأن ظروف المنطقة لم تسمح بالتفكير الهادئ والمراجعة المعتدلة ، ومرة لأنه كان هناك دوما من يلقى الحطب على النار المتقدة ، وبعد زيارتنا لطهران وجدنا سببا إضافيا عندما نشرت صحف مصرية وأخرى إيرانية استنكارا للحوار الذى دار بين المركزين الإيرانى والمصرى، وساعتها بان أن هناك جمعية عفية غير رسمية للمنتفعين بسوء العلاقات المصرية الإيرانية، نصبت نفسها دون تفويض أو ترتيب من أحد، على أنها المتحدث الرسمى والوحيد عن صلاح العلاقات بين القاهرة وطهران.

على أى الأحوال فبعد مضى عام على لقاء العام الماضى، فإن المهمة التى ألقاها مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام على عاتقه كانت دوما تنمية التفاهم الموضوعى والعلمى والهادىء بين الجماعات العلمية والبحثية فى مصر وإيران ،وهى التى فرضت نفسها على لقاء طهران ، كما فرضت نفسها على لقاء القاهرة . وقد كان واضحا فى اللقاءين أن أطرافه لا يعملون بالسياسة، ولا يقومون بصنع القرار بدلا من الذين عليهم القيام بهذا الدور، وإنما كان الدور هو القيام بالدراسة والتحليل وأحيانا التعبير عما يبدو ضروريا للصلاح والفلاح لأحوال البلدين ـ وقد كان الاعتقاد فى طهران، كما كان فى القاهرة، أن تحسن العلاقات المصرية ـ الإيرانية هو ضرورة سياسية، بل استراتيجية، لمصر وإيران خاصة فى لحظة تضطرب فيها أحوال العالم وأمور المنطقة .

وكانت أمور كثيرة قد تغيرت خلال عام واحد، وفضلا عن المتغيرات العالمية والإقليمية المتسارعة بطبيعتها التكنولوجية والاقتصادية التى انطلقت بسرعة الضوء خلال السنوات الأخيرة، فإن العام الماضى حمل أمورا تخصه فرضت نفسها على النقاش ، فقد تغيرت الإدارة الأمريكية وانتقلت بعد ثماني سنوات من حكم الديمقراطيين إلى حكم الجمهوريين، وانتاب العالم دورة من الركود الاقتصادى، وفشلت جهود السلام فى الشرق الأوسط ،ونشبت الانتفاضة الفلسطينية الباسلة التى تمر فى هذه اللحظة بأشد لحظات الاختبار، كما تغيرت مصر وإيران من خلال الانتخابات العامة التى أدت إلى مجلس جديد للشعب المصرى تحت الإشراف القضائى لأول مرة، وحدثت الانتخابات الرئاسية فى إيران لكى يتم اختيار الرئيس خاتمي للمرة الثانية.ورغم أن نتائج الانتخابات فى البلدين أشارت إلى الاستمرارية والاستقرار إلا أنها أعطت إشارة مهمة من إيران أن اتجاه الإصلاح ليس اتجاها عرضيا وإنما هو الاتجاه الأصيل الآن فى السياسة الإيرانية إن العلاقات الإيرانية ـ المصرية التى تم الحديث عنها فى الندوة لم يقتصر على ما جرى فى هذه العلاقات من تبادلات تجارية وتوافقات سياسية على الساحة الدولية، وإنما أيضا تلك العلاقات التى تقوم على توافق وتفاهم فى الرؤى الاستراتيجية التى تنظر إلى العالم ومنطقتنا بالإضافة إلى العلاقات الثنائية.ولذلك فإن الندوة، مع سابقتها صبت فى هذا الاتجاه، ورغم وجود خلافات واضحة حول قضايا الصراع العربى ـ الإسرائيلى، والموقف من الجزر العربية المحتلة الثلاث، بالإضافة إلى طائفة أخرى من القضايا فقد كان واضحا أن المناقشين المصريين والإيرانيين كانوا يطرحونها كنقاط للخلاف وليس التناقض، للحوار وليس للنزاع. وكان واضحا أنه رغم التمايز واختلاف الرؤى فإن مساحات اللقاء أكبر من مسافات الاختلاف، والتوافق حول الأهداف أكبر بكثير من وسائل الوصول إليها وكان الشعور السائد هو أن العلاقات المصرية ـ الإيرانية قد تطورت على جميع الأصعدة خلال العام المنصرم، كما أن التلاقى فى الرؤى الاستراتيجية الخاصة بقضايا دولية كثيرة وفى المقدمة منها موضوعات انتشار الأسلحة النووية وأسلحة الدمار الشامل، يشير إلى الآفاق والإمكانيات الكبيرة للتنسيق والتطوير لعلاقات بين شعبين كان لها التأثير الأكبر على تاريخ الشرق الأوسط والعالم الإسلامى .



جدول رقم (١) التوزيع النسبى للاستجابات حول وصف العلاقات السياسية الرسمية مع الحكومة الإيرانية

البلدان	القطاع العام	القطاع الخاص	القطاع الأكاديمى	القطاع الإعلامى	المسح العام الأول	المسح العام الثانى
جيدة جدا	٣.٠	-	٢.٠	١.٠	١٢.٣	١٥.٧
جيدة نوعا ما	٤٧.٠	٥٠.٥	٤٥.٥	٤٨.٠	٥٤.٢ ٦٦.٥	٥٨.١ ٧٣.٨
سيئة نوعا ما	٤٦.٠	٣٨.٨	٤٦.٥	٤٢.٠	٢٥.٩	٢٠.٠
سيئة جدا	٢.٠	٦.٨	٥.٠	٨.٠	٧.٥	٦.١

جدول رقم (٢) التوزيع النسبى للاستجابات حول العمل على تقوية العلاقات السياسية الرسمية مع الحكومة الإيرانية

البلدان	القطاع العام	القطاع الخاص	القطاع الأكاديمى	القطاع الإعلامى	المسح العام الأول	المسح العام الثانى
العمل على تقوية العلاقات	٩٥.٠	٩٦.١	٩٤.١	٩٧.٠	٧٩.٨	٨٢.٣
إبقائها على ماهى عليه	٣.٠	١.٩	٥.٠	٢.٠	١٤.٠	١٣.٠
الحد من مستوى هذه العلاقات	١.٠	١.٠	١.٠	-	٦.٢	٤.٧



مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاهرام الاقتصادي

التاريخ : ٢ اغسطس ٢٠٠١

مرة أخيرة

السلام فى زمن الحرب

فى ١

المقال المنشور فى هذه الصفحة من الاسبوع تمت الاشارة الى حالة جديدة من النهضة فى حركات السلام الاسرائيلية والعربية بعد تراجع وكمون ومراجعة خلال الاشهر الماضية منذ بدأت الانتفاضة الفلسطينية الباسلة وحتى الآن. وقد تمثل هذا النهوض قيام عشرون منظمة للسلام فى توقيعها بيان بعنوان«فقط بالحوار والمفاوضات من اجل السلام يمكن انهاء الصراع» وقيام خمسون شخصية فلسطينية واسرائيلية مرموقة بتوقيعها بيان مشترك بعنوان« لا لنزيف الدماء، ولا للاحتلال، نعم للمفاوضات ، نعم للسلام».

ولم يكن ذلك آخر مظاهر النهضة الجديدة فقد تبع البيان تحركين مهمين: اولهما قيام كل من السيد ياسر عبد ربه وزير الاعلام فى السلطة الوطنية الفلسطينية ويوسى بيلين وزير العدل فى الحكومة الاسرائيلية العمالية السابقة ونشرا مقالا مشتركا فى صحيفة النيويورك تايمز اعادا فيه نشر الخطوط الرئيسية للبيان وجددا فيه العزم على اعادة بناء الثقة واذكاء الامل من جديد فى السعى من اجل السلام الدائم الذى يسمح للشعبين الفلسطينى والاسرائيلى بالعيش معا بحرية وامن كجارين متساويين. وثانيهما نجاح حركات السلام الاسرائيلية فى تنظيم مظاهرة من اجل السلام بلغ عدد المشاركين فيها لاول مرة منذ نشوب الانتفاضة عشرة آلاف مشارك، بعد اشهر طويلة لم تكن هذه الحركات قادرة على اجتذاب الا عشرات قليلة أو مئات على اكثر تقدير.

السؤال الآن هو هل وصل اتجاه المواجهة والعنف الى اقصى درجاته وبدأ يفسح الطريق لتيار آخر معنى باستئناف العملية السلمية، أما ان الظهور الجديد لحركات السلام قد جاء متأخرا للغاية وانه لامهرب فى النهاية من استمرار الصدام وتصعيده حتى يصل الى الدرجة التى قد يصل بها الى حرب شاملة فى المنطقة؟

الاجابة على هذه الاسئلة صعبة، وربما كان اعضاء حركات السلام هم اول من يدرك صعوبتها، ولم يخف ياسر عبد ربه ويوسى بيلين تشاؤمهما فى مقال النيويورك تايمز حينما قال إنه لسوء الحظ فإن الوقت فى جانبهم (الرافضين لعملية السلام على الجانب الفلسطينى والاسرائيلى)، وليس فى جانبنا(معسكر السلام على الجانبين الفلسطينى والاسرائيلى)، وكلما طال انتظارنا اكثر قبل العودة الى التفاوض والتوصل الى اتفاقية كان هناك مزيد من اراقة الدم، وستزداد القلوب قسوة، وعلينا ان نتحرك الآن لوضع نهاية للا انسانية الطرف الآخر واحياء خيار السلام العادل الذى

يبشر بمستقبل لشعبينا».

وعلى الارجح أن هذا التشاؤم الشديد من الاحوال على الجبهة الفلسطينية - الاسرائيلية، وربما الشرق الاوسط كله، هو الذى ادى الى هذا التحرك المفاجئ والسريع على جبهات عدة من قبل حركات السلام. فقد بات واضحا ان تقرير لجنة ميتشيل لم يفض الى شىء ، وفشلت الاطراف عن عمد أوغير عمد فى تطبيقه، وظهر أن الوسطاء الدوليين فى الامم المتحدة والولايات المتحدة واوروبا وحتى روسيا قد نفضوا ايديهم من القضية ، وذهب القادة والزعماء الى اجازاتهم الصيفية مهما كانت اصوات المتفجرات عالية فى الشرق الاوسط، ووصل الحال بالرئيس جورج بوش الابن الى الحصول على اجازة لمدة شهر كامل وهو ما لم يحدث فى تاريخ رؤساء الولايات المتحدة من قبل. وهكذا بات واضحا ان الامور لوتركت لحالها فسوف تتصاعد، خاصة ان شارون ومجموعته اليمينية الفاشية الدموية اصبحت تتلمظ على تصعيد القتال عن طريق القتل والاستهداف المباشر للقادة الفلسطينيين وكأنه يستدعى مباشرة الانتقام الاستشهادى الفلسطينى حتى يصل الى النقطة التى تدعى فيها ضرورة اعادة احتلال الاراضى الفلسطينية المحررة.

واذا لم يفلح ذلك فإن شارون الذى فشل فى تحقيق الامن للاسرائيليين اصبح راغبا فى تصعيد الموقف الى درجة الحرب الاقليمية، فالمواجهة الراهنة ليست وفق هواه، كما أن اساليب الصدام ليست هى التى برع فيها الجيش الاسرائيلى، ولذا فإن حربا اقليمية تدخل فيها الدول العربية هى التى تناسب شارون تماما وتجعله يسعى الى استدراج مصر وسوريا الى حرب عربية - اسرائيلية جديدة. والحقيقة ان ذلك ليس هدف شارون وحده وانما هو هدف اطراف فلسطينية وعربية عديدة، وهوهدف لاتخفيه منظمات وحركات واحزاب سياسية قومية ودينية تحاول الضغط على الزعماء العرب تحت رايات الاتهام بالتخاذل وعدم نصرة القضية المركزية.

هذه الدرجة من الاحتدام للعنف، واتجاهه نحو التصعيد أثار قلقا بالغا لدى الاطراف، فالمقاومة على الجانب الفلسطينى، ومحاولات القمع على الجانب الاسرائيلى كانت مفهومة لدى قوات السلام على انها محاولات لاستخدام القوة لتحسين المواقف التفاوضية للاطراف. اما التصعيد، واعادة احتلال الاراضى الفلسطينية التى تسيطر عليها السلطة الوطنية، علاوة على شن حرب اقليمية لتغيير قواعد اللعبة كلها، فهو يعنى انتهاء كل ما تم الاستثمار فيه فى عملية السلام منذ مؤتمر مدريد واتفاقيات اوسلو وجميع الاتفاقيات

الانتقالية، وعلى الارجح فإنه سوف يطيح بمعاهدات السلام المصرية - الاسرائيلية، والاردنية - الاسرائيلية. امام هذا الموقف البشع كان لابد من التحرك، ومحاولة تغيير دفة الاحداث عن طريق خلق رأى عام لدى الطرفين يرغب فى اتجاه العجلة فى الاتجاه المعاكس لاتجاه الحرب والتصعيد.

وبالنظر الى طبيعة الاطراف المتحركة نحو بث الروح فى حركات السلام سوف نجد ان هناك سببا يعود الى التغيرات الى طرأت على البنى السياسية الداخلية لكل طرف، حيث ان الاتجاه نحو تصعيد المواجهة يخدم اتجاهات سياسية بعينها داخل فلسطين واسرائيل، فالواضح ان التصعيد يعنى هيمنة قوى اليمين الفاشى العنصرى الاصولى داخل اسرائيل، ويعطيها القدرة على البقاء فى السلطة لفترة طويلة، والاخطر التأثير على الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية داخل الدولة بحيث تؤثر على طبيعتها العلمانية والديمقراطية كما يتصورها اليسار الاسرائيلى ممثلة فى يسار حزب العمل الذى وقف بعيدا عن المشاركة فى الحكومة الراهنة. وبالتالى فإن هذه القوى التى تضم يوسى بيلين ومن هم على شاكلته تخلت عن تحفظاتها على قوى السلام التى بقيت على الساحة تناضل من اجل السلام العادل، وتتظاهر وتصدر البيانات وترسل الرسائل على كل الشبكات من امثال كتلة السلام أو جوش شالوم التى خرجت على الموقف الاسرائيلى ولم تطالب فقط بالانسحاب الاسرائيلى من الاراضى العربية المتحلة وانما ايضا طالبت بتدخل دولى من اجل تحقيق ذلك. وبهذه الطريقة فقد اتسعت تدريجيا جبهة السلام فى اسرائيل لكى تضم حركات السلام الصغيرة التى لم تتخل عن دورها للحظة، وحزب ميرتس وقوى السلام الآن التقليدية، واخيرا يسار حزب العمل. واذا اضيف كل ذلك الى العرب الاسرائيليين، فإن جبهة السلام تكون قد اتسعت الى حد كبير، خاصة ان برنامجها هذه المرة اكثر حزما وتحديدا من أى وقت مضى، فهى تطالب بالانسحاب من الاراضى المحتلة عام ١٩٦٧، والعودة الى مائدة التفاوض من حيث أنتهت فى طابا فى شهر يناير الماضى.

قدرا من هذا حدث على الجانب الفلسطينى ايضا، فرغم وجود الاجماع على تأييد الانتفاضة والمقاومة للاحتلال الاسرائيلى، إلا أن اصواتا فلسطينية بدأت تتساءل عن الهدف الاستراتيجى من الانتفاضة، وتطرح امكانات العودة الى الانتفاضة بالطرق السلمية مرة اخرى. هذا الطرح الذى جاء على لسان ابو العلاء وصالح عبد الجواد وغيرهما من الذين شاركوا فى توقيع بيان السلام مع

الاسرائيليين يعود فى جانب منه ليس فقط الى تيار الاعتدال الفلسطينى بوجه عام والحريص على الحفاظ على المكاسب الفلسطينية التى تحققت حتى الآن، والمتخوف من ان ينفض العالم يده من القضية الفلسطينية، وانما يعود ايضا الى تخوفه مما يسمونه«لبننة» فلسطين عن طريق تحويلها الى مجموعة من الميليشيات المسلحة التى تقوم تحت راية الكفاح والمقاومة بابتزاز السكان المحليين، وتعريض امنهم للخطر من خلال عمليات لها هدف تكتيكى او استراتيجى واضح اللهم إلا محاولة سحب البساط من تحت اقدام القيادة الفلسطينية المنتخبة ديمقراطيا من الشعب الفلسطينى واحباط محاولاته لترجمة الانتفاضة والمقاومة الى اهداف سياسية يمكن تحقيقها.

وهكذا، وبغض النظرعن الاهداف القومية لدى الطرفين، فان ماجرى خلال الاشهر العشرة الماضية قد اعاد ترتيب الاوضاع داخل الساحة السياسية لكل طرف، وشعرت قوى السلام انها لن تكون فقط خاسرة على مستوى الاهداف القومية التى لن تتحقق فى ظل الحرب والمواجهة التى ستؤدى الى بحور من الدماء، وانما ايضا الى تراجع مكانتها السياسية والثقافية داخل مجتمعها، ولعل ذلك فسر جزئيا على الاقل هذه الصحوة المفاجئة فى عمل جماعات السلام على الطرفين الفلسطينى والاسرائيلى، وحركتها الواسعة خلال الاسابيع الاخيرة.

ولكن، وعلى الجانب الآخر، فإن مهمة حركات السلام ليست سهلة بالمرة، ومن المرجح انها جاءت متأخرة للغاية، بعد ان استحكمت القوى التى ترفض السلام من الاصل وترى فيه تخليا عن الآمال القومية والطموحات الوطنية فى ضرورة الانتصار على الطرف الآخر وتصفيته تصفية كاملة. والحقيقة فإن هذه القوى قد استحكمت للغاية الى الدرجة التى باتت تهدد فيها الجبهة الداخلية لكل طرف بالحرب الاهلية اذا ما تراجع عن الحدود القصوى لاهدافه. ويبدو ذلك جليا للغاية على الجانب الاسرائيلى، فقوى المحافظة والاصولية والاستيطان باتت تستحوذ غالبية واضحة من الشعب الاسرائيلى، والجديد هذه المرة عما كان عليه الوضع فى الماضى هو قيام جماعات اصولية ارهابية مسلحة لم تعد تقبل بقواعد الديمقراطية فى اسرائيل. هؤلاء قد قاموا بالفعل بعمليات عسكرية وقتل الفلسطينيين بشكل وحشى من اجل توليد حالات انتقامية تخلق متواليات للعنف والمواجهة. لقد انطلقت قوى الطبيعة من عقالها وجاءت محاولات حصارها من قبل قوى السلام متأخرة للغاية، ان الشرق الاوسط بات فى حاجة الى معجزة لم تعد متاحة بكثرة فى هذا العصر!!.



المصدر: الاهـرام الاقتصادي

مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

التاريخ: ٦ اغسطس ٢٠٠١

هوامش على دفتر «ضد العولمة»

لا أدرى ماهو سر الحماس العربى الظاهر لحركات الاحتجاج العالمية التى جرى تسميتها على سبيل التلخيص ولغياب اية تسمية أخرى، «**ضد العولمة**» فما أن جرت المظاهرات الأخيرة فى جنوة أثناء انعقاد اجتماع قادة الدول السبع الغنية فى العالم ومعهم روسيا الفقيرة، وبعدها سقط كارلو جوليانى ميتا أو شهيدا خلال هجمة له مع عدد من رفاقه على عربة بوليس معزولة حتى انفتحت شهية الكتابات العربية حول عملية تقويض العولمة التى بدأت، والانهيار المتوقع لها فى القريب العاجل. وقال البعض أن الهيمنة الغربية والأمريكية تحت شعار العولمة لم يكن ممكنا له أن يستمر، وذكر البعض الآخر أن الماركسية فى النهاية لم تمت ولكنها تظهر دائما فى أشكال جديدة. وربط البعض الثالث مابين أحداث جنوة وماسبقها من أحداث فى سياتل وواشنطن وبراغ ونيس وكويبك وبورتو الجير وجوتبرج على أنها تمثل خطا متصاعدا للمقاومة داخل العالم الرأسمالى فإذا ماتم ربطه بالتطورات الأخيرة للعلاقات الروسية الصينية ومعارضة موسكو وبكين لبرنامج الصواريخ الدفاعية الأمريكى، لتصور الجميع أن هناك عملية إعادة لتشكيل العالم مضادة لما جرت عليه الأمور خلال التسعينات وفى أعقاب انتهاء الحرب الباردة.

وربما يكون ذلك صحيحا أو غير صحيح وربما سوف ينقلب حال العالم رأسا على عقب، وتقوم الثورة فى البلدان الرأسمالية وتنهار أمريكا وتصعد روسيا والصين ولا تعود فى حاجة للتكنولوجيا والأسواق الغربية وينصلح الحال وتعود الأيام إلى سيرتها الطيبة الأولى عندما كان فى العالم معسكرات متطاحنة ومتصارعة ومتنافسة ولكن المدهش فى الموضوع كله أن ماجرى منذ سياتل وحتى جنوة من حركة «**ضد العولمة**» لم يكن فيها عربى واحد، ولايوجد أى دليل على أن أنصار الحركة قد استلهموا الكتابات العربية فى الموضوع، ولايوجد حتى الآن دليل واحد على أن القضايا العربية كانت على جدول أعمال الحركة الوليدة ولم يحدث أحد أن أهتم بكيف سوف تكون أحوالنا إذا مانالت هذه الحركة مبتغاها وحققت أهدافها أما المدهش أكثر أن هذه الحركة الغربية أساسا كانت بدورها نتاج العولمة فأصولها جميعا تعود إلى شبكة الانترنت، ومنها انتقلت إلى الجماعات الأهلية العابرة للقوميات - التى عادة مانستنكر جهودها وعملها خاصة فى مجال حقوق الانسان والذى نعتبره نوعا من التدخل فى الشئون الداخلية واعتداء على السيادة الوطنية ومسا وحشيا بالثقا[illegible] القومية - التى قامت بالتعبئة والحشد للآلاف للتجمع من سياتل وحتى جنوة وفى كل

قمة تجمع الدول الغنية والغربية. ومن المؤكد أن هذه الجماعات استفادت كثيرا من تيار العولمة الاندماجى الذى أزال الكثير من قيود الفيزا التى سمحت بالتنقل الحر بين مدن العالم الغربى، والاستفادة من واحدة من أهم تقاليده - المستهجنة فى العالم الثالث والعالم العربى على وجه الخصوص - والمتعلقة بحق التظاهر والتجمع والتعبير عن الرأى بكل الصور الزاعقة فى أحيان كثيرة.

« **ضد العولمة** » هى إذن واحدة من منتجات « **العولمة** » الهامة، وواحدة من إفرازاتها وبالتالى فإنها لم تظهر فى العالم الثالث، وإنما فى العالم المتقدم، والمندرج بالفعل فى صفوف العولمة الخاصة بالتجارة والاستثمار وحركة المعلومات والثقافات عبر الحدود القومية، والشاهد على ذلك التفاعل المثير بين الثورة التكنولوجية المعاصرة والرأسمالية فى آخر مراحلها وتجلياتها، وربما كان مشروعا تماما تصور هذه الحركات الاحتجاجية كنوع من النقيض فى الجدل التاريخى مع ظاهرة عولمة عناصر الانتاج ولكن هذه المشروعية سوف تتم فقط من خلال فحص وتشريح هذه الحركة والتأكد أنها ليست مجرد حالة من حالات الاحتجاج التى تعرفها المجتمعات الرأسمالية الحرة المتقدمة من آن لآخر، كما كان حال حركة الطلبة فى الستينات وحركات الثورات الحمراء فى السبعينيات ، وحركات البيئة والسلام فى الثمانينيات . وهى حركات دخلت فى عمليات التفاعل التاريخى والديموقراطى ثم ذهبت بعد أن تركت بعضا من الآثار التى استوعبتها السياسات العامة، ولكنها بالتأكيد لم تقلب النظام الرأسمالى رأسا على عقب.

وللوهلة الأولى تبدو حركات « **ضد العولمة** » وكأنها النقيض الذى طال البحث عنه لدحض نظرية فوكاياما عن نهاية التاريخ بعد أن انتهى الديالكتيك نتيجة انهيار الاتحاد السوفيتى والفلسفة الاشتراكية التى كانت النقيض للرأسمالية والليبرالية طوال القرن العشرين.. وهى فى العموم تدعو إلى مناوأة النظام الرأسمالى العالمى، كما أن حسها الشائع مع الفقراء ضد الأغنياء والأهم يشيع فيها الدعوة لاستعادة المشروعية لحرف R الدال فى اللغة الإنجليزية على الثورة -REVOLU TION ولكن كل ذلك ليس كافيا بالمرة فالتسمية فى حد ذاتها « **ضد العولمة** » توضح ما الذى ترفضه هذه الحركات الاحتجاجية، ولكنها لا توضح ما الذى نقبل به، فليس معروفا على وجه اليقين القوى الاجتماعية التى تعبر عنها، كما أن أهدافها العديدة تجعلها بلا شعار محدد مثل ذلك الذى أفرزه ماركس فى عصور سابقة « **ياعمال العالم اتحدوا** ».

ولكن حركة « **ضد العولمة** » لاتعبر عن أى قوة اجتماعية محددة اللهم

إذا كان تجمع شرائح مختلفة من الطبقات الوسطى التى يؤرق كلا منها قضية ما تراها واجبة الدفاع، مع كم هائل من الرومانسية التى تسعى إلى تحسين حال البشرية وترى أن الظروف الحالية للعولمة والامكانيات التى وفرتها تتيح فرصة كبيرة لتحسن أحوال العالم. وبالتالى فإن كل المشاركين فى الاحتجاجات ليسوا ضد العولمة بل أن كثيرين منهم ضد بعض مظاهرها وتعبيراتها فقط، وهنا يوجد أنصار البيئة الذين يحذرون من الاحتباس الحرارى والتلوث الناجم عن النمو الهائل فى عدد البشر والآلة الإنتاجية العالمية ومايجرى عنها من حرارة وضمن هؤلاء وحدهم قد يوجد أنصار قضية واحدة مثل الحفاظ على الغابات الاستوائية التى يرون أن الشركات العالمية متعددة الجنسيات قد انتهكت عذريتها أو قضية السلاحف البحرية المهددة بالانقراض وتضع التوازن البيئى العالمى فى خطر. وضمن هؤلاء أيضا من يحاربون الفقر فى العالم ويرون أن العولمة قد زادت من فقر الفقراء وغنى الأغنياء وأحيانا يهبط الموضوع كله إلى قضية واحدة وهى المتعلقة بإلغاء الديون على الدول الفقيرة جدا، أو بمحاربة مرض الأيدز فى الدول الفقيرة والعاجزة عن علاج مرضاها، وبين هؤلاء وهؤلاء كم هائل من أصحاب النوايا الحسنة والطيبة.

ولكن أصحاب النوايا الحسنة والطيبة ليسوا وحدهم فى الساحة، فقد انضم لهم جمع كبير من الفوضويين أصحاب الملابس والأعلام السوداء، وهؤلاء تاريخيا ضد الدولة والتنظيم الدولى، وهم يبحثون عن الثورة والعنف عبر كل العصور سواء كانت لها علاقة بالعولمة أو ليست لها علاقة.. وانضم لهم جماعات ممن يصعب تحديد انتماءاتهم ، بل أنهم من نوعية الجماهير التخريبية التى غالبا ماتحضر مباريات كرة القدم لكى تحولها فى النهاية إلى ساحات للقتال، فهم أقرب للبلطجة منهم إلى الحركات السياسية تحت أى علم أو رداء ومنهم على الأرجح كانت تلك المجموعة التى اندفعت فى جنوة نحو عربة الشرطة المنعزلة فى محاولة لحرقها فقتل رجل البوليس كارلو جولياني ليكون أول ضحايا عنف **«ضد العولمة»**.

الظاهرة بهذا المعنى مركبة ومعقدة بأكثر كثيرا ممايظن الجميع فى مصر والعالم العربى، بل أنها وإلى حد كبير متناقضة مع بعضها البعض إلى درجة وصلت أحيانا إلى حد التصادم .. وربما كان أهم أجزاء هذه الحركة هواهتمامها بالفقراء، وهو مالقى استجابة بالفعل فى قمة جنوة عندما طرحت الولايات المتحدة مشروعا لإعفاء الدول الفقيرة من ديونها، بالإضافة إلى الموافقة على المشروع الذى طرحه كوفى عنان الأمين العام للأمم المتحدة لإنشاء صندوق خاص لمقاومة الأيدز فى الدول

الفقيرة. ولكن من جانب آخر فإن الادعاء بأن العولمة هى سبب الفقر لايساندها الكثير من الأدلة العلمية، بل إن الواقع يشير إلى أن الدول الفقيرة للغاية فى العالم هى تلك الدول التى تمس من قريب أو بعيد حالة العولمة الاتصالية والاقتصادية وعلى العكس فإن كثيرا من الدول التى كانت فقيرة واندرجت فى مدارج التقدم مثل دول شرق وجنوب آسيا كان راجعا لدخولها الجسور فى مجالات العولمة المختلفة.

والحقيقة أن الربط بين العولمة والفقر فيه كثير من الخلط بين الفقر والمساواة، فمن الثابت أنه مع تقدم العولمة فإن الفقر يقل فى العالم وإذا كان هناك مليار ومائتى مليون من البشر يعيشون على أقل من دولار يوميا فإن معنى ذلك وجود حوالى أربعة مليار من البشر فوق هذا الحد، وهو مالم يحدث من قبل فى تاريخ البشرية، ومايحدث فعليا هو أن أحوال الفقراء تتحسن فى

العالم حتى بسبب التقدم التقنى والصحى فى العالم وانخفاض الأسعار بسبب المنافسة خاصة فى السلع الغذائية ولكن أيضا من جانب آخر - فإن أحوال الأغنياء والأفضل حالا فإنها تتحسن بشكل أسرع وأفضل نتيجة استعدادهم الأكبر للتعامل مع العولمة بسبب التعليم والصحة الأفضل. وفى الواقع أن كل ذلك يؤدى إلى نتائج ملتبسة من حيث توزيع الثروة حيث يبدو أن الفارق مابين الـ ١٠٪ الأغنى فى العالم يتسع مع الـ ١٠٪ الأفقر فى العالم، ولكن الحال ليس كذلك إذا ماكان القياس على الـ ٢٠٪ الأغنى والأفقر فى العالم حيث تبدو أن الفجوة تضيق ولا تتسع.

هذه المفارقة التى ذكرها عالم السياسة الأمريكى فريد زكريا فى مجلة النيوزويك يضيف لها أن جزءا من كارثة العالم الثالث والفقراء عموما يعود إلى مقاومة نتائج العلم والتقدم التكنولوجى فرغم المجاعات المنتشرة فى الدول الفقيرة فإنها ترفض الأغذية المعالجة جينيا التى تستخدم فى الدول المتقدمة، وهى أغذية فضلا عن غناها بالبروتين، ومقاومتها للأمراض، وسرعة نضجها فى الحقل بمايتراوح بين ٣٠ و ٥٠ يوما وتفضل هذه الدول الموت بسوء التغذية على التعامل مع هذه النوعيات الجديدة من الغذاء وكذلك الحال بالنسبة لاستخدام مادة الـ د.د.ت فى مقاومة الملاريا، ولا شك أن لها آثارا جانبية، ولكن المشكلة هى أن عدم استخدامها يؤدى إلى وفاة مليون إنسان سنويا من المرض اللعين.

المسألة هنا أن كثيرا ممن هم «**ضد العولمة**» يقدمون نصائح للفقراء تجعلهم أكثر فقرا ومرضا لمجرد معارضتهم لكل مايرتبط بالحداثة والتقدم.



المصدر: الاهـرام العربي

مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

التاريخ: ١١ اغـسطـس ٢٠٠١

التعاسة فى بحر السعادة!!

قادتنى المقادير لقضاء يوم بليلة فى مدينة الإسكدرية بمصاحبة الوفد الإيرانى من معهد الدراسات السياسية والدولية الذى عقد ندوة أخيرا مع مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية فى الأهرام. وكما هى العادة فإن رحلة كهذه تكون محملة بالأعباء النفسية والفكرية «القاهرية» التى هى دائما «نكدية» إلى حد كبير، وفيها الكثير من السخط الناجم عن الكساد ومشكلات البطالة وما يسميه البعض بانهيار البورصة وسقوط العملة حتى ممن ليس لديهم سهم واحد فى شركة أو قرش واحد من عملة قابلة للتحويل. فالأحوال العامة كما تبدو من القاهرة يشوبها السخط والحزن ولطم الخدود على الحظ الهباب، والمستقبل المظلم، بالإضافة إلى قائمة أخرى متراكمة من المؤامرات المحلية والأجنبية والتفكك العربى، وعجز الجامعة العربية، والقادة العرب، والقهر الإسرائيلى المستمر للفلسطينيين تحت قيادة شارون هذه المرة، إلى آخر القائمة التى تدفع بالكآبة والاكتئاب!

ولكن الطريق من القاهرة إلى الإسكندرية يحمل وعدا آخر، وما بين البوابة الفرعونية فى مخرج العاصمة وحتى البوابة الهيلينية فى مدخل العاصمة الثانية يوجد نهر كامل من السعادة متمثلا فى تدفق بشرى هائل، ومن جميع الطبقات والفئات الاجتماعية، من يركبون عربيات المرسيدس الخاصة، ومن يركبون عربيات الشركات العامة، والكل سعيد ومبتسم، وتكاد لا تجد أثراً للأزمة الاقتصادية المستحكمة أو للأوضاع المتدهورة فى الشرق الأوسط، ولكن نهر السعادة ليس بشرا فقط وإنما يتمثل أيضا فى الوجود المادى لعشرات المحلات والخدمات المتزايدة على جانبى الطريق ويتنوع مدهش ما بين الفطير المشلتت وشطائر الهامبرجر حيث تمتزج الأصالة والمعاصرة فى مزيج مدهش للمثقفين من أهل القاهرة الذين أعيتهم القضية خلال القرنين الماضيين!

هذه المنشآت الاقتصادية المتعددة تقوم على ما هو أقوى وأكثر أصالة، فالطريق الصحراوى لم يعد صحراويا بالمرة، وصار أخضر تماماً فى معظم أجزائه على الجانبين منتجاً خيراً وسعادة لكل المصريين، وقد أدركت الإنجاز المتحقق حينما رجع بى الخاطر عقدين فقط إلى الوراء عندما كان الطريق موحشاً ولا يوجد فيه إلا محطة وحيدة فى المنتصف كانت شهرتها المدوية تعتمد على قدرتها فى استضافة الذباب أكثر من استضافة البشر، وكان السؤال الطبيعى هو إذا كانت الحالة «زفت» كما يقال فى القاهرة، فلماذا كل هذا التوسع الذى يجرى فى الطاقات الإنتاجية والخدمية لهذا الطريق، ولماذا كل هذا الابتسام والبشر على شفاه ووجوه كل الطبقات الاجتماعية، أم أن المسألة هى الإجازة، وأن «النكد» أصبح من جوهر الثقافة العامة فى القاهرة أما خارجها فإن الناس يعيشون فى حالة من السعادة المؤقتة. ربما!

ولكن المفاجأة الكبرى تأتى إلى الإسكدرية ذاتها، فقد أتت الزيارة بعد اكتمال كثير من المشروعات المعمارية والتجميلية للمدينة، ووجدت مدينة رائعة الجمال ومنافسة بحق فى جمالها وجاذبيتها لكل المدن المتوسطية الأخرى وكان صديقى الدكتور كاظم سجاد بور - مدير مركز الدراسات الدولية والسياسية فى طهران - هو الذى لاحظ ذلك الكم الكبير من السعادة على وجوه البشر. كانت الحياة على البحر فى المساء تسير فى سهولة ويسر، ويمكن للأغنياء والفقراء الاستمتاع بمدينة ساحرة، ولم يكن الأمر يحتاج إلى أكثر من الذرة المشوى والترمس والتين الشوكى لكى يستمتع الإنسان بأمسية رائعة. وعندما قطعت الطريق ذهابا وإيابا



عند كوبرى استانلى الجديد كانت معجزة الطريق الصحراوى الذى لم يعد صحراويا قد اكتملت بمدينة حضارية يصنعها البشر بشر منتجون وفنانون و«صنايعية» تلفُّ أيديهم فى الحرير. أليست هذه هى التنافسية التى يتحدثون عنها؟!

ولكن يبدو أنه فى بر مصر لابد للتعاسة أن تجد لها مجرى خاصاً فى بحر السعادة، تماما كهؤلاء الذين يجدون طريقة لضرب «الكرسى فى الكلوب» ساعة المولد، وهؤلاء الذين يخلقون شجاراً ما ليلة الزفاف لكى يفسدوا الفرح كله. وكما هى العادة فإن التعاسة سوف تأتى من التمساء من أهل الطوائف المهنية الذين يصر كل منهم على أن يكون لنقابته مبنى داخل حرم البحر وعلى شاطئه تماما، وبالتحديد ذلك الذى تم توسيعه بالردم فى المخطط التجميلى للمدينة. الصحفيون والقضاة والمهندسون والأطباء كلهم وغيرهم أقاموا مبانى قبيحة على البحر مباشرة فى سابقة لا تعرفها كل مدن العالم البحرية، وكلها بلا استثناء على الأرجح تصرف مخلفاتها فى البحر، وتستهلك كميات هائلة من الكباب والكفتة، وتعيد إنتاج مناقشاتها النكدية التى تركتها فى القاهرة على شاطىء البحر المتوسط، وتتحسر على انعدام الشفافية، ورواج الفساد، وطغيان القبح على الجمال، هكذا!!

هذه الكارثة الزاحفة على المدينة الجميلة آن أوان وقفها بحزم، وعلى الطوائف المختلفة أن تقوم بواجباتها الاجتماعية بعيدا عن حرم البحر، وربما تتعلم أن واجب النقابات هو ترقية عمل أعضائها وحمايتهم من العسف، ولكنه لا يتضمن إطلاقا تشويه المدن وتقديم الكباب والكفتة للأعضاء، والمنافسة مع النقابات الأخرى على من له باع أكثر فى استغلال المجتمع كله. ومن المدهش أنه عندما أثار الأستاذ سلامة أحمد سلامة القضية فى عموده المتميز بالأهرام إذا بكل أعضاء الطوائف يثورون وتدفع كل طائفة بأسبابها، فهذه هى التى تحمى المجتمع، وتلك هى التى تبنيه، والثالثة هى التى تحافظ على صحته، والرابعة هى التى تحافظ على العدالة فيه، والخامسة هى الجماهير العاملة قلب الشعب النابض، والسادسة هى المعبرة عنه وعن آلامه، وفيما عدا الفلاحين وحدهم فإن كل طائفة سوف تأخذ مقابل عملها تمييزاً بالباطل وهى تهتف للوطن والذود عنه، وإذا لم تفلح كل الحجج فى اغتصاب الشاطىء فإن الطائفة وأنصارها والمبتزين باسمها سوف يصرخون «واشمعنى» فى إشارة إلى طائفة أخرى حصلت بشكل ما على حق اغتصاب مصر.

هذه مسألة جادة وتستحق نقاشا وحواراً جادا فى المجتمع، الذى راحت دولة الطوائف المهنية تغتصب حقوقه وقوانينه دون وجه حق، ولا يقتصر الأمر على الإسكندرية التى بذلت جهودا جبارة وهائلة لإحيائها وإخراجها من الموات الذى وصلت إليه، وإنما يمتد إلى مصر كلها. والمسألة ببساطة قد تعود إلى دولة الأفندية التى قادت البلاد من أجل الاستقلال، وربما تعود إلى دولة الطوائف التى تسلمت الثورة لكى تحولها إلى بيروقراطية وروتين وامتيازات للطوائف المهنية مقابل مبايعتها للثورة والقيادة ومحاربة الاستعمار والإمبريالية. ولكن الحال لم تعد كذلك بالمرة، وتغير العالم وتغيرت مصر، وآن الأوان أن ترفع دولة الطوائف المهنية يدها عن الشواطىء والمبانى والمدن وأن تعود نقاباتها إلى عملها الأصلى كما هى الحال فى كل أنحاء الدنيا، ومصر هى التى أعطت دائما، ولادين عندها لأحد!

البريد الإلكترونى: amseed@ahram.org.eg



مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الأهرام

التاريخ: ١٢ أغسطس ٢٠٠١

التفكير رأسماليا..!

لم يكن أى شخص آخر غير الزعيم الصينى الذى بنى نهضة الصين المعاصرة دينج هيساو بينج هو الذى قال «من الرائع أن يصبح الإنسان غنيا»، وحينما قال ذلك فإنه كان يرج أبراج السماء فى الثقافة السياسية والاجتماعية الاشتراكية الماوية الصينية التى راحت لعقود تحث على الزهد والتقشف والمساواة عند أدنى حد من الدخل، والذى وصل أحيانا إلى حد التشابه بين الرجل والمرأة فى الملبس على الأقل. كان الحكيم فى بكين يعلم أنه دون إيمان الجميع بأنه من الرائع أن يصيروا أغنياء فإن الصين سوف تظل دولة فقيرة، ولن يحدث فيها تراكم للثروة، وبالتالى لن يكون هناك نمو أو تنمية وإنما فقر وإملاق يوزع بالتساوى - قدر طاقة النظام السياسى ونقاوته الأيديولوجية - بين الناس. كان الرجل عليما بالقصة الروسية - السوفيتية التى قالت إن الزعيم برجنيف السكرتير العام للحزب الشيوعى السوفيتى قد ذهب إلى واحدة من مزارع البطاطس الكثيرة المنتشرة فى الامبراطورية الواسعة الأطراف آنذاك، وسأل مدير المزرعة عن أحوال الإنتاج، فأجاب الرجل أن ما أنتجه العمال المزارعون غزير للغاية بحيث إذا ما وضع فوق بعضه البعض فإنه سوف يصل إلى السماء. وما كان من برجنيف إلا أن قال: أيها الرفيق ولكنك تعلم أنه فى الاتحاد السوفيتى فإنه لا توجد آلهة، فما كان من الرجل إلا أن أجابه أنه كذلك لا توجد بطاطس، فالحكومة تتظاهر بأنها تعطينا مرتبات ونحن نتظاهر بالعمل، وتكون النتيجة كما نرى!.

هذه الحلقة الجهنمية من الفقر واللاإنتاجية كان يعرفها الحكيم الصينى تماما، ولكى يتم اختراقها وتغييرها، كان لابد أن يتغير تفكير الصينيين لكى يتعلموا أن الغنى أفضل كثيرا من الفقر، وأن القوة بالتأكيد أروع من الضعف، وأن الغنى والقوة فى النهاية هما اللذان يراكمان الثروة ويطوران المجتمعات.

شيء من هذا حدث قبل قرون فى أوروبا، التى حكمتها الفلسفة السياسية المسيحية التى رأت فى الزهد والتقشف خلاص المؤمن، وفى الغنى والقوة فساده وعذاب روحه، حتى جاء الإصلاح الدينى لكى يقدم ما يسمى الأخلاق البروتستانتينية التى لا ترى مانعا خلقيا يمنع من العمل من أجل تراكم الثروة وزيادتها من أجل الفرد ومن أجل المجتمع.

وسواء كان الأمر فى الحالة الأوروبية الدينية، أو فى الحالة الصينية غير الدينية فإنه كان ضروريا تغيير تفكير الناس لكى تحدث الانطلاقة الكبرى فى الحياة ماديا ومعنويا. وقد حدث ذلك بالفعل فى الحالتين وبأكثر مما حدث فى التاريخ من قبل، فأوروبا والحضارة الغربية بوجه عام حققت الكثير وانتقلت من قارة تمزقها حروب الفقر والمجاعة والطاعون إلى بسط ظلها على كل العالم، أما فى الصين التى بالكاد تجاوزت عهود المجاعة لكى تعيش الفقر مقطرا تحت قيادة الزعيم الذى لا تغرب له شمس ماوتسى تونج، فقد قفزت قفزتها الكبرى بين الشعوب والأمم خلال العقدين الماضيين التى آمن فيها الصينيون بأنه من الرائع أن يصبح الإنسان غنيا، وشمر كل عن ساعده لكى يحقق هذه الأمنية.

مثل هذا نحتاجه بشدة فى مصر، ثورة فى التفكير تنقلنا من حال إلى حال، فبالرغم من مرور ربع قرن على الانفتاح الاقتصادى، وعقدين على التحول إلى الاعتماد على القطاع الخاص، وعقد على الإصلاح الاقتصادى، فإن الفكر الذائع فى المجتمع هو القائم على الدولة وأدواتها، وفيما عدا ذلك فإن فيه مظنة وشكا ومسا من الشيطان محتملا. وبالطبع فإن سياسة التدخل الحكومى لتثبيت أسعار الصرف - سواء عندما كان الدولار ضعيفا أو عندما كان قويا - كانت لأن الحكومة خافت فى الحالة الأولى أن تنهار قيمة مدخرات المصريين بالدولار وفى الحالة الثانية لأنها خافت من انهيار مدخراتهم بالعملة المصرية، وفى الحالتين كان المصريون متخوفين، فالثبات الحكومى هو الذى يرضى الجميع والحكومة سوف تقوم بالنيابة عنهم فى تقرير ما هو مناسب.

هذا التفكير لا يوجد فى أى مجتمع رأسمالى - صحت رأسماليته - فى العالم، لأن تغيير أسعار العملات هو إحدى أدوات الرأسمالية لتوزيع التكلفة والعمل بين الأسواق، ولعل المصريين أنفسهم شاهدوا المارك الألمانى يهبط من نحو ٢٤٥ قرشا إلى ١٦٧ قرشا خلال عامين حسب سعر تحويله إلى الدولار، أما بالنسبة لليرة التركية فقد انخفضت قيمتها من نحو الألف ليرة للدولار فى أوائل التسعينيات إلى ما زاد على مليون وثلاثمائة وخمسين ألفا فى مطلع شهر يوليو الماضى. وما بين هذا وذاك انخفضت عملات وارتفعت ومعها كان يتم تصحيح السوق، وفى أوقات كان بعض الاقتصاديين الأمريكيين يشكون من الارتفاع غير المبرر فى سعر الدولار، أما الشكوى اليابانية فكانت من ارتفاع سعر الين فى كل الأوقات.

المرونة فى سعر الصرف هى التى تحرك الأفراد للبيع والشراء والاستثمار والانتقال من عملة إلى أخرى ومن مجال للعمل أو الاستثمار إلى مجال آخر، وجوهر الرأسمالية هو التكيف من خلال قرارات الأفراد، وليس القرارات التى يأخذها فرد من أجلهم، على أساس أن الجميع يعلمون أنه لا يوجد غذاء بالمجان وإنما لكل قرار ثمن. مثال ودرس مهم حدث خلال الأيام القليلة الماضية فيما يخص مباراة النادى الأهلى مع نادى ريال مدريد، فدون اعتبار لكون نادينا هو نادى القرن فى إفريقيا بينما النادى الآخر هو نادى القرن فى أوروبا، فقد اتخذ الأخير قرارا رأسماليا بحتا باللعب فى القاهرة مقابل مليون ـ نصف المليون دولار بالإضافة إلى استغلال المباراة بوسائل متعددة سوف تجلب موارد تجعل إداريى الفريق ولاعبيه وجهازهم الفنى أغنياء. وبالمقابل فإن النادى الأهلى اتخذ قرارا رأسماليا بحتا هو الآخر وهو أن يستغل المباراة للحصول على ما دفعه ولا بأس من بعض الربح من خلال بيع حقوق إذاعة المباراة وأشياء أخرى منها رفع سعر التذكرة والإعلانات إلى آخره. وبالفعل فإن الشيخ كامل صالح تقدم لشراء حق عرض المباراة لكى يولد منها ثروات إضافية لأنه من الرائع دوما أن يصبح الإنسان غنيا، فقامت الدنيا ولم تقعد لأن معنى ذلك أن عرضها سوف يتم من خلال الأجهزة المشفرة فقط وبالتالى - كما قيل - فإن المواطن العادى سوف يحرم من مشاهدة المباراة. ولما كان التليفزيون المصرى فى ظل الموازنة المتاحة لا يستطيع الدفع، فقد لطمت خدود كثيرة حتى تدخلت وزارة الشباب لكى تدفع ٦٥٠ ألف جنيه بالإضافة إلى ٤٥٠ ألفا دفعها التليفزيون.

هنا حدثت «لخبطة» كبرى، فما كان عملية رأسمالية كاملة هدفها تحقيق الربح عن طريق تقديم المتعة الرياضية لمن يدفعها، تحول بضربة واحدة إلى تدخل حكومى على أساس أن مشاهدة السيد زين الدين زيدان والسيد فيجو يعد من السلع العامة التى يجب أن تتوافر للمواطن العادى مجانا وليس بأسعار مدعومة كما هو الحال مع الخبز وزيت الطعام. وهنا توقف المجتمع تماما عن التفكير الرأسمالى الذى لم يضع أبدا مباريات كرة القدم ضمن الحاجات الأساسية للمواطنين، بل إنه لا يوجد ما يقطع بأن هذه الشخصية المجهولة المسماة بالمواطن العادى قد غيرت أولوياتها فى الصحة والتعليم وإيجاد فرص العمل لأولادها ووضعت فوقها مشاهدة مباراة لفريق أوروبى قد يقوم بهزيمة نادينا.

المواطن العادى المصرى ليس مصابا بالماسوكية، وهو لديه كم كبير من الرشادة الاقتصادية لكى يضع أولويات أخرى أمامه، وإذا كان من عشاق كرة القدم فإن بوسعه الانتظار حتى انتهاء المباراة ومشاهدتها مجانا على جميع القنوات العربية والأجنبية. أما إذا كانت المسألة والهواية والغواية قد حبكت ولابد من مشاهدة المباراة وقت إذاعتها فلماذا لا يشاهدها فى الملعب ويدفع ثمن التذكرة، أو يشاهدها من خلال القنوات المشفرة ويدفع ثمنها كذلك، وساعتها كان سيربح النادى الأهلى فينفق أكثر على اللاعبين والمدربين وربما يفوز بهم فى المباريات المقبلة، والمقاهى والنوادى فتنفق أكثر على العاملين والشاى والسكر وتتوسع فى المكان والأثاث الذى تأتى متطلباته من المصانع الوطنية، ومحطة التليفزيون فتنفق أكثر على المذيعين - المصريين فى العادة - وعلى البرامج، والصحف التى ستصف المباراة تفصيليا سوف يزداد توزيعها. وهكذا يصير الكل غنيا، ولكن كل ذلك يحتاج إلى تفكير رأسمالى، ويصدق الأمر على كرة القدم، كما يصدق على البورصة، كما يصدق على سعر العمل، كما يصدق على أشياء أخرى كثيرة، وموعدنا الأسبوع المقبل إن شاء الله.

د. عبدالمنعم سعيد



المصدر: الاهرام

مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

التاريخ : ١٣ اغسطس ٢٠٠١

مرة أخرى: التفكير رأسماليا..!

أحسنت الحكومة صنعا، عندما استجمعت شجاعتها بعد عامين من التفكير والتردد . بالإضافة الى عام آخر اضاعته الحكومة السابقة . واتخذت القرارات الصحيحة فيما يخص سعر العملة واسعار الصرف، فبذلك اعادت للسوق قوانينها وقواعدها، التى كانت مناواتها بالأساليب الحكومية العقيمة، سببا فى تباطؤ التنمية والنمو فى البلاد، وربما آن الأوان بالنسبة للوزارة، وللمجتمع كله، أن نتعلم من درس التجربة والأخطاء التى نرتكبها بسبب نزوعنا الدائم الى تدخل الدولة، كلما وصلنا الى منعطف لا يعجبنا فى حالة السوق والأحوال الاقتصادية على وجه العموم، فلم تكن هذه هى المرة الأولى التى نتخبط فيها مستخدمين الأساليب الإدارية للتعامل مع احوال السوق المصرية، ورفض التفكير الراسمالى الذى يتناسب معها، فلعلنا نتذكر كيف كان الحال بعد بدء الانفتاح الاقتصادى والإعلان عن التحول نحو اقتصاد السوق، وكان منطقيا ان يتم إصلاح سعر العملة تبعا لذلك، بحيث يكون متماشيا مع الأحوال الجديدة، ولكن ذلك لم يحدث، وخرجت البيروقراطية بافكار ليس لها مثيل فى العالم، من أمثال الاستيراد دون تحويل عملة(!)، وعدد من الأسعار التشجيعية وصلت فى وقت من الأوقات الى سبعة، وكانت الحجة الدائمة هى ان التعامل مع السعر الحقيقى للجنيه يعنى انهيار العملة الوطنية، وزيادة أسعار السلع المستوردة.

وما حدث بالفعل كان كارثة بكل المقاييس، فخلال عقد كامل استمر سعر العملة الحقيقى فى التدهور، وتواضعت الاحتياطات القومية حتى اقتربت من الصفر، وفقد الاقتصاد القومى قوة اندافعه التى كان عليها فى النصف الأول من الثمانينيات، واقتربت معدلات النمو الحقيقية من الصفر قرب نهاية النصف الثانى من العقد، وفوق ذلك كله حدثت الكارثة العظمى لشركات توظيف الأموال التى كادت تضيع الاقتصاد القومى كله، كل ذلك حدث لأن الحكومات المتعاقبة كانت تتحدث عن اقتصاد رأسمالى ولكنها لا تفكر رأسماليا، بل كانت تفكر حكوميا فى كل الأحوال، خاصة عندما تبدأ تكاليف التحول نحو اقتصاد السوق فى الظهور.

ومن المدهش أن الحكومة عادت مرة أخرى الى تكرار نفس الخطأ مع قرب نهاية عقد التسعينيات، برغم التجربة الممتازة خلال سبع سنوات، سواء بالنسبة لمعدلات النمو أو تراكم الاحتياطى، أو شبه ثبات سعر الصرف، فما إن ظهرت عوارض التباطؤ على الاقتصاد المصرى، نتيجة سياسات غير سليمة وأوضاع إقليمية غير مستقرة، حتى جرت الحكومة صارخة بالاتهام والإدانة الى تجار العملة والصيارفة والمضاربين، وبالطبع فإننا هنا لا ندرج هؤلاء ضمن الملائكة والمنزهين عن الفساد والتلاعب، ولكن تجربتنا، وتجربة الآخرين تقول، إن الفساد والتلاعب لا يحدثان إلا عندما تكون هناك مخالفات جسيمة لقوانين السوق وقواعد عملها.

ولكن الانصاف يقتضى ألا نضع اللوم على الحكومة وحدها، فالحقيقة أن المجتمع كله، والنخبة على وجه الخصوص وفى المقدمة منها الجماعة الفكرية والصحفية، يتحملون قدرا كبيرا منها، فبرغم ان الجميع عالمون بالأحوال الاقتصادية فى البلاد، والتركة المثقلة بالأعباء التى راكمتها التجربة «الاشتراكية» الحكومية السابقة، والتخلف فى البنية الانتاجية والتعليمية فى البلاد، والبطء الشديد فى التحول الى اقتصاد السوق، والقيام بعمليات التخصيصية فى الوقت المناسب، فقد بات تصورا غير مفهوم ولا يوجد له مثيل فى كل أنحاد العالم، بأنه لا ينبغى أبدا انخفاض سعر العملة أبدا، وانها بسحر الساحرين عليها الثبات حتى ولو انخفضت أسعار عملات رئيسية أخرى فى دول متقدمة للغاية، وكم كان مدهشا عندما أخذت صحف على عاتقها الإعلان عن «انهيار العملة» فى مصر، برغم أن مقدار الانخفاض خلال عقد كامل لم يصل الى الثلث، وهو قدر معقول مقارنة بكل أسواق العملات فى الدول الأخرى التى لم يقل أحد فيها إن عملاتها تتعرض للانهيار.

وبالطبع فإن أحدا لا يرغب فى انخفاض سعر العملة الوطنية بغير ضرورة، ولكن هذا السعر يعكس فى العموم إحدى أدوات التصحيح فى الاقتصاد لحالات الاختلال، خاصة فيما يتعلق بالميزان التجارى، ولكن الخطورة الأكبر فى منطق المبالغة والانزعاج الشديد من انخفاض سعر الجنيه المصرى، هو انه لا يعكس تفكيرا رأسماليا يترك لآليات السوق أن تؤدى عملها، وإنما يعكس التفكير التآمرى السائد فى السياسة، والتى تبحث دوما عن متآمر لتلقى عليه بالتبعات، بحيث لو تم القبض عليه لانصلح الحال واستقامت الأمور.



ولكن الحال لا ينصلح بالطبع، ولا الأمور تستقيم بعد إلقاء اللوم على المتآمر الذى هو الصيارفة هذه المرة، وبدون تفكير رأسمالى حقيقى يتعامل مع السوق وفق قوانينها السائدة فى معظم دول العالم، فإننا لن نتقدم خطوة واحدة، وسوف نعيد تكرار أخطائنا مرات ومرات. وما ينطبق على العملة ينطبق على البورصة، وخلال عام ممتد من شهر أغسطس فى العام الماضى إلى شهر أغسطس الجارى تراوح المؤشر العام للبورصة حول رقم ٦٠٠ نقطة بزيادة أو نقص قدره ٣٠ نقطة، وتدخل فى عملية الصعود والهبوط أسباب، أو ما يمثل نحو ١٠٪ من قيمة المؤشر العام. وبرغم ذلك فقد كان الحديث السائد والمعلن فى الصحافة المصرية هو «انهيار البورصة»، ليس فقط لأن مؤشر داو جونز الشهير فى نيويورك تراوح بالنسبة نفسها صعودا وهبوطا خلال الفترة نفسها، ولكن أيضا لأن الصعود والهبوط كان ممكنا أن يعلم الناس الكثير عن «التفكير رأسماليا» بحيث لا تحدث الولولة ولطم الخدود عند كل منعطف وكل تغيير، وكأن ما يجرى عندنا لا يجرى فى بلد آخر.

وبالطبع فإن هناك فروقا كيفية بين الاقتصادين المصرى والأمريكي، ولكن الغرض من المقارنة هنا تأكيد أن البورصات تصعد وتهبط، وأن هناك عنصرا للمخاطرة لابد من أخذه فى الاعتبار عند اتخاذ قرار الاستثمار فى البورصة. ولعلنا نتذكر جميعا ما حدث بعد خصخصة عدد من شركات القطاع العام وطرحها فى البورصة وارتفعت أسهمها ارتفاعا هائلا، فما كان من عدد من الكتاب اليساريين أو مدعى اليسارية إلا الادعاء بأن الشركات جرى بيعها بأسعار منخفضة كوسيلة من وسائل الفساد، وأن السعر العالى السائد فى ذلك الوقت هو السعر الحقيقى للسهم. هؤلاء أنفسهم عادوا إلى لطم الخدود مرة أخرى فى الاتجاه المعاكس بعد انخفاض سعر السهم انخفاضا شديدا حتى بأقل من ثمن البيع الأولى فى بعض الحالات خاصة بالنسبة للشركات الملتصقة بالحكومة التصاقا وثيقا، ولم يقل أحد منهم إن الثمن الجديد هو الثمن «الحقيقى» للسهم.

وبالطبع فإن سبب لطم الخدود إذا ارتفع سعر السهم أو انخفض يعود أساسا إلى عدم القدرة على التفكير الرأسمالى، فالتفكير الحكومى وحده هو الذى يفترض أن سعر السلعة أو سعر السهم ينبغى تقويمه مرة واحدة، وبعدها يصير نوعا من «الثوابت» القومية التى لا يصير بها مساس. وبالطبع فإن ذلك لا يعود فى شىء إلى اقتصاد السوق وطبيعتها المتغيرة التى لا تتحكم فيها فقط قوى الطلب والعرض على أهميتها الكبيرة، وإنما تتدخل فيها عناصر أخرى تتعلق بأداء الشركة والنمو المتوقع فى قطاعها الإنتاجى أو الخدمى، وحالة الاقتصاد القومى كله، ومدى سلامة السياسات الاقتصادية للدولة. ولم يحدث أبدا أن ارتفعت أسعار الأسهم فى بلد تدق فيه طبول الحرب، كما لم يحدث أن ارتفعت فى بلد لا يعرف ما سعر الصرف الحقيقى لعملته، ولم يحدث أن ارتفعت لان الثقة انعدمت فى الحكومة ووعودها، أو أنها عندما تطبق سياسات رشيدة يكون ذلك بعد فوات الموعد الملائم. وبالطبع فإن هناك أسبابا أخرى، وعندما انخفض سعر سهم شركة «ياهو» الشهيرة فى عالم الإنترنت من ٤٨٦ دولارا إلى ١٨ دولارا فقط، كان التوسع الهائل فى عرض شركات الإنترنت هو السبب فى الحاجة إلى تصحيح جذرى فى عمل هذه الشركات وأسواقها التى توسعت وحققت أرباحا هائلة خلال السنوات العشر الماضية وأصبحت فى حاجة إلى التصحيح والمراجعة.

المسئولية - إذن - نتحملها جميعا حكومة ومجتمعا فى التأخير والاضطراب الذى جرى فى أسواق العملة، وفى الاقتصاد القومى ككل لأننا ببساطة ما زلنا نستخدم تفكيرا حكوميا فى التعامل مع السوق الراسمالية التى تحتاج إلى وسائل أخرى للتفكير. ولو فعلنا ذلك لما عادت السوق السوداء فى الدولار، ولفهمنا ما يحدث إلى فى البورصة، ولما وجدنا هناك مشكلة فى المرتبات المرتفعة التى تدفع هنا وهناك، ولفهمنا أكثر لماذا كانت السينما منهارة طوال عقد التسعينيات ثم عادت إلى الازدهار مع أول القرن الحادى والعشرين. ولعل موضوع السينما يحتاج إلى وقفة تأمل طويلة!!.

د. عبدالمنعم سعيد



مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاهرام الاقتصادي

التاريخ: ١٢ اغسطس ٢٠٠١

مرة اخرى

السلام فى زمن الحرب!

فى أعقاب نشوب الانتفاضة الفلسطينية الباسلة فى خريف العام الماضى كتبت مقالا لمجلة «**الاهرام العربى**» تحت عنوان «**السلام فى زمن الحرب**»، وناقشت فيه اوضاع حركات السلام العربية والاسرائيلية من الحال الجديدة للمواجهة والصدام.

كان واضحا تماما ان هذه الحركات قد عاد كل منها الى قواعدها التى كانت على احوالها الاولية قبل قيام ماسمى «**عملية السلام**»، فالمشاعر الملتهبة على الجانبين العربى والاسرائيلى كانت من السخونة بحيث جذبت الى لهيبها معظم من تبنوا الطرق السلمية لحل الصراع الدامي، وكانت الحجة هذه المرة انه لا يوجد شريك للسلام على الجانب الآخر، تماما كما كانت تدعى الحركات السياسية الدينية الاصولية على الجانبين.

ولم يكن ذلك جديدا بالمرة، كما ذكرت فى المقال، فقد حدث قبل الحرب العالمية الاولى ان قامت حركات دولية للسلام والاشتراكية واعلنت ان الحرب تمثل رغبة الرأسمالية في الصراع، وانها بهذا المعنى لاتمثل ناقة او جملا للطبقة العاملة التى عليها أن تفهم الحقيقة وتمنع الحرب وتنأى بنفسها عن الصراع. ولكن ماحدث بالفعل انه ما إن نشبت الحرب حتى عادت كل احزاب وحركات السلام وطبقاتها العاملة الى صفوف بلادها لكى تحارب وترفع الشعارات المناهضة للقوميات الاخرى، ففى زمن الحرب لم يكن هناك حديث ممكن عن السلام بل انه بات من موضوعات الخيانة التى لا يقبلها مجتمع فى لحظات الاختبار العظمى.

كان ذلك هو ماحدث تماما خلال الشهور العشرة التى تلت الانتفاضة، وبشكل ما فإن قادة حركة السلام الاسرائيلية ذهبوا الى كل الصحف العبرية والغربية والامريكية خاصة لكى يعبروا عن دهشتهم الكبيرة من رفض الفلسطينيين للعروض الاسرائيلية «**الكريمة**» فى مفاوضات كامب ديفيد، وبشكل ما ايضا بدت الانتفاضة لغزا فلسطينيا غير مفهوم، بل نوعا من النكوص عن السلام وعودة مرة اخرى الى حالة صراع «**الوجود**» الذي لايقبل الا بتصفية طرف للطرف الآخر. وعلى الجانب العربى والفلسطيني كان الكيل قد فاض من سنوات طويلة من المراوحة فى المكان، وعدم تطبيق وتنفيذ الاتفاقيات، وعندما اقترب الجميع من لحظة الحقيقة فاذا بالعروض الاسرائيلية «الكريمة» محض هراء لا يلتزم بقاعدة مبادلة الارض بالسلام، بل والاكثر ان حركات السلام الاسرائيلى كانت تريد من الفلسطينيين القبول بها. وبشكل ما ثالثا بدا لكل طرف انه لم يعد امامه سوى اللحاق بالصفوف



القومية الوطنية للقيام بواجباته، وعندما ترك مروان البرغوتي مقعده في حركة السلام الفلسطينية لكي يقود الانتفاضة لم يكن لانه كفر بالسلام وانما لان هؤلاء على الطرف الاخر لم يكونوا على مستوى حلم السلام الذي سعى له ، وكذلك كان الحال مع الغالبية الساحقة من قادة حركة السلام الآن الذين ضربوا كفا بكف لان الجانب الفلسطيني - كالمعتاد - «**اضاع الفرصة**».

هذا المشهد الذى يقول بعودة كل حركات السلام في الشرق الاوسط الى مواقعها القومية المتشددة، بل وتشبهها بالحركات الرافضة لفكرة السلام والتعايش من الاصل على اساس انه لا يوجد شريك على الطرف الاخر يمكن الحديث معه، أخذ فى التغير خلال الاسابيع الاخيرة من خلال مراجعة المواقف ثم بعد ذلك التحرك مرة اخرى فى اتجاه العمل المشترك من اجل السلام. صحيح انه طوال فترة الشهور الماضية الممتلئة بالمواجهة والصدام والهجمات الاسرائيلية والمقاومة الفلسطينية كانت هناك قلة قليلة حافظت على مبادئها فى النضال من اجل السلام من خلال ابقاء الاتصالات مفتوحة بين المعسكرين فى اسرائيل وفلسطين، وتقديم بعض العون من المعسكر الاول للثانى خاصة فيما تعلق بالحصار الغذائى، والقيام بحملات للتوعية ضد التيار الفاشى المتنامى فى اسرائيل، الا ان كل ذلك لم يكن ا كثر من الاستثناء الذي يجرى علي القاعدة العامة. ومع تصاعد الاحداث وسقوط الشهداء والقتلى، فإن الأصوات السلامية الباقية لم تكن اكثر من جملة اعتراضية على متن مكدس بصرخات التصعيد والقتال، والتساؤلات التي تضع عملية السلام كلها موضع الرفض والمساءلة علي ما آلت اليه الامور والاحداث .

الآن يبدو ان بعضا من الروح قد عادت الى المعسكرين فى فلسطين ، وظهر ذلك من خلال «**نداء المنظمات الاسرائيلية للسلام والحوار والتعاون**

...rtnership, to end the de-humanization of the other, and to revive the option of a just peace that holds out promise for our respective futures.

"The way forward lies in international legitimacy and the implementation of UNSCR 242 and 338 leading to a 2-State solution based on the 1967 borders, Israel and Palestine living side-by-side, with their respective capitals in Jerusalem. Solutions can be found to all outstanding issues that should be fair and just to both sides and should not undermine the sovereignty of the Palestinian and Israeli states as determined by their respective citizens and embodying the aspirations to statehood of both peoples, Jewish and Palestinian. This solution should build on the progress made between November 1999 and January 2001.

"The immediate need is for the full and accurate implementation of the Recommendations of the Mitchell Committee, including: the cessation of violence, a total freeze on settlement activity, the implementation of outstanding agreements and a return to negotiations. This process needs to be monitored by an objective third party.

"We see it as our duty to work together and each of us in their own communities, to put a halt to the deterioration in our relations, to rebuild trust, belief and the hope for peace."

Israeli signatories:
Dr. Janet Aviad, Peace Now; Chaim Oron, former Minister, Meretz; Prof. Arie Arnon, Peace Now; Yossi Beilin, former Minister, Labor; Prof. Menachem Brienker, Hebrew University; Prof. Galia Golan, Peace Now; David Grossman, author; Dr. Yossi Dahan; Prof. Moshe Halberthal, Hebrew University; AB Yehoshua, author; Prof. Yirmyahu Yovel, Hebrew University; Prof. Dan Yaacobson, Tel Aviv University; Prof. Ephi Ya'ar, Steinmatz Institute for Peace; Daniel Levy, ECF; Ronit Matalon, author; Prof. Avishai Margalit, Hebrew University; S. Yizhar, author; Prof. Sami Samuha, Haifa University; Amos Oz, author; Ron Pundak, ECF, Peres Peace Center; Yair Tsaban, Former Minister, Meretz; Dr. Nissim Calderon; Prof. Ephraim Kleinman; Dr. Menachem Klein, Bar Ilan University; Dr. Aviad Kleinberg; Adv. Tzali Reshef, Peace Now; and Prof. Yuli Tamir, former Minister, Labor.

Palestinian signatories:
Yasser Abed Raboo, Minister of Culture and Information; Hisham Abdul-Razek, Minister of Detainees and Ex-Detainees Affairs; Nabil Amr, Minister of Parliamentary Affairs; Dr. Hanan Ashrawi, PLC Member Secretary-General of the Palestinian Initiative for Global Dialogue and Democracy; Hakam Balawi, PLC Member; Dr. Sari Nuseibeh, President, Al-Quds University; Dr. Gabi Baramki, Bir Zeit University; Hafez al-Barghouti, Editor, al-Hayat al-Jadida Daily; Dr. Nazmi al-Ju'beh, Director-General, Riwaq; Dr. Salim Taman, Director, Institute for Jerusalem Studies; Suleiman Mansour, Director, Al-Wasiti Art Center; Dr. Mahdi Abdul-Hadi, Director, PASSIA; George Ibrahim, Director, Al-Qasaba Theater; Sufian Abu-Zaideh, Deputy Minister, Ministry of Civil Affairs; Jamal Zaqout, Director-General, Ministry of Civil Affairs; Sama'an Khoury, Director-General, Palestine Media Center; Dr. Samir Abdallah, Director, Pal-Trade; Samir Hulieleh, Manager, Nassar Investment Co.; As'ad al-As'ad, Author; Abdul-Rahman Awad Allah, Author; Samir Rantisi, Media Advisor to the Minister of Culture and Information; Nisreen Haj-Ahmad, Lawyer; Rami Shehadeh, Lawyer; and Ghaith Al-Omari, Lawyer.



المشترك»، الذى وقع عليه حوالى عشرين منظمة اسرائيلية، وجاء فيه «**نحن منظمات اسرائيلية، تعمل من اجل تطوير التعاون الاسرائيلى الفلسطيني والحوار والسلام بين الشعوب نتوجه لقيادات كلا الشعبين طالبين التوقف عن اعمال العنف، والعودة الى طاولة المفاوضات، مع تبنى خطة ميتشيل، بشكل حقيقى شامل وفورى، فلا بديل لعملية السلام الحقيقى والمبنى علي قدم المساواة والعدل . اننا نتوجه الى حكومة اسرائيل،والسلطة الفلسطينية ليعملوا فورا على ايقاف تدهور الاوضاع وكسر دائرة العنف التى تؤدى بنا جميعا الى حرب نحن بغنى عنها. اننا ندعو الى تجميد المستوطنات والى رفع الحصار وازالة جميع الاغلاقات عن الجمهور الفلسطينى، وايقاف العنف والتحريض من كلا الطرفين، ان كل فعل عنيف وارد عليه يتسبب باصابة مدنيين والمزيد من العنف وفقدان الارواح غير مبرر. اننا قلقون وخائفون من تفاقم التطرف فى كلا الجانبين، فى الاشهر الاخيرة، لذلك ندعو الاطراف الى الكف عن التحريضات المتبادلة، وترك اساليب التخويف ولغة العنف والعنصرية، اننا نعمل بجد حتى فى هذه الايام، على عقد لقاءات بين اسرائيليين وفلسطينيين من اجل حوار صادق مبنى على اسس المساواة والاعتراف والاحترام المتبادل، ومن اجل تقريب معسكرى السلام من بعضهما البعض ..** »

ويبدو ان حركتى السلام الفلسطينية والاسرائيلية كانت قد اقتربتا بالفعل من بعضها البعض خلال الفترة الاخيرة، وخلال شهر يوليو اجتمع نشطاء من حركة السلام الان الاسرائيلية مع جماعات فلسطينية مماثلة مع عدد من السياسيين والاكاديميين . وقد نظم الاجتماعات التي عقدت في شمال القدس كل من يوسى بلين الوزير في الحكومة العمالية الاسرائيلية السابقة مع ياسر عبدربه الوزير فى السلطة الوطنية وانتهت الى اصدار بيان مشترك جاء فيه:

«**نحن الموقعين الاسرائيليين والفلسطينيين قد اجتمعنا في هذه الظروف العصيبة من أجل شعبينا. لقد أتينا سويا لكي ندعو من اجل وضع نهاية لنزيف الدماء ونهاية للاحتلال، والعودة الفورية للمفاوضات والتوصل الي السلام بين شعبينا. اننا نرفض الخضوع للتدهور الحالي فى موقفنا، والقائمة المتزايدة للضحايا ، والمعاناة والاحتمال الممكن او نستدرج جميعا لبحر العداء المتبادل، ولذلك فاننا نرفع اصواتنا ونحث كل اصحاب النوايا الطيبة للعودة الى العقل، واعادة اكتشاف التعاطف والانسانية والحكم النقدى والرفض لتلك السهولة غير المحتملة التي يتم بها التدهور نحو الخوف والكراهية والدعوة الى الانتقام . وبرغم كل شىء فإننا مازلنا نعتقد في انسانية الجانب الاخر، وان لدينا شريكا من اجل السلام. وان حلا تفاوضيا للصراع بين شعبينا هو امر ممكن. ان اخطاء قد تم ارتكابها من كل الاطراف. ان تبادل الاتهامات والادعاءات**

لايمثل سياسة ولا يعد بديلا للاشتباك الجدى. ان الانطباع الذي يوجد فى المجتمعين من ان الزمن في جانبه ماهو الا وهم. ان مرور الوقت لا ينفع احدا الا هؤلاء الذين لايؤمنون بالسلام وكلما انتظرنا اكثر فان مزيدا من الدماء البريئة سوف تنزف، وتتزايد المعاناة ويتآكل اكثر الامل. ان علينا التحرك بشكل حثيث لاعادة بناء شراكتنا، وان نضع نهاية لنزع صفة الانسانية عن الطرف الاخر وان نبعث خيار السلام العادل الذي يحتوى على وعد لمستقبل كل منا. إن الطريق الي الامام يوجد فى الشرعية الدولية وتطبيق قرارات مجلس الامن ٢٤٢ و ٣٣٨ التى تقود الى دولتين على اساس حدود ١٩٦٧ هما اسرائيل وفلسطين، يعيشون جنبا الى جنب وعاصمتهما القدس. ان حلولا عادلة ومعقولة لكلا الجانبين يمكن ايجادها لكل الامور الصعبة، بحيث لا تقوض سيادة الدولتين الفلسطينية والاسرائيلية كما يحددها مواطنوها ، والتى تجسد طموحات الدولة للشعبين اليهودى والفلسطيني.. ان هذا الحل ينبغى ان يبنى على التقدم الذي حدث بين شهر نوفمبر ٢٠٠٠ ويناير ٢٠٠١ .. ان الحاجة الملحة هى للتطبيق الكامل والدقيق لتوصيات لجنة ميتشيل التى تشمل وقف العنف، والتجميد الكامل للانشطة الاستيطانية، والتطبيق الكامل للاتفاقيات الموقعة والعودة الى المفاوضات. ان هذه العملية تحتاج مراقبة عن طريق ثالث موضوعى. اننا نرى واجبنا فى العمل سويا وكل منا في مجتمعه، ان نضع نهاية للتدهور فى علاقاتنا وان نعيد بناء الثقة والايمان والامل فى السلام.

وإذا كانت اهمية البيان الاول انها تبعث الروح فى حركة السلام الاسرائيلية التى كادت تندثر خلال الشهور الماضية فان البيان السياسى يبعث الروح فى العلاقات بين حركتى السلام فى البلدين، وربما الاهم من ذلك ان الموقعين عليه يمثلون جبهة عريضة نسبيا. فعلى الجانب الاسرائيلي عاد الى قائمة العمل من اجل السلام مجموعة من شخصيات السلام الان التى كانت اختفت من الساحة، ومعهم قائمة اخرى من انصار حزب ميريتس، وكذلك مجموعة من قيادات حزب العمل من امثال يوسى بيلين ويولي تامير. ويضم الجانب الفلسطينى ايضا جبهة عريضة للغاية بعضهم فى السلطة وبعضهم خارجها، بل إن الدكتورة حنان عشراوى التى ستعمل كمفوض لجامعة الدول العربية للاعلام كانت على رأس الموقعين الفلسطينيين، فلماذا تغيرت الامور فجأة وعاد المنسحبون من ساحة السلام اليها مرة اخرى، وهل اتى هؤلاء فى الوقت المناسب ام ان الساحة لم يعد فيها متسع سوى متسع للقتال والنزال، لعل ذلك يدعونا الى حديث اخر في الاسبوع المقبل .

التفكير رأسماليا: حالة السينما!

في بداية عام ١٩٩٥ جاءني الدكتور محمد السيد سعيد، الكاتب والمفكر القدير ونائب مدير مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، والصديق القديم لأكثر من ٢٧ عاما - في ذلك الوقت - طالبا أن نعقد ورشة عمل لمناقشة أزمة السينما في مصر. وكما هي العادة فقد كان الاقتراح فاتحة للنقاش للمرة الألف أو ما بعدها حول مهمة مركز الدراسات ورسالته والتعريف لمعنى الدراسات السياسية والاستراتيجية وعما إذا كانت الأفلام السينمائية تندرج تحت هذه الأمور المفاهيمية التي ننقسم حولها معظم الأوقات. ولغير المتابعين من غير أصحاب المهنة فإن العاملين في هذه الحقول البحثية ينتمون إلى مدرستين عريضتين، واحدة ذات نطاق متسع يأخذ في اعتباره كل الأبعاد السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تؤثر في الأمن القومي من قريب أو بعيد، والأخرى تميل إلى التضييق وترى أن مجالها هو الأبعاد العسكرية والسياسية ، والاقتصادية على اكثر تقدير إذا ما كانت عنصرا من عناصر الانكشاف أو كانت أداة من أدوات الضغط. وفي العادة فإن النقاشات والحوارات داخل مركز دراسات الأهرام تنتمي إلى هاتين المدرستين في التفكير والتحليل، وفي العادة أيضا يصل الجميع إلى حلول وسط توسع مفهوم الامن القومي ، ولكنها تضع ضوابط وحدودا على مدى استخدام الأبعاد المختلفة.

وهكذا صارت «أزمة السينما المصرية» مطروحة للبحث على جدول أعمالنا، وقد بدا لي ساعتها أن قصص الحب والكراهية، والغرام والانتقام، ليست مما يمكن إدراجه مع بقية الدراسات السياسية والاستراتيجية مهما يكن التعريف متعسا وفضفاضا، ولكن الدكتور محمد السيد سعيد نجح - كما هو الحال في معظم الاحوال - في إقناعي حينما أكد ، أن الفن السابع هو أحد التعبيرات الأساسية عن دور مصر الإقليمي، وبالتالي هي إحدى أدوات السياسة الخارجية المصرية في تشكيل الفكر والثقافة - وبالتالي السياسة - لدى القادة والنخبة والعامة في المنطقة. وكأن ذلك لم يكن كافيا لجدارة الموضوع بالدراسة، فقد أضاف أن السينما صناعة كبرى كثيفة العمالة، وكانت قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ من أهم الصادرات المصرية بل إنها كانت تلي القطن مباشرة في ترتيب الصادرات، ثم أنها قبل كل ذلك وبعده واحدة من أهم أدوات «التنوير» في مصر خاصة في وقت كانت فيه «الأصولية» قد وصلت إلى حد الاحتكام للسلاح لفرض إرهابها وسيطرتها الفكرية على البلاد.

وبالفعل عقد المركز ورشة العمل الخاصة بأزمة السينما وحضرها منتجون ومخرجون وممثلون بالإضافة إلى طائفة من أصحاب المهن المختلفة والكثيرة المتعلقة بالصناعة التي بدا أنها تمر بأسوأ مراحلها.. كان إنتاج الفيلم المصري قد انهار تقريبا ومن قرابة سبعين فيلما في العام - وصل أحيانا إلى تسعين فيلما - صارت السينما المصرية تنتج اثنى عشر فيلما فقط ولا غير، أي ببساطة نزلت مصر بتاريخها الطويل السينمائي إلى قرب مستوى بعض دول المنطقة التي شمرت عن ساعدها لكي تأخذ مكانة المحروسة في هذا الفن، كما هو الحال مع فنون أخرى. ولم يكن الانهيار فقط على جانب العرض، بل إنه امتد إلى جانب الطلب فلم يعد المصريون والعرب يذهبون إلى الأفلام المصرية، وهبط عدد دور السينما في مصر وحدها من أكثر من مائتي دور عرض في الخمسينيات إلى نحو ١٣٤ دور عرض في منتصف التسعينيات، وعندما ينهار العرض والطلب إلى هذه الدرجة في واحدة من الصناعات، فإنه لا يصير من قبيل المبالغة الحديث عن موتها، والتأهب لتشيعها إلى مثواها الأخير وسط أسف وحسرة على تاريخ تليد لم يبق منه سوى تذكارات وذكرى وحسرات درامية.

وقد طرحت في الندوة قائمة طويلة من أسباب الانهيار، كان بعضها تقليديا ولابد من طرحه في كل حالاتنا المؤسفة، فقد قال قائل إن صناعة السينما انهارت لأن مصر «مستهدفة»، وبالتالي فإن القوى الإمبريالية والصهيونية - وقال البعض بقوى عربية منافسة! - تريد ضرب مصر في مقتل عن طريق التآمر على صناعة السينما. وبالطبع كانت هناك حجج أكثر جدية، منها أولا الضرائب الكثيرة التي

تجعل السينما نوعا من الملاهي وليست إحدى أدوات الأمن القومي، والوعي الوطني، ومنها ثانيا أن ساحات انتظار السيارات صارت أكثر ربحية من دور العرض، ومنها ثالثا «الأصولية» التي تحارب كل أنواع الفنون، ومنها رابعا أن الإنتاج السينمائي ذاته لم يعد مناسبا لمقتضى الحال، سواء من حيث الموضوعات أو نوعية المنتجين والمخرجين والممثلين، وجلهم كانوا ينتمون إلى عصور مضت.

بعد ورشة العمل هذه توالت ورشات عمل أخرى في منتديات ومحافل كثيرة، وانتشر الحديث عن «أزمة السينما» بأكثر من الحديث عن أزمات أخرى في المجتمع والدولة. وبعد أكثر من خمس سنوات من هذا الحدث غير العادي في تاريخ مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية يبدو أن السينما قد خرجت من أزمتها وفي العام الماضي تم انتاج ٣٤ فيلما سينمائيا، ومن المنتظر أن يقارب ٤٠ هذا العام، وزاد عدد دور العرض لما هو أكثر من المائتين بل قد يصل في القريب إلى ٣٠٠ دار عرض.. ولم يعد مدهشا أن يغطي فيلم ما تكاليفه التي وصلت لأول مرة في تاريخ الصناعة إلى عدة ملايين من العرض الداخلي قبل العرض الخارجي، وأقبلت الدول العربية مرة أخرى على استهلاك الفيلم المصري، وربما كانت أهم المكاسب التي حصلنا عليها إما تبيان فساد نظرية المؤامرة أو أن المؤامرة قد تمت هزيمتها هزيمة ساحقة، وكذلك فقد ثبت أن الهيمنة الثقافية الأمريكية السينمائية ليست نوعا من القدر المحتوم والقضاء النافذ وأنه يمكن للفيلم المصري أن ينتزع منها المشاهد والمتفرج ويحافظ على هويته الثقافية والوطنية والقومية.

...الذي حدث خلال السنوات الماضية في حالة السينما وسبب إحيائها مرة أخرى أنها باتت خاضعة أكثر من أي وقت مضى للتفكير الرأسمالي الذي يعالج المسألة على جانبي العرض والطلب. فقد انسحبت الدولة من الموضوع عن طريق خصخصة دور العرض وبعض عمليات الإنتاج، وبالتالي أتاحت الفرصة للقطاع الخاص لكي يقوم بدوره، وهو ما حدث بالفعل ليس بالأساليب الإنتاجية القديمة وإنما من خلال أساليب جديدة تقوم على شركات كبيرة قادرة على الإنتاج الضخم والكبير ، والكثير الذي يكفل التنوع في الأذواق والتفضيلات.. ولأن القطاع الخاص يفهم في السوق فقد أدرك أن المستهلك المصري قد تغير مع الأيام، وصار ثلثا الشعب المصري من الشباب دون سن الثلاثين، وهؤلاء كان لهم مزاجهم وذوقهم الخاص، ويحتاجون لمن ينظر إليهم بجدية كاملة سواء في أفلام الكوميديا الرومانسية الشائعة أو الأفلام بالغة الجدية مثل فيلم «أيام السادات». وبالطبع كان لابد من تغيير كامل في الأجيال التي تمثل وتخرج وتقوم بباقي العمليات الأخرى في هذه الصناعات المعقدة، وبالتالي حدث في صناعة السينما ما حدث في الصناعات الأخرى وتولت أجيال جديدة ، تعرف زمنها وسوقها. ولما كان من الضروري استيعاب الطلب الجديدة فقد جرى التوسع في دور العرض وبمفاهيم جديدة بعيدة عن دور السينما التقليدية الواسعة المزخرفة، وقريبة من الاحتياجات الفعلية للجماهير والمناطق المختلفة.

النتيجة لهذه الثورة على مستوى العرض والطلب أن صناعة السينما قد تم إحياؤها مرة أخرى، وإذا ما تركت في حالها فربما عادت مرة أخرى إلى مكانتها كواحدة من أهم الصادرات المصرية، ومن أهم أدوات الجذب السياحي، والدور الإقليمي والثقافي.

ولكن - كما هي العادة في مصر - فإن قصص النجاح لا تترك في حالها، ولذا فإن سكاكين وخناجر تم اشهارها لذبح الشركات التي أنقذت السينما المصرية من وهدتها، والحجة هذه المرة هي الاحتكار، وهي حجة لو صحت لقتلت بالفعل أي احتمالات للنمو الرأسمالي الصحي في صناعة من الصناعات، ولكن الواقع لا يؤيد هذه الحجة، فهناك تنافس ضخم بين أكثر من شركة، كما أن كبرى الشركات لا تملك من الأفلام أو دور العرض أو استوديوهات الإنتاج أو حتى الأفلام القديمة أكثر من ٣٠٪، ولم يحدث في تاريخ الرأسمالية أن اعتبر امتلاك شركة ما لأقل من ثلث السوق احتكارا. ولكن هذا يحدث عندنا لأن أنصار احتكار الحكومة وأعداء التفكير الرأسمالي يريدون خنق السينما، وباقي الفنون قبل أن تشب عن الطوق وتخرج كلية من إطار أزمتها. وربما ينهي المسألة كلها ويحل المعضلة أن تنتهي الحكومة من قانون منع الاحتكار بحيث ينطبق على الجميع، الحكومة والأهالي!.

د. عبدالمنعم سعيد

الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاهرام الاقتصادى
التاريخ: ٢٧ اغسطس ٢٠٠١

محاولة أخرى لإعادة اكتشاف أمريكا: الجغرافيا والتاريخ (١)

قليلة هي المقالات والكتب في بلادنا التى تثير القارىء وتدفعه الى التفكير والتأمل، واكثر من ذلك تفرز لديه افكارا جديدة في الموضوع ربما تكون مكملة او مخالفة لما اثير. ومن بين كثرة هائلة من الكتابات فإن مايكتبه الاستاذ محمد حسنين هيكل فى مجلة **«وجهات نظر»** لا يبدو مثيرا ومتجددا فقط، وانما يستحق المناقشة والحوار حوله، واتخاذه منصة لمناقشة امور حيوية في مجتمعنا. وفى عدد شهر اغسطس الاخير نشر استاذنا مقالا تحت عنوان **«اعادة اكتشاف امريكا»** تحدث فيه عن تجربة تسعة وعشرين رحلة قام بها الى الولايات المتحدة بدأت عام ١٩٥١ وانتهت في العام الجارى، اى بمثابة نصف قرن من المشاهدة والدرس والتحصيل، والمقابلة والتحليل. ورغم ان المقال يلقي نظرة على بداية تعرف كاتبه على امريكا فى بداية الخمسينيات كما انه يعرض لكتاب مهم وجديد عن حصاد التجربة الامريكية هو **«العملاق»** او **«الطود»** COLOSSUS الذى اشترك فى تأليفه ثلاثون مؤلفا، الا ان قلب المقال هو ما قدمه الكاتب الكبير من محاولة لفهم امريكا وإعادة اكتشافها من خلال **«دستة»** من المفاتيح التى هى مفاهيم وظيفتها كشف المستور وتوضيح ما غمض فى بلد كبير يستعصى على الاستيعاب.

هذه المفاتيح تصلح بالفعل كأساس للمناقشة خاصة من هؤلاء الذين يعتقدون بأهمية الولايات المتحدة الامريكية لمصر ولمنطقتنا العربية والعالم على وجه العموم، وطالما ان امريكا قد باتت على هذه المكانة الكبيرة فى العالم كقوة عظمى وحيدة باقية فإنه من الافضل دوما ان نكون على ما بينة مما نعرفه عنها ونفهمه منها ومن المؤكد ان كاتب هذه السطور لا يمتلك ذات التجربة التى توفرت للاستاذ هيكل، فمعرفته المباشرة بالعالم الامريكى لا تتعدى نصف المدة التى عرفه فيها كاتب المقال حيث بدأت في عام ١٩٧٧، كما انه لم يتسير له مقابلة كل الرؤساء الامريكيين تقريبا كما فعل - فيما عدا مقابلة وحيدة مع الرئيس كارتر لمدة ساعة بعد مغادرته الرئاسة فى مكتبه بجامعة إيمرى عام ١٩٩٧ وحديث ودى ولمدة ثلاثين ثانية مع الرئيس كلينتون عام ١٩٩٩ - ولا مع وزراء خارجية ومستشارى الامن القومى كما حدث مع الاستاذ هيكل، ولا حتى مع قادة الشركات الكبرى كما حدث له.. ولكن من جانب اخر فقد كون كاتب السطور تجربة خاصة مع امريكا جاءت من المعيشة فيها لمدة خمس سنوات متواصلة للدرسة في واحدة من جامعات وسط الغرب، وعاما كباحث فى معهد بروكنيجز الامريكى الشهير، وصلة وثيقة امتدت عبر ربع قرن مع العديد من مراكز البحوث والجامعات والمؤسسات الامريكية كانت كلها ذات طبيعة بحثية واكاديمية وساهمت فى تشكيل الوعى بهذا البلد الكبير.

هذه التجربة المختلفة عن تجربة الاستاذ هيكل التى ذكرها تفصيلا فى مقاله تعطي نظرة اخرى على المفاتيح التى اقترحها مؤلفنا القدير **«لفتح بوابات امريكا»** ، وتدعونا للتفكير مليا فيما اعتدنا على التفكير فيه طالما

ان باب الاجتهاد لايزال مفتوحا ولم يتوفر احد على اغلاقه بعد. ولعل هذا المقام يسمح بمراجعة لاول المفاتيح لانه جاء في المقال بمثابة تاكيدالاقوال الذائعة عن الولايات المتحدة وهى انها بلد محظوظ **«لديه الكثير من الجغرافيا وقليل من التاريخ. ومعنى ذلك ان لديه غنى في الموارد بلا حدود وخفة في اثقال التاريخ وحمولاته لم يتمتع بها غيره ، وذلك منحه اطمئنانا الى وفرة مادية طائلة. ثم إنه اعفاه من وساوس تاريخية ينوء بها عديد من الاوطان او البلدان»**. وجهة النظر هذه شائعة للغاية، فالامريكيون **«محظوظون»** لانهم حصلوا على بلاد شاسعة، ذات خيرات وفيرة وبلا حدود تقريبا، ودون التزام تاريخى، ومنه تنبثق - كما سنرى في مفاتيح لاحقة - دون التزام اخلاقى ايضا.

والحقيقة الجغرافية ان الولايات المتحدة ليست اكثر بلدان العالم اتساعا ولا وفرة فى الموارد الطبيعية، فروسيا مثلا ومن المؤكد الاتحاد السوفيتى السابق، لديها مساحة اكبر ممتلئة بالتنوع المناخى الذي يمر على ستة مناطق زمنية بينما هم اربعة فقط فى الحالة الامريكية. وينطبق الحال على دول اخرى تزيد او تساوى او تقترب من المساحة في الولايات المتحدة مثل كندا والصين واستراليا والبرازيل، بل ان العالم العربى فى مجموعة تزيد مساحته قليلا عنها. ومع ذلك فشتان مابين نتيجة التجربة التاريخية للتعامل مع المساحة الهائلة فى كل هذه الحالات فلم يفرز اي منها اقتصادا ضخما يصل حجم ناتجه الاجمالى الى عشرة تريليونات من الدولارات، والتريليون كما هو معروف الف مليار، وكل ذلك تقريبا يشكل حوالى ٢٨٪ من الناتج الاجمالى العالمي فى عام ٢٠٠٠ ، وحتى بمعيار مسيرة الانسانية كلها، ومع وجود امبراطوريات كبرى فى المساحة المهيمنة عليها مثل الامبراطوريات الرومانية والعربية الاسلامية والبريطانية ، فإن ايا منها لم يقارب مثل هذه الثروة حتى ولو بالمعنى النسبى للعصور والازمان.

ولا يحل المسألة كثيرا في فهم ثروة وقوة امريكا القول بأن المساحة الهائلة التى كان الامريكيون محظوظون بالحصول عليها كانت بكرا لم تستنفد فيها ثروات طبيعية كما حدث فى العالم القديم الذي توالت علي استغلاله ممالك ودول وامم واقوام على مدى آلاف السنين. وربما كان ذلك صحيحا جزئيا، وبمعنى محدود للغاية ، اذا اعتبرنا **«الثروات الطبيعية»** هى فقط الذهب والفضة والاحجار الكريمة التى استنفدتها بعض الممالك فى العصور القديمة كما حدث فى الحالة المصرية، ولكن الثروات الطبيعية اكبر من ذلك واشمل ومنها المتجدد دوما مثل الطاقة الشمسية والانهار والارض الزراعية، ومنها القابل للنضوب مثل الحديد والنحاس والنفط وغيرها من المعادن. والحقيقة ان الكرة الارضية كلها ظلت بكرا من ناحية استغلال هذه الثروات الطبيعية حتى القرن السابع عشر عندما وصلت طلائع المهاجرين الي الولايات المتحدة واضعين النواة الاولي لما يسمي الآن الولايات المتحدة الامريكية. فلم يقدر للانسانية ان

تبدأ بالفعل استغلال موارد الكرة الارضية القابلة للنضوب حتى بزوغ الثورة الصناعية الاولي وما تلاها من ثورات صناعية، وما إن بدا هناك **«حدودا للنمو»** - كما جاء في التقرير الشهير لنادى روما في منتصف السبعينيات من القرن العشرين - نتيجة زيادة استهلاك البشر للموارد الطبيعية ، حتى كانت الولايات المتحدة وليس غيرها، هى التى اعطت البشرية ثورة صناعية جديدة لا تعتمد على الموارد الطبيعية القابلة للنضوب، وانما تعتمد على الافكار والمعرفة .. وكلاهما لانهائى لا يعرف نهاية او حدودا.

معنى ذلك ان الولايات المتحدة لم تكن **«محظوظة»** وحدها بامتلاك مساحة هائلة ، وبالتأكيد فإنها لم تكن تملك مساحة بكرا باكثر مما كان متاحا لامم وشعوب اخرى، ومن ثم فإن نقطة انطلاقها من حيث المساحة والموارد لم تكن تختلف عن الاخرين ومع ذلك فإنها نجحت في تحقيق ما لم يستطع احد اخر تحقيقه، على الاقل حتى هذه اللحظة من مسيرة التاريخ . كان البشر الامريكيون، وليس المساحة، هم المفتاح لما آلت اليه امريكا بحيث يختلف حالها عما آلت اليه استراليا مثلا، او البرازيل ، وكلاهما كان من مجتمعات المهاجرين الذين كان عليهم التعامل مع مساحات هائلة وشاسعة من الاراضى.

وكان الانسان الامريكى، وليس بكارة استخدام الموارد الطبيعية، هو القادر على ادارة واستغلال هذه الموارد ودفعها للانتاج الواسع ليس فقط علي مستوى قارة واسعة، وانما على مستوى العالم باكمله.

هذا المفتاح الحقيقي لفهم امريكا ممثلا فى الانسان الفرد، والبشر كمجموع، لم يكن ابدا محررا من التاريخ واعبائه واثقاله كما جرى في امم اخرى. فالذائع من هذا القول ان الولايات المتحدة لم تولد الا في عام ١٧٧٦ عندما نشبت الثورة الامريكية على الاستعمار البريطانى ، وبالتالي فإن خبرتها بالتاريخ واعبائه واثقاله محدودة. هذا القول فيه بعض من الصحة وبعض من عدم الدقة وكثير من تجاهل الحقائق التاريخية، والصحة جاءت من تاريخ اعلان الدولة، وحتى من ان السجلات تشير الى ان الامريكيين ظلوا على الاعتقاد انهم رعايا بريطانيون حتى قبل عقدين فقط من نشوب الثورة الامريكية، بل ان عددا ليس قليلا من الامريكيين ظل يكن الولاء للتاج البريطانى حتى بعد الثورة. ولكن من - ناحية اخرى - فإن الدولة الامريكية حديثة بقدر حداثة **«الدولة القومية»** ذاتها والتى عاد ميلادها فى التجربة الاوروبية الى معاهدة وستفاليا عام ١٦٤٨ ، وبالتأكيد لم تستقر كمفهوم وحقيقة في تاريخ العالم والعلاقات الدولية حتى القرن التاسع عشر وبعد الثورتين الامريكية والفرنسية بعدها بقليل. قبل ذلك فإن الدول كان لها معانى اخرى غير التي نعرفها اليوم وكثير منها كان ولاء لامبراطوريات بعيدة المركز، أو ولاء لفكرة دينية غامضة ، وهنا فإن المسألة تصير تاريخ الامم التى تنوعت وتعددت ولاءاتها عبر التاريخ وربما باستثناء مصر والصين اللتين عرفتا استمرارية طويلة لسلطة مركزية على ارض بعينها ، فان حال الناس جميعا لم يختلف كثيرا عن حال الامريكيين

والفارق انهم حملوا تاريخهم معهم من بلادهم الى القارة القديمة كما فعلت قبائل بنى هلال التي انطلقت من الجزيرة العربية الى مصر وشمال افريقيا.

بهذا المعنى فإنه كان للامريكيين تاريخ طويل، بقدر تاريخ الدول والامم والقارات التى جاءوا منها وربما كان الجديد في الامر ان التاريخ الامريكى متجدد علي الدوام بفعل تأثير المهاجرين الجدد القادمين بأحمالهم واعبائهم واثقالهم التاريخية والتى يلقونها على الساحة الامريكية الممتلئة للغاية بكل ذلك. هنا فان الامريكيين قدموا للتاريخ مالم يقدمه شعب اخر حتى الآن وهو ما نجده اولا فى حفظ التاريخ ، فلا توجد دولة في العالم تحتل دراسات التاريخ والانثروبولوجي والبحث في الحفريات فيما قبل التاريخ كما هو الحال فى الولايات المتحدة . ولا يعود ذلك لوجود **«شبق»** امريكي للتاريخ لانه مفتقد لديهم وانما لوجود اعتقاد جازم بضرورة التعليم من دروس الماضى، والاهم التعرف على الاتجاهات التاريخية الكبرى فى السياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة والاتصال والعلم والتكنولوجيا. وهنا نجد ثانيا ان التاريخ اعيد تعريفه من التعبير عن الزمن الماضى الى التعبير عن الزمن القادم ايضا، فوظيفة التاريخ ليس ان يحدد لنا آلامنا ومواجعنا وحالات الثأر والانتقام التى مررنا خلالها منذ العصور القديمة، وانما كيف يقودنا الى التعامل مع الحاضر، والاهم مع المستقبل. والحقيقة ان اولا وثانيا هنا كلاهما كان واحدا من سبل التفرد فى التجربة الامريكية، فلأنهم يعرفون التاريخ اكثر، ولان لديهم ملايين الروايات للتاريخ بقدر عدد المهاجرين الى العالم الجديد فإن الرويات لاتوازن بعضها بعضا فقط، ولكن لابد من صبها فى مسار جديد يتعلق بالمستقبل.

ولذلك لا يجد الامريكيون غضاضة ابدا فى مراجعة تاريخهم، ونقده، واعادة تقييمه ، سواء فيما يتعلق بموقف المهاجرين من الهنود الحمر من سكان امريكا الاصليين، او من نظام العبودية، وادخال ذلك فى دراسات التاريخ الامريكى كنقاط سوداء، لان ما يهم الامريكيين ليس الاستغفار عن اخطائهم فى الماضى، ولكن عدم تكرارها فى المستقبل الذي ينبغى ان تنصب فى اتجاهه كل الجهود. وهذا لم يحدث بالنسبة لكثير من الامم الاخري، وعلى سبيل المثال فإن مصر ذات التاريخ الطويل لاتزال تجد صعوبة في التعامل مع فترة التاريخ القبطى للبلاد التى تصل الى سبعة قرون واحتاج الامر الى كثير من الشجاعة للاعتراف بالموضوع والتعامل معه. ولعل ذلك كان ماقصده كيسنجر حينما تحدث مع الاستاذ هيكل وقال له **«لاتحدثنى عن التاريخ»** و **«حدثنى عن مصر وحدها»** ، فالرجل الذي اعتمد فى ابحاثه ونظرياته على التاريخ يعرف تماما قيمته ، ولكنه يقول لمحدثه المصري انا اعرف التاريخ ، او لى قراءتى الخاصة بهذا التاريخ ، ولكن قل لي ما الذى تصل اليه من هذا التاريخ الى الحاضر والمستقبل وفيما يتعلق بمفهوم محدود من حيث القدرة على اتخاذ القرار وهو مصر وليس الامة العربية التى ليس لديها مركز ولا قرار. كان كيسنجر يقول للاستاذ ما درج المصريون علي قوله: **«هات من الآخر»**!

الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاهرام الاقتصادى
التاريخ: ١ سبتمبر ٢٠٠١

محاولة أخرى لإعادة اكتشاف أمريكا: العنف والعبودية «٢»

إعادة: اكتشاف بلد من البلدان، وبالذات فى حالة دولة كبيرة مثل الولايات المتحدة الأمريكية يتطلب ثلاثة شروط: **أولها** التخلص مما يسمى الحكم الشائعة التى تعد نوعا من المقولات التى تواضع عليها الناس دون فحص حقيقى لها حتى لا تقيد الفكر والاكتشاف. **وثانيها** التخلص من أحكام أيدلوجية مسبقة عن الدولة حتى لاتصير عملية الاكتشاف، أو إعادة الاكتشاف، نوعا من إعادة التأكيد على ما تم الاعتقاد فيه من قبل.

وثالثها أن تكون معايير الاكتشاف، أوإعادة الاكتشاف، لكل البلدان والدول واحدة، فلا يتم تفصيل معايير ومقاييس خاصة بدولة أو أمة بعينها.

وفى محاولته لاعادة اكتشاف أمريكا، حاول الأستاذ **محمد حسنين هيكل** فى مقاله بمجلة «**وجهات نظر**» عدد أغسطس الجارى أن يوفى بالشرط الأول عندما وجد من الضرورى أن يتخلص من تأثيرات الدكتور محمود عزمى الذى كما ذكر أستاذنا كان مرشدا ومعلما له وعضوا فى وفد مصر بالأمم المتحدة فى نيويورك، وذلك حتى تكون له نظرة موضوعية تتجاوز ما وقر فى ذهنه عندما هبط إلى الولايات المتحدة لأول مرة عام ١٩٥١. وكذلك حاول مع الشرط الثانى عندما تغلب على ما وجده عبئا معنويا ونفسيا فى الذهاب إلى أمريكا حتى قال له فرانك ويرنز- سفير الولايات المتحدة الأسبق فى القاهرة- أن «**الولايات المتحدة أكبر وأخطر من أن يقاطعها أحد**» وبالتالى استأنف السفر عابرا المحيط الأطلسى من شرقه إلى غربه بعد عشر سنوات من المقاطعة. ولكن الشرط الثالث ظل غائبا عن محاولة الكاتب القدير، فالمعايير والمقاييس الواحدة، والمقارنة بين الحالات المختلفة هو الضابط عادة لعملية التقييم والاكتشاف واختبار المفاتيح حتى لاتغلبها عاطفة أو تجمح بها مشاعر غلابة.

ولعل ذلك ما حاولنا الإشارة له فى مقال الأسبوع الماضى عندما تمت مناقشة **المفتاح الأول** الذى وضعه الأستاذ الكبير لإعادة اكتشاف أمريكا وهو أن الولايات المتحدة بلد محظوظ لأن لديه كثير من الجغرافيا وقليل من التاريخ، وقد وجدنا من النقاش أن الولايات المتحدة لم تكن

وحدها التى لديها الكثير من الجغرافيا فقد كان لدى أمم أخرى ما يماثلها أو ما هو أكثر، واكتشفنا أيضا أنه لديها الكثير من التاريخ، ولكن بنظرة ورؤية مختلفة عما اعتدناه بين الأمم والشعوب. وفى الحقيقة أن هذا **المفتاح الأول هو** مفتاح المفاتيح الإحد عشرة الأخرى

التى وضعها للنظر فى الولايات المتحدة نظرة جديدة تتناسب مع تسعة وعشرين رحلة ونصف قرن من التجربة .فالجغرافيا الكثيرة والتاريخ القليل ألغى القيود الدينية والقانونية (**المفتاح الثانى**)، وطالما زالت القيود فإن أحدا لم يعد يقبل بعوائق طبيعية من غابات وأحراش أو بشرية مثل الهنود الحمر على التوسع فى الفضاء المفتوح(**المفتاح الثالث**)، وهذه العوائق يمكن إزالتها بالقوة، وقوة السلاح وحدها(**المفتاح الرابع**)، وإذا كان ذلك مؤرقا للضمير فإن نظرية المنفعة البرجماتية تحل المشكلة (**المفتاح الخامس**).

المفاتيح هنا تقودنا دون أن ندرى، أو لأننا ندرى، إلى نفس الصورة التقليدية لأمريكا حتى ولو كنا نعيد اكتشافها، فالصورة الذائعة لدينا للولايات المتحدة هى أنها بلاد شاسعة، بكر مليئة بالخيرات، يقطعها «**كاوبوى**» بلا خلق، لايكف عن إطلاق الرصاص في كل الاتجاهات . وهي صورة سيمائية شاعت في الافلام الامريكية ذاتها طوال الثلاثينيات والأربعينيات وظلت عالقة فى الأذهان المصرية والعربية حتى ولو توقف إنتاجها فى أمريكا ذاتها وانتقل ما تبقى منها الى إيطاليا. وهى صورة لا يلبث الأستاذ هيكل أن يعززها بمشاهد من كتاب «**العملاق**» COLOSSUS تشير الى الوفرة الأمريكية والمغامرة والعنف من أجل الحصول عليها سواء كان ذلك من خلال تجارة العبيد أو الرأسمالية الشرهة المتوحشة أو من يسمون «**البارونات اللصوص**» للدلالة على شخصيات مثل روكفللر وفورد وفاندر بيلت وديلون وراند «**فالرأسمالية الأمريكية راكمت ثرواتها من أرض الهنود الحمر التى صادرتها ووزعتها، ومن جهد العبيد الذين جلبتهم ورفعت سوط الجلاد فوق ظهورهم**»

ولاشك أن هذه الصورة بها جزء من الحقيقة الأمريكية، بل أن الأدب- والفن- الأمريكى لم يقصرا فى نشرها بوسائل كثيرة، ولكنها مهما كان الإغراء كاملا لاتساعدنا كثيرا فى فهم أمريكا اليوم ما لم نضعها ضمن إطار مقارن حتى لايأخذ بنا الغلو مداه.

فنزعة العنف الأمريكية التى جاءت مع الاستكشاف والريادة فى عالم معاد بالطبيعة والبشر معا لاتقارن مع ذات النزعة التى كانت لجماعات الساموراى فى المجتمع اليابانى والتى كان لها حق الحياة والموت على أتباعها، وبينما كان هدف العنف الأمريكى اكتشاف قارة بأكملها وبناء دولة، فإن العنف اليابانى كان جزءا من قواعد الأوضاع الاجتماعية. وإذا كان الأدب العربى فى العموم قد خلد شخصية الكاوبوى، فإنه تجاهل تماما شخصية الساموراى التى ارتكبت أبشع المذابح خلال

الحرب العالمية الثانية وما قبلها ووصل الحال إلى قتل ٣٠٠ألف من أهل مدينة ننكيانج الصينية خلال القصف للمدينة. وإذا كانت صورة الساموراى قد شحبت بفعل هزيمة اليابان فى الحرب، فإن هناك قليلا من المعرفة المصرية والعربية بعمليات الاستكشاف والريادة والتعامل مع الأهالى الأصليين التى تبعتها روسيا فى طريقها من موطنها الأصلى حول كييف وموسكو بعد ذلك فى طريقها إلى المحيط الهادى بل وعبورها إلى قمة قارة شمال أمريكا فى الأسكا التى لم يجد بعد ذلك القيصر الروسى غضاضة فى بيعها مع أهلها من الإسكيمو إلى الولايات المتحدة مقابل سبعة ملايين من الدولارات فى مطلع القرن المنقضى.

وفى الحقيقة أن العنف الأمريكى وقسوته يشحب كثيرا لو راجعنا قوائم العنف الأسبانى والبرتغالى فى أمريكا الجنوبية الذى قضى على سطوة وملكية الأهالى الأصليين حتى شحب وجودهم بينما تسلم الثروة والسلطة المهاجرين الأوروبيين بأنواعهم المختلفة لكى يخلقوا نظما سياسية واقتصادية متخلفة خلال القرنين الماضيين. وخلال الأسابيع الماضية نشرت صحف العالم أنباء قيام قرية بأكملها فى الهند بقتل رجل وامرأة لأنهما تجرأ وتزوجا برغم انتسابهما الى طبقات اجتماعية مختلفة، وكان ذلك إشهارا لعنف صريح وبنائى فى المجتمع الهندى نادرا ما يتم تناوله فى الأدب الفكرى العالمى- والمصرى العربى بالضرورة- الذى لايرى فى الهند سوى دعوة غاندى للتسامح ودعوة نهرو لعدم الانحياز.

المدهش فى هذا السياق أنه نادرا ما تم فحص تاريخ العنف فى بلادنا وفى ثقافتنا والامثلة كثيرة بامتداد العالم طولا وعرضا، ولكن النقطة التى نود إثارتها هنا حتى نجيد إعادة اكتشاف أمريكا حقا أن نضع الحالة العدوانية الأمريكية فى حجمها الحقيقى ودون مبالغة،

فهى لم تكن تتولد إلا نتيجة ثقافة عصور تاريخية كاملة أعطت حقوقا بغير حساب- منها حق الحياة والموت- للأقوياء والفاتحين. ولم يكن هؤلاء جميعا فى حاجة ى الثقافة الأمريكية البرجماتية النفعية لتبرير عنفهم إزاء الأهالى الأصليين بل فعلوها باسم الدين مرارا وتكرارا، وفى أحيان أخرى دون فكرة أو نظرية وإنما اقتصارا على حق الفتح الذى أعطى لفرسان اروس ما أعطاه لفرسان الأسبان. الفارق بين «**الكابوى**» الأمريكى وهؤلاء الفرسان، ان الاول اعترف بعنفه وأداته تاريخيا وسخر منه بينما لانجد شيئا من هذا في اخلاق الفرسان وبينما أقام الأولون دولة كاملة غنية اعتمادا على أساليب إنتاجية مبتكرة، فإن الآخرين عاشوا على ذهب وفضة بلدان المفتوحة مع إضافات قليلة لانتاج العالم.

المسألة هنا ترتبط بالتاريخ وثقافة العصور التى تحدد ما هو مقبول وما هو غير مقبول إنسانيا، الإنسان لم تكن مطروحة فى العلاقات الدولية، أو فى العلاقات الدولية، أوفى العلاقات بين الأمم والشعوب المختلفة.وانتظرت البشرية حتى منتصف القرن التاسع عشر اتخاذ إجراءات عملية لإلغاء العبودية، بل أن الأمر أدى إلى نشوب الحرب الأهلية الأمريكية حتى يمكن إلغاء هذه المؤسسة الكريهة . والمدهش هنا ان الادب السياسي المصري والعربي الحديث بما فيه مقال الأستاذ هيكل عن إعادة اكتشاف أمريكا- يكاد يقصر مؤسسة العبودية على الولايات المتحدة وحدها حتى تبدو وكأنها الدولة الوحيدة التى عرفتها. وكم كان مذهلا لدى وفود عربية كثيرة عندما أيدت الوفود الأفريقية فى الاجتماعات التحضيرية للمؤتمر العالمى لمقاومة العنصرية فى مسألة التعويضات الخاصة بالرق والعبودية حينما تساءلت الوفود الأمريكية والأوروبية معها عما إذا كان العالم العربى والإسلامى سوف يشارك فى دفع هذه التعويضات بسبب مشاركته فى نظام العبودية وتجارة الرقيق؟!.

العبودية إذن مثل عنف الكابوى لم تكن نظما أمريكية خالصة، بل أنها سبقت التجربة الأمريكية بعمق التاريخ البشرى كله لدى كل الأمم وكل الشعوب الفاتحة والغازية. وربما كان الجديد الذى اضافه الأمريكيون هو أن قطاعا قويا ومؤثرا منهم راجع هاتين المؤسستين وأدانهما، وحاول إصلاح ماترتب عليها من نتائج سواء فيما تعلق بالعبيد أو سكان البلاد الأصليين. هذا الجديد لانكاد نجد له أثرا فى بلادنا، ولم يحدث أبدا أن حدثت إدانة أخلاقية لمؤسسة العبودية فى بلاد أخرى، بل أن أحدا لم يذكر أبدا كيف أن العبودية لم يتم إلغاؤها رسميا فى بعض البلاد العربية حتى عام ١٩٦٥.

ولم يحدث أبدا أن نوقشت النظريات الغربية حول تجارة العبيد التى قام بها محمد على مؤسس مصر الحديثة والتى من مكاسبها قام بتمويل تحديث الدولة وفتوحاتها ولم يراجع أحد تجربة دولة ليبريا فى غرب أفريقيا التى قامت على اكتاف السود المحررين فى الولايات المتحدة فإذا بهم يقيمون ذات النظام العبودي الاستعبادى الذى كان موجودا فى الولايات المتحدة قبل الحرب الأهلية على سكان البلاد الأصليين. إن أخذ كل ذلك فى الاعتبار ربما يجعلنا نعيد صناعة مفاتيح إعادة اكتشاف أمريكا، حتى نكتشفها جيدا !!.


مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر : الاهرام العربى

التاريخ : ١ سبتمبر ٢٠٠١

أنغام صيفية..!

الإجازة فى النهاية ليست إجازة حقيقية، ولمن يمارس مهنة الكتابة والفكر والتحليل فإن الانقطاع عن العمل لا يكون انقطاعا على الإطلاق، ومهما كانت روعة الغروب على الساحل ساعة سقوط قرص الشمس من السماء إلى الماء، فإن ذلك لن يمنع كل مصائب الدنيا من التوارد على الخاطر. وربما تكون هناك لحظات تكون فيها شهقة الجمال لمن أبدع وسوى تلك الألوان الزرقاء فى مداها ومنتهاها، كافية لتثبيت العقل والعاطفة عند روعة الوجود، لكنها فى النهاية ثوان، بعدها يأتى ما هو ملح وضاغط. وفى العادة فإن البعد عن العمل يعنى قائمة طويلة من القراءة التى لم يفلح الوقت فى منحها فرصة من دائرة الاهتمام خلال العام، وقائمة ربما لا تقل طولا للأفلام السينمائية التى لم يتوافر لها زمن، ووعدا للجسد ببعض الراحة والرياضة، وآخر للعقل بفترة من الكسل.

لم يحدث ذلك على وجه الدقة كما هو معتاد، فمن ناحية أخذ المثقفون معهم إلى الشاطىء مناقشاتهم فى القاهرة حول الأوضاع الاقتصادية، والانتفاضة الفلسطينية، مع القائمة المعتادة من الموضوعات من أول مراجعة آخر الانقسامات حول عبد الناصر والسادات وحتى النظام العالمى الجديد الذى لم يعد جديدا بالمرة بعد مرور أكثر من عشر سنوات على إعلان مولده. لكن فى كل إجازة توجد إضافة ما على ما هو متوقع وما هو معتاد، والإضافة فى صيف عام 2001 هى الموسيقى، فكان لشباب العائلة الفضل فى إرشادى إلى قائمة أكثر طولا من الكتب والأفلام تستحق الاستماع بينما تتكسر أشعة شمس حارقة قطعا من المرايا المتلألئة على مياه البحر الأبيض المتوسط.

القائمة كلها تقريبا عربية مما ينفى عن الأجيال الجديدة التهمة التقليدية بتغريبهم ولحاقهم بالغرب وعبادتهم له، ويبدو أن هذه التهمة جاءت من الاعتقاد أن من لم يلحق بركب الأصولية السياسية فلابد به مس غربى. وهى كذلك تشمل مطربين من المحيط الذى لم يعد ثائرا إلى الخليج الذى لم يعد هادرا حسب أقوال زمان، وهو ما يعنى أن الشباب يمارسون الوحدة العربية على طريقتهم الخاصة، فلا تجد لديهم مشكلة مع لكنة أو لهجة وبشكل ما يحسون المعنى حتى ولو لم يكن واضحا وضوح قاموس لسان العرب. ولعل الأجيال الجديدة لا تختلف كثيرا عن القديمة، فقد اقترب الوجدان العربى فى الثقافة واللغة والفن، ولكنه ابتعد تماما فى السياسة والاقتصاد. وحينما سألت عن شريط السيد شعبان عبد الرحيم الذى سمعت عنه كثيرا وآن وقت الاستماع إليه، نظر إلى الشباب شذرا وقالوا إذا كنت تريد الاستماع إلى هذا اللون فأمامك شريط للسيد حسن الأسمر الذى وجدته جميلا وهادفا ويدعونا إلى عدم إلقاء اللوم على الحياة أو القدر، وباختصار فنحن المسئولون عن أفعالنا، وهى نصيحة لا بأس بها فى زمن يلقى فيه الكبار اللوم على الجميع إلا أنفسهم.

ولكن صوت حسن الأسمر الرخيم ليس وحده على الساحة، ولمن قرأ المجلات والصحف طوال العام يتخيل أن عالم الغناء والموسيقى هو حالة من المشاحنات والمنافسات البغيضة والشرسة، ولكن الواقع أغنى من ذلك بكثير، وهناك جيل كامل من الفنانين والموهوبين أشمل وأعرض من الأجيال السابقة. ومن الظلم كثيرا لهم - ولنا - أن يظل «الكبار» يطلقون على ما ينتجونه «الأغنية الشبابية» فى محاولة ظالمة للتقليل من شأنها، وكان زمن الغناء والفن - كما

هى الحال فى اجتهاد السياسة . قد انتهى منذ وفاة عبد الحليم حافظ. الواقع الموسيقى يقول بحالة شديدة التنوع فى الأصوات والمواهب، فليس صحيحا ما هو شائع بين صفوف النخبة التى شاخت أن كل الغناء والطرب يشابه بعضه بعضا، وليس صحيحا أن كل ما يقدمونه «خبطا ورزعا» كما يقول انصار «الغناء الأصيل»، وليس صحيحا أيضا أن «الجيل الجديد» لايزال جديدا فالساحة ممتلئة بأكثر من ربع قرن من تجربة عهد ما بعد العندليب الأسمر الذى تغيرت فيه مصر، على الأقل لأنه ولد فى تلك الفترة ما يقارب ثلثى شعبها الآن.

ومن أول على الحجار فى السبعينيات وحتى أحمد يحيى وحمادة هلال مع بداية القرن الواحد والعشرين لدينا ساحة غنية بالنغمات والمحاولات والمغامرات الفنية، والاستسلام أحيانا للقوالب المعروفة التى أفرزها السلف. والمهم أنه فى ظل منافسة شديدة يبدو الجميع يحاولون الإبداع والخلق لخدمة مستهلك اذانه مرهفة ويريد الجديد كل يوم. وربما كان ذلك هو تحديدا ما يزعج الأجيال القديمة ففكرة التجديد والتغيير ليست من الأمور المستحبة فى وقت لابد أن يعود فيه الجميع إلى الثوابت والأصالة والخصوصية. ولكن الفنانين لا يركنون إلى نصائح الكبار، فالسوق لا ترحم المتخلف والمتقاعس، كما أنها تكافىء بوفرة المجد والمجتهد.

ومن بين النغمات الصيفية الكثيرة وجدت الشريط الجديد لمحمد منير الذى جعل قلبه «مساكن شعبية»، فيه الكثير من النغم الذى تحيرت إلى أى مدرسة ينتمى. فللوهلة الأولى يبدو غناء منير وكأنه تعبير أصيل عن النوبة وأهلها بما يقربه من أداء الفكلور، ولكن الوهلة الأولى خادعة بقدر ما هى غير كافية، فالنغمات نوبية حقا ولكنها غارقة دون ضجيج فى موسيقى هندية وافريقية مع لوازم بحر متوسطية وظلال بعيدة أوروبية، وفى لحظات غير قليلة تبدو إنسانية فى العموم تعبر عن الإنسان فى كل مكان. وكنت أظن أن منير قد وصل إلى سدرة المنتهى الفنى مع رائعته «عشق البنات»، وبعدها، كما هى العادة، يعيش الفنان على تنويعات مجد حققه. ولكن يبدو أنه فى الفن لا يوجد شىء اسمه القمة، فهناك دائما قمم لم يصل إليها الفنان بعد، وما يقوم به محمد منير من الغوص فى بحر اللؤلؤ والغرف منه وصقله وتطويعه بالمعرفة يعنى أن «عشق البنات» ربما كان أول الطريق وليس آخره.

وما يمثله محمد منير ليس فقط اتجاها إنسانيا أصيلا فى الفن الغنائى، وإنما الأهم أنه يمثل روحا وثابة، قوية وعفية ومقبلة على الحياة، ومنتمية إلى شعب عريض يحسها وتحسه فى القلب والشارع والمدرسة والمساكن الشعبية. وفى أحيان لا يسلم الغناء من الفكاهة والمرح حول الرجل الذى حبسوه وتتحول حالته إلى صورة غنائية ذات إيقاع خلاب ويهيج. هذا الاتجاه المتفائل الداعى إلى الحب والالتصاق بالحياة والناس نجده مفارقا كثيرا لحالة النخبة المكتئبة والغارقة تماما فى تشاؤم يبعث على الشلل والقنوط، حتى تتواضع كل الآمال والأحلام إلى الرغبة فى الانتحار. هنا فإن ابن النوبة وأقرانه يقولون للجميع قولا آخر، فمن يستمع إليهم؟!.

البريد الإلكترونى: amseed@ahram.org.eg



مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر : الاهرام العربى

التاريخ : ٨ سبتمبر ٢٠٠١

السعادة الدائمة...!!

لتمام الظهور، واكتمال السعادة، وانتشار السرور والحبور، أعتقد أن الحكومة المصرية، ومن ورائها كل الحكومات العربية فى مقدورها تحقيق ما تشده النخب المختلفة من أهداف وطنية وقومية وإنسانية وشعبية واشتراكية وديمقراطية فى آن واحد. وكل ذلك بوسائل سهلة، ودون آلام ومتاعب، وللأبد تنتهى البطالة، وتنخفض الأسعار، ويختفى الاحتكار الرأسمالى، وتنتشر الخصوصية، ونصل إلى منتهى الأصالة، وكل ذلك بين غمضة عين وفتحها. ومن المؤكد أنه ساعتها سوف يرضى عنها اليمين واليسار، القوميون والإسلاميون، وحتى الليبراليون من النوعيات التى نجدها هذه الأيام، وفى الطريق قطاعات شعبية عريضة أتعبها ضنى الأيام، وآلام التحول والتغيير، وحنت إلى الأيام السعيدة التى كان فيها الشعب يطالب بأخذ الصورة تحت الراية المنصورة.

فالحكومة المصرية فى وسعها أن تقضى على موضوع البطالة فى غمضة عين باتخاذ قرار ثورى وفورى بتعيين كل الذين لا يعملون ويبحثون عن عمل، وإذا كان هناك مليون فى هذه الحالة فإن الأمر لن يكون مكلفا كثيرا، فلو أعطينا كلا منهم 100 جنيه فى الشهر لكانت التكلفة 1.2 مليار جنيه فى العام فقط ولا غير. أما إذا كان العدد مليونين فيكفى أن يكون الأجر 50 جنيهاً فى الشهر، فلا تزيد التكلفة أكثر مما كانت عندما كان العدد مليوناً، وهكذا. فالمهم أن يعمل الجميع لدى الحكومة فيشعرون بالأمان والوئام، وليس مهما ماذا سوف يفعلون على وجه التحديد، فلو أن هناك بوابا لكل مدرسة نعين بوابا آخر للتبادل فى المكان والرأى، وبوابا آخر احتياطيا مخافة مرض أو انشغال أحدهما بأمور الحياة، ومادام العدد بات ثلاثة فلابد من رئيس ومراقب للتنسيق والتنظيم وضمان حسن السير والسلوك. وبهذه الطريقة فإن الوظيفة التى كان يشغلها شخص يمكن أن يشغلها خمسة، ويمكن زيادتهم بعد ذلك حسب الأحوال، فبهذه الطريقة يتم التشغيل الكامل.

وإذا اشتكى أحد أن الرواتب قليلة، فإن ذلك يعود للغفلة، لأن قلة الراتب لا تعود بالضرورة إلى عدد ما فيه من جنيهات، وإنما حسب السلع الموجودة فى السوق، وهذا ما سوف تتفضّل حكومة السعادة الدائمة بالتعامل معه ففى ذات الوقت الذى سوف يصدر فيه قرار تشغيل كل الشعب، لابد من رفع الضرائب والجمارك على السلع بأربعة أضعاف ثمنها، وهذا يعنى أنه لن يوجد من يغامر بإرسالها إلى مصر المحروسة فى الأصل. وعلى أى الأحوال فإذا وصل بعضها، فسوف يصدر قرار باعتبارها نوعا من السلع الاستفزازية، وتمنع من دخول البلاد، فليس مطلوبا من الشعوب النامية أن تساعد الشركات العالمية متعددة الجنسيات التى تزرع الأناناس مثلا، فيكفى شعبنا أكل البرتقال فى الشتاء والبلح والتين فى الصيف وبعضا من العنب والموز فى المواسم الأخرى. أليس كل ذلك أكثر من الحاجة؟!.

معنى ذلك أن التضخم سوف يختفى بالضرورة، فالتضخم يعرفه الاقتصاديون بأنه زيادة الطلب النقدى على عرض السلع والبضائع، ولما كانت الرواتب على ما هى عليه فلا يوجد طلب نقدى، ولما كانت السلع قد نقصت إلا فيما هو ضرورى ويرفع شأن الأمة، فإن العرض يكون قد قل، وهكذا يكون الحل السحرى الذى لا يوجد فيه طلب أو عرض. كل ذلك سوف يكون مخططا تماما تقوم به الوزارة القومية الوطنية الشعبية الاشتراكية الديموقراطية للتخطيط

والتى مهمتها وضع الخطط الإنتاجية والاستهلاكية للشعب العامل وغير العامل بالطرق المعتبرة والمضبوطة، التى ترفع الإنتاج وتقلل الاستهلاك، وترشد النسل، وتعلم العيال، وفى النهاية تتحقق السعادة الدائمة والمستديمة.

وبالطبع فإن المسائل لن تكون دوما منضبطة كما تريد لها الحكومة، فنظراً للمؤامرات الاستعمارية والإمبريالية والغربية والصهيونية والشرقية ، التى تتوالى على البلاد بحكم طريقتها فى تحقيق السعادة للبشر كما لم يحدث من قبل فى تاريخ البلاد الصناعية المتقدمة التى تغير من بلادنا ودورها التاريخى والإقليمى، فإن الدولة عليها اتخاذ إجراءات ثورية وفورية وجذرية للتعامل مع الأوضاع المخلة بالسعادة. من الإجراءات وضع كل السلع الاستهلاكية الباقية فى جانب العرض على بطاقة السلع التموينية، وسوف يخصص لكل إنسان شريف على أرض الوطن حصة كافية، ومشبعة، من الفراخ والدقيق والزيت والغاز، ولكنها بالطبع سوف تراعى اعتبارات اللياقة البدنية والمحافظة على الأبدان بحيث تبقى على رشاقتها فلا تكون هناك حاجة لاستصدار «قانون الترشيق» الذى عرفت به العراق فى أيام ماضية.

ومادامت الحكومة الرشيدة قد خططت لكل شىء، الطلب والعرض، الإنتاج والاستهلاك، فإنها لابد أن تخطط للتعليم والإعلام، فالبشر لا ينبغى لهم أن يكونوا فريسة فوضى السوق، ومادامت الدولة سوف تتولى تشغيلهم وإطعامهم، فإنهم ينبغى أن يكونوا متطابقين مع المقاسات الحكومية المضبوطة فى الشكل والمضمون، وفى المبنى والمعنى، وفى الروح والجسد، أما الذين لديهم فى قلوبهم غل أو مرض، أو لا يعجبهم العجب أو الصيام فى رجب، فهم فى العادة قلة مندسة على الجماهير الطيبة الأصيلة، ومن الواجب عزلها فى معازل شعبية للإصلاح والتقويم، والإزالة إذا ما عزت الأولى والثانية.

وللتخفيف عن الجميع، ورفع الروح المعنوية للكل، فإن حكومة السعادة الدائمة سوف تقوم بتأميم كل شىء فى المجتمع، فمالك الثروة هو مانح السعادة، ومادام لا يوجد قطاع خاص، فلا داعى لوجود البورصة التى هى مصدر دائم للنكد غير المرغوب فيه، ولاداعى لوجود أسعار الصرف فالناس ليسوا فى حاجة للعملات الأجنبية، ففى مجتمع السعادة الدائمة لن يوجد من هو فى حاجة إلى السفر إلى بلدان أخرى للتجارة أو للشطارة. فهل توجد حالة أكثر سعادة من ذلك، لا ترتفع فيها الأسعار، ولا تتأرجح فيها حالة العملة، ولا ترتفع أو تنخفض فيها البورصة، ويعمل فيها الجميع فى كل الأزمان والأوقات، ولا تعرف تضخما أو بطالة؟!.

هذه الحكومة للسعادة الدائمة يمكنها كما رأينا حل كل المشكلات، وبإجراءات بسيطة، وبالتالى سوف ترضى عنها النخب المصرية والعربية التى لديها حنين بالغ لعودة تجربة الستينيات مرة أخرى حيث كانت الأيام السعيدة المصفاة النقية. وفى الحقيقة أن هذه التجارب لم تنته تماما من العالم بل إن بقاياها لاتزال موجودة، وحتى فى الشرق الأوسط فإن هناك حفنة منها باقية تشع بالسعادة والفرح، ولا يكف مواطنوها عن التصفيق لحظهم الرائع الذى جعلهم ضمن المختارين على مستوى الكون الذى تبقى فيه الحكومات السعيدة بينما سقطت وهوت فى كل مكان!!!.

البريد الإلكترونى: amseed@ahram.org.eg

الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاهرام الاقتصادى
التاريخ: ١٧ سبتمبر ٢٠٠١

محاولة أخرى لإعادة اكتشاف أمريكا: إنها المصالح حقا!! «٣»

محاولة اكتشاف بلاد العالم مسألة ضرورية لإدارة سياسة خارجية رشيدة، وقد فقدنا فرصا كثيرة في الماضي عندما لم نحاول فهم الاتحاد السوفيتي والدول الأوروبية وحتى الدول العربية التي قلنا دوما أنها تقاسمنا المصير المشترك. ولا أدرى حقا كم هو عدد الخبراء المصريين في الشئون السعودية، أو الخبراء السعوديين في الشئون المصرية، ويسير الأمر حتى على علاقات مصر والسودان الذى يشكو فيها السودانيون عادة أن المصريين لا يفهمونهم على الإطلاق. وعندما تكون الدولة التى يراد اكتشافها هى الولايات المتحدة الأمريكية فإن المسألة ضرورية للغاية لأسباب لا داعى لتكرارها، ولابد أن نكون جميعا فى غاية الامتنان لمحاولة فتح الموضوع الذى قام به الأستاذ محمد حسنين هيكل فى مقاله بمجلة «**وجهات نظر**» عدد أغسطس المنصرم.

وربما كان أهم ما جاء فى المقال هى تلك المحاولة الخاصة بوضع دستة من المفاتيح التى يمكن باستخدامها أن نكتشف أمريكا أو نفهمها، وفى المقالين السابقين حاولنا مناقشة بعض هذه المفاتيح والتى اختلفنا فيها مع وجهة نظر الأستاذ سواء ما تعلق بحالة الجغرافيا والتاريخ، وما تعلق بنزعة العنف الأمريكية. ولكننا نتفق تماما مع الكاتب القدير ونجده قد اقترب من الحقيقة تماما عندما قال فى المفتاح الحادى عشر والثانى عشر أن الولايات المتحدة ليس لها نظرية أمن قومى وإنما نظرية للمصالح. ولعله بذلك يكون مهينا لكثير من الباحثين والخبراء والمستشارين الأمريكيين الذين كثيرا ما يفاخرون بأنهم المخترعون لنظرية «**الأمن القومى**» وأول من كتب فيه باستفاضة عملية وأكاديمية، بل وحولوها إلى أشكال مؤسسية خاصة بمجلس الأمن القومى ومستشار الرئيس الأمريكى للأمن القومى.

ولكن أيا ما كانت شكوى الأمريكيين فإن الأستاذ هيكل اقترب من الحقيقة عندما رأى أن دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحربين العالميتين الأولى والثانية لم يكن لأن أمنها مهددا ولكن لأن مصالحها مهددة. ورغم أن كثيرا من الباحثين الأمريكيين يعتبرون الأمن أيضا نوعا من المصلحة، كما أن التخوف الأمريكى من اختلال توازن القوى فى أوروبا- وهو ما كان ممكنا لو انتصرت ألمانيا- هو أحد الفصول

التقليدية فى نظرية الأمن القومى، فإن المصلحة والاقتصادية بالتحديد هى التى دفعت أمريكا للتدخل. وربما كانت إعادة الترتيب للوقائع التاريخية تساعدنا أكثر على فهم أخر مفتاحين لدى مفكرنا القدير، وما سبقهما من مفاتيح. فالثابت تاريخيا أن العروش الأوروبية انتظرت

توسعا أمريكا كبيرا فى العالم القديم بعد انتهاء الحرب الأهلية التى خرجت منها أمريكا بقوة عسكرية هى الأحدث فى العالم كله، ومن ورائها قوة اقتصادية هى الأولى بالفعل على مستوى العالم. ومع ذلك وعلى مدى ثلاثين عاما تقريبا لم تحاول الولايات المتحدة التوسع خارج الولايات الأمريكية التى نعرفها اليوم، وأكثر من ذلك تم حل الجانب الأعظم من جيشها ولم تبق إلا وحدات صغيرة للحرب مع الهنود ولحماية القوافل والسكك الحديدية التى ربما كانت هى التى فى النهاية استأصلت السكان المحليين بأكثر مما فعلت البنادق. وحتى بعد أن دخلت الولايات المتحدة إلى الحرب العالمية الأولى لم تلبث أن تراجعت عن المشاركة فى عصبة الأمم مهما كانت محاولات ويلسون، وتأخرت عامين فى الدخول إلى الحرب الثانية وبعدها احتاج الأمر لجهود دولية هائلة بقدر جهود أمريكية كثيرة لكى لا تنسحب الولايات المتحدة مرة أخرى وراء محيطاتها ومياهها.



محمد حسنين هيكل

لقد كانت أمريكا- على عكس مما هو شائع- قوة مترددة تماما فى دخول العالم ومعتركه، مقارنة على الأقل بقوى عالمية كانت أصغر منها وأقل مناعة مثل هولندا، والبرتغال، وبلجيكا التى حاولت بناء إمبراطوريات وراء البحار استمر بعضا منها حتى الربع الأخير من القرن العشرين ولايكفى تفسير ذلك ما جاء فى المفتاح الثامن للأستاذ هيكل عن وصايا جورج واشنطن بالابتعاد عن أوروبا وشرورها، وإنما يمكن الإضافة لها أن المصالح لم تكن قد نضجت بما فيه الكفاية حتى يحدث الخروج الأمريكى إلى العالم. فما دفع أمريكا فى النهاية للخروج إلى العالم كان المصلحة الاقتصادية تحديدا، مهما كانت الدعاوى عن تصحيح توازنات مختلفة للقوة حتى ولو كانت حقيقة فى فترات تاريخية بعينها.

ومع ذلك فإن أمريكا خرجت إلى العالم كما تخرج إمبراطورية قبلها فى التاريخ ، وربما حازت امبراطوريات قبلها مثل الامبراطورية الرومانية أو العربية الإسلامية أو حتى البريطانية، وبالتأكيد السوفيتية، على أراض أكبر منها، إلا أن أمريكا لم تسيطر على الأرض فقط وإنما

على السماء وما وراءها من فضاء أيضا. ولعله من اللافت للنظر أن دافع الأستاذ هيكل لإعادة اكتشاف أمريكا هو ما رآه من سلبيات فى علاقات العرب بأمريكا حيث يقول: « **لكن الصورة راحت تتغير بما جرى للعالم العربى وفيه، والنتيجة أن الأوضاع العربية فى الولايات المتحدة أصبحت مكشوفة- بل وعارية. وكان المزعج أن السياسة العربية نفسها هى التى تكلفت أولا بنزع سلاحها، ثم تطوعت ثانيا بنزع ملابسها ثم إنها ثالثا فرطت فى ثقتها بنفسها وما يلازم هذه الثقة من عزة وكبرياء** »

ومهما كانت صورة الأستاذ هيكل درامية أو تراجيدية، فإن فهمها، الذى قد لايعنى بالضرورة القبول بها، لا يجوز إلا بمراجعة علاقات بقية العالم، بالولايات المتحدة، وربما ساعتها سوف نجد الكثير من الأسلحة المنزوعة والصدئة على قارعة الطريق، وكميات هائلة من الملابس على الأرصفة، وأكوام من العزة والكبرياء معلقة على الأسوار. ولكن، وربما لحسن الحظ، أن الغالبية الساحقة من دول وشعوب العالم لا ترى ما يراه الأستاذ هيكل سواء فى أمريكا الجنوبية أو أوروبا الشرقية أو فى غالبية دول آسيا وبالطبع أوروبا الغربية التى ترى فى القرب من أمريكا نعمة وليست نقمة، ونادرا ما نجد فى أدبها السياسى هذه الحالة الحارقة من اللعنة على ما هو أمريكى. وكم كان الأمر يوم حزن فى ألمانيا التى صارت موحدة وحاكمة فى الوحدة الأوروبية الاقتصادية والسياسية عندما قام الرئيس الأمريكى جورج بوش الابن بزيارته الأولى لأوروبا دون أن تكون ألمانيا واحدة من محطات زيارته. وكم كان اليوم يوم حزن فى رومانيا لأن الاختيار الأمريكى تخطاها فى الدفعة الأولى التى انضمت إلى حلف الأطلنطى. وكم كان اليوم يوم سعادة على وجه الرئيس الصينى زيمين عندما كان عليه رن جرس بدء العمل فى بورصة الأوراق المالية فى نيويورك.

الأمثلة كثيرة، ولا نهائية وربما كانت الشكوى العالمية الدائمة فى واقع السياسة الدولية ليس عما إذا كانت الولايات المتحدة تتدخل كثيرا، وإنما لأنها تتدخل متأخرة. وبما ليس فيه كفاية، وبالطبع بطريقة أمريكية خاصة بها. ولايحدث ذلك فى الشرق الأوسط فقط وإنما فى البلقان وأفريقيا، عندما قام بيل كلينتون برحلته الأفريقية قبل نهاية فترة رئاسته تفاءل كثرة من الأفريقيين أن الولايات المتحدة لم تعد تريد« **تجاهل** » قارتهم التى طال عليها « **الإهمال** » الأمريكى .

والحقيقة أنه لم تصل إمبراطورية إلى هذه الحالة فى التاريخ، ربما لأنه لأول مرة تكون الإمبراطورية امتدادا لقوى البشر وليس قوى الطبيعة، وقوى البشر تعرف حدودها وأخطاءها وخطاياها، أما قوى الطبيعة فهى

غاشمة للغاية وكفى . وكان إنشاء الولايات المتحدة من اولها الي اخرها مشروعا بشريا لحفنة من اربعين شخصا درسوا تجارب العالم ومن بعدها وضعوا مشروعا بشريا لدولة لايحكمها حق إلهى وإنما يحكمها الناس القادمون من كل حدب وصوب من خلال دستور عبقرى عرف كيف يستوعب خلاصة التجرية التاريخية، وكيف يقيم التوازنات بين المصالح، والأهم كيف يوسع المصالح من خلال التوسع الذى لا ينتهى للسوق الاقتصادية أولا ومن بعدها الأسواق السياسية والثقافية وحتى الدينية وربما كانت الولايات المتحدة أول إمبراطورية فى التاريخ تقوم بإعمار وتنمية أعدائها السابقين فى ألمانيا واليابان من أجل توسيع السوق. وفى الحقيقة فإن الولايات المتحدة لم تكن تطلب أكثر من أن يكون السوق مستعدا حتى يأتى علماؤها ورأسمالها ووسائل اتصالها لكى يدمجوا السوق المحلى فى السوق العالمية الواسعة وعندما كانت السوق الصينية جاهزة فإن شيوعيتها لم تفسد للود الاقتصادى قضية، إما السوق الروسية غير المستعدة بعد فقد بقيت على حالها .

وباختصار كانت الولايات المتحدة تنقل تجربتها القارية إلى العالم أجمع ، وهى تجربة لم تات من اتساع الأرض، وإنما من القدرة على إدارتها واستغلالها وتحويلها إلى أكبر سوق عرفه العالم فى التاريخ وفى كثير من الأحيان يختلف العلماء حول مصادر القوة الأمريكية، وهناك من يراها فى القوة العسكرية، والآخرين فى القدرة التكنولوجية، وثالثهم يراها فى القوة الاقتصادية، ولكنها فى حقيقتها تعود إلى سوقها الهائل الذى لا تعيش بغيره اليابان، وتعرف الصين أنها لن تنطلق إلى صفوف الدول المتقدمة ما لم تحصل على نسبة معتبرة منه. وعندما قاد التطور التكنولوجى العالمى إلى ظاهرة العولمة كانت الولايات المتحدة هى أكثر دول العالم استعدادا لهذا الجديد، فهى تعرف كيف تتعامل مع الاقتصاد الكبير للغاية، والمنتشر عبر مساحة هائلة من الأرض، والأهم أن لديها من البشر من هم ينتمون إلى كل بقاع الأرض ولديهم قدرة غير معتادة على التكيف مع بيئات ثقافية مختلفة. وعندما جاءت القوات الأمريكية إلى الخليج كان منها من اصطف ساعة الصلاة مع أقرانهم فى الدين من السعوديين والمصريين والمصريين، ولأول مرة فى تاريخ الإمبراطوريات اعتنق ألفان من الإمبراطورية الكبرى دين الدولة التى كان عليهم محاربتها بكل أنواع الأسلحة وهى العراق. إن إعادة اكتشاف أمريكا ربما يحتاج إعادة اكتشاف الامبراطوريات كلها، فربما نحتاج نظرة جديدة مقارنة لكى نفهم الولايات المتحدة ودورها فى عالم اليوم.

الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاهرام العربى
التاريخ: ١٨ سبتمبر ٢٠٠١

محاولة أخرى لإعادة اكتشاف أمريكا: إنها المصالح حقا!! «٢»

محاولة

اكتشاف بلاد العالم مسألة ضرورية لإدارة سياسة خارجية رشيدة، وقد فقدنا فرصا كثيرة فى الماضى عندما لم نحاول فهم الاتحاد السوفيتى والدول الأوروبية وحتى الدول العربية التى قلنا دوما أنها تقاسمنا المصير المشترك. ولا أدرى حقا كم هو عدد الخبراء المصريين فى الشئون السعودية، أو الخبراء السعوديين فى الشئون المصرية، ويسير الأمر حتى على علاقات مصر والسودان الذى يشكو فيها السودانيون عادة أن المصريين لا يفهمونهم على الإطلاق. وعندما تكون الدولة التى يراد اكتشافها هى الولايات المتحدة الأمريكية فإن المسألة ضرورية للغاية لأسباب لا داعى لتكرارها، ولابد أن نكون جميعا فى غاية الامتنان لمحاولة فتح الموضوع الذى قام به الأستاذ محمد حسنين هيكل فى مقاله بمجلة «**وجهات نظر**» عدد أغسطس المنصرم.

وربما كان أهم ما جاء فى المقال هى تلك المحاولة الخاصة بوضع دستة من المفاتيح التى يمكن باستخدامها أن نكتشف أمريكا أو نفهمها، وفى المقالين السابقين حاولنا مناقشة بعض هذه المفاتيح والتى اختلفنا فيها مع وجهة نظر الأستاذ سواء ما تعلق بحالة الجغرافيا والتاريخ، وما تعلق بنزعة العنف الأمريكية. ولكننا نتفق تماما مع الكاتب القدير ونجده قد اقترب من الحقيقة تماما عندما قال فى المفتاح الحادى عشر والثانى عشر أن الولايات المتحدة ليس لها نظرية أمن قومى وإنما نظرية للمصالح. ولعله بذلك يكون مهينا لكثير من الباحثين والخبراء والمستشارين الأمريكيين الذين كثيرا ما يفاخرون بأنهم المخترعون لنظرية «**الأمن القومى**» وأول من كتب فيه باستفاضة عملية وأكاديمية، بل وحولوها إلى أشكال مؤسسية خاصة بمجلس الأمن القومى ومستشار الرئيس الأمريكى للأمن القومى.

ولكن أيا ما كانت شكوى الأمريكيين فإن الأستاذ هيكل اقترب من الحقيقة عندما رأى أن دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحربين العالميتين الأولى والثانية لم يكن لأن أمنها مهددا ولكن لأن مصالحها مهددة. ورغم أن كثيرا من الباحثين الأمريكيين يعتبرون الأمن أيضا نوعا من المصلحة، كما أن التخوف الأمريكى من اختلال توازن القوى فى أوروبا- وهو ما كان ممكنا لو انتصرت ألمانيا- هو أحد الفصول

التقليدية فى نظرية الأمن القومى، فإن المصلحة والاقتصادية بالتحديد هى التى دفعت أمريكا للتدخل. وربما كانت إعادة الترتيب للوقائع التاريخية تساعدنا أكثر على فهم آخر مفتاحين لدى مفكرنا القدير، وما سبقهما من مفاتيح. فالثابت تاريخيا أن العروش الأوروبية انتظرت

توسعا أمريكا كبيرا فى العالم القديم بعد انتهاء الحرب الأهلية التى خرجت منها أمريكا بقوة عسكرية هى الأحدث فى العالم كله، ومن ورائها قوة اقتصادية هى الأولى بالفعل على مستوى العالم. ومع ذلك وعلى مدى ثلاثين عاما تقريبا لم تحاول الولايات المتحدة التوسع خارج الولايات الأمريكية التى نعرفها اليوم، وأكثر من ذلك تم حل الجانب الأعظم من جيشها ولم تبق إلا وحدات صغيرة للحرب مع الهنود ولحماية القوافل والسكك الحديدية التى ربما كانت هى التى فى النهاية استأصلت السكان المحليين بأكثر مما فعلت البنادق. وحتى بعد أن دخلت الولايات المتحدة إلى الحرب العالمية الأولى لم تلبث أن تراجعت عن المشاركة فى عصبة الأمم مهما كانت محاولات ويلسون، وتأخرت عامين فى الدخول إلى الحرب الثانية وبعدها احتاج الأمر لجهود دولية هائلة بقدر جهود أمريكية كثيرة لكى لا تنسحب الولايات المتحدة مرة أخرى وراء محيطاتها ومياهها.


محمد حسنين هيكل

لقد كانت أمريكا- على عكس مما هو شائع- قوة مترددة تماما فى دخول العالم ومعتركه، مقارنة على الأقل بقوى عالمية كانت أصغر منها وأقل مناعة مثل هولندا، والبرتغال، وبلجيكا التى حاولت بناء إمبراطوريات وراء البحار استمر بعضا منها حتى الربع الأخير من القرن العشرين ولايكفى تفسير ذلك ما جاء فى المفتاح الثامن للأستاذ هيكل عن وصايا جورج واشنطن بالابتعاد عن أوروبا وشرورها، وإنما يمكن الإضافة لها أن المصالح لم تكن قد نضجت بما فيه الكفاية حتى يحدث الخروج الأمريكى إلى العالم. فما دفع أمريكا فى النهاية للخروج إلى العالم كان المصلحة الاقتصادية تحديدا، مهما كانت الدعاوى عن تصحيح توازنات مختلفة للقوة حتى ولو كانت حقيقة فى فترات تاريخية بعينها.

ومع ذلك فإن أمريكا خرجت إلى العالم كما تخرج إمبراطورية قبلها فى التاريخ، وربما حازت امبراطوريات قبلها مثل الامبراطورية الرومانية أو العربية الإسلامية أو حتى البريطانية، وبالتأكيد السوفيتية، على أراض أكبر منها، إلا أن أمريكا لم تسيطر على الأرض فقط وإنما

على السماء وما وراءها من فضاء أيضا. ولعله من اللافت للنظر أن دافع الأستاذ هيكل لإعادة اكتشاف أمريكا هو ما رآه من سلبيات فى علاقات العرب بأمريكا حيث يقول: «**لكن الصورة راحت تتغير بما جرى للعالم العربى وفيه، والنتيجة أن الأوضاع العربية فى الولايات المتحدة أصبحت مكشوفة- بل وعارية. وكان المزعج أن السياسة العربية نفسها هى التى تكلفت أولا بنزع سلاحها، ثم تطوعت ثانيا بنزع ملابسها ثم إنها ثالثا فرطت فى ثقتها بنفسها وما يلازم هذه الثقة من عزة وكبرياء**»

ومهما كانت صورة الأستاذ هيكل درامية أو تراجيدية، فإن فهمها، الذى قد لايعنى بالضرورة القبول بها، لا يجوز إلا بمراجعة علاقات بقية العالم، بالولايات المتحدة، وربما ساعتها سوف نجد الكثير من الأسلحة المنزوعة والصدئة على قارعة الطريق، وكميات هائلة من الملابس على الأرصفة، وأكوام من العزة والكبرياء معلقة على الأسوار. ولكن، وربما لحسن الحظ، أن الغالبية الساحقة من دول وشعوب العالم لا ترى ما يراه الأستاذ هيكل سواء فى أمريكا الجنوبية أو أوروبا الشرقية أو فى غالبية دول آسيا وبالطبع أوروبا الغربية التى ترى فى القرب من أمريكا نعمة وليست نقمة، ونادرا ما نجد فى أدبها السياسى هذه الحالة الحارقة من اللعنة على ما هو أمريكى. وكم كان الأمر يوم حزن فى ألمانيا التى صارت موحدة وحاكمة فى الوحدة الأوروبية الاقتصادية والسياسية عندما قام الرئيس الأمريكى جورج بوش الابن بزيارته الأولى لأوروبا دون أن تكون ألمانيا واحدة من محطات زيارته. وكم كان اليوم يوم حزن فى رومانيا لأن الاختيار الأمريكى تخطاها فى الدفعة الأولى التى انضمت إلى حلف الأطلنطى. وكم كان اليوم يوم سعادة على وجه الرئيس الصينى زيمين عندما كان عليه رن جرس بدء العمل فى بورصة الأوراق المالية فى نيويورك.

الأمثلة كثيرة، ولا نهائية وربما كانت الشكوى العالمية الدائمة فى واقع السياسة الدولية ليس عما إذا كانت الولايات المتحدة تتدخل كثيرا، وإنما لأنها تتدخل متأخرة. وبما ليس فيه كفاية، وبالطبع بطريقة أمريكية خاصة بها. ولايحدث ذلك فى الشرق الأوسط فقط وإنما فى البلقان وأفريقيا، عندما قام بيل كلينتون برحلته الأفريقية قبل نهاية فترة رئاسته تفاءل كثرة من الأفريقيين أن الولايات المتحدة لم تعد تريد «**تجاهل**» قارتهم التى طال عليها «**الإهمال**» الأمريكى.

والحقيقة أنه لم تصل إمبراطورية إلى هذه الحالة فى التاريخ، ربما لأنه لأول مرة تكون الإمبراطورية امتدادا لقوى البشر وليس قوى الطبيعة، وقوى البشر تعرف حدودها وأخطاءها وخطاياها، أما قوى الطبيعة فهى

غاشمة للغاية وكفى . وكان إنشاء الولايات المتحدة من اولها الي اخرها مشروعا بشريا لحفنة من اربعين شخصا درسوا تجارب العالم ومن بعدها وضعوا مشروعا بشريا لدولة لايحكمها حق إلهى وإنما يحكمها الناس القادمون من كل حدب وصوب من خلال دستور عبقرى عرف كيف يستوعب خلاصة التجربة التاريخية، وكيف يقيم التوازنات بين المصالح، والأهم كيف يوسع المصالح من خلال التوسع الذى لا ينتهى للسوق الاقتصادية أولا ومن بعدها الأسواق السياسية والثقافية وحتى الدينية وربما كانت الولايات المتحدة أول إمبراطورية فى التاريخ تقوم بإعمار وتنمية أعدائها السابقين فى ألمانيا واليابان من أجل توسيع السوق. وفى الحقيقة فإن الولايات المتحدة لم تكن تطلب أكثر من أن يكون السوق مستعدا حتى يأتى علماؤها ورأسمالها ووسائل اتصالها لكى يدمجوا السوق المحلى فى السوق العالمية الواسعة وعندما كانت السوق الصينية جاهزة فإن شيوعيتها لم تفسد للود الاقتصادى قضية، إما السوق الروسية غير المستعدة بعد فقد بقيت على حالها .

وباختصار كانت الولايات المتحدة تنقل تجربتها القارية إلى العالم أجمع ، وهى تجربة لم تأت من اتساع الأرض، وإنما من القدرة على إدارتها واستغلالها وتحويلها إلى أكبر سوق عرفه العالم فى التاريخ. وفى كثير من الأحيان يختلف العلماء حول مصادر القوة الأمريكية، وهناك من يراها فى القوة العسكرية، والآخرين فى القدرة التكنولوجية، وثالثهم يراها فى القوة الاقتصادية، ولكنها فى حقيقتها تعود إلى سوقها الهائل الذى لا تعيش بغيره اليابان، وتعرف الصين أنها لن تنطلق إلى صفوف الدول المتقدمة ما لم تحصل على نسبة معتبرة منه. وعندما قاد التطور التكنولوجى العالمى إلى ظاهرة العولمة كانت الولايات المتحدة هى أكثر دول العالم استعدادا لهذا الجديد، فهى تعرف كيف تتعامل مع الاقتصاد الكبير للغاية، والمنتشر عبر مساحة هائلة من الأرض، والأهم أن لديها من البشر من هم ينتمون إلى كل بقاع الأرض ولديهم قدرة غير معتادة على التكيف مع بيئات ثقافية مختلفة. وعندما جاءت القوات الأمريكية إلى الخليج كان منها من اصطف ساعة الصلاة مع أقرانهم فى الدين من السعوديين والمصريين والمصريين، ولأول مرة فى تاريخ الإمبراطوريات اعتنق ألفان من الإمبراطورية الكبرى دين الدولة التى كان عليهم محاربتها بكل أنواع الأسلحة وهى العراق. إن إعادة اكتشاف أمريكا ربما يحتاج إعادة اكتشاف الامبراطوريات كلها، فربما نحتاج نظرة جديدة مقارنة لكى نفهم الولايات المتحدة ودورها فى عالم اليوم.



مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر : الاهرام

التاريخ : ١٨ سبتمبر ٢٠٠١

في واجبات استنكار الاستنكار!

د. عبدالمنعم سعيد

ترددت طويلا في الرد على مقال الاستاذ فهمي هويدى الذى كتبه في أهرام الثلاثاء ٩/١١ تحت عنوان «في لزوم استنكار الاستنكار»، تعليقا على مقالي المنشور في الأهرام قبل ذلك بأسبوع تحت عنوان «استنكار الاستنكار وشجب الشجب». وكان سبب التردد أن الكاتب اتفق معي في الرسالة الأساسية للمقال حينما رحب بالفكرة الأساسية الداعية في مقالي إلى الجدية في التعامل مع قضية الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، وطالما حدث الاتفاق في الفكرة الأساسية واكثر من ذلك لم يرد تعليق أو مخالفة للمعايير التى اعتبرتها أساسا للجد في الموضوع، فإن ما يلي يصبح نوعا من التفاصيل وتحصيل الحاصل. كذلك فإن حقيقة الخلاف بيني وبين الأستاذ هويدى من حيث التوجه السياسي والفكرى لاتخفى على القارىء، ومن ثم فإن إضافة مقال آخر يعبر عن هذا الاختلاف ربما لا يضيف كثيرا للحوار في بلادنا، وأخيرا فإن الأحداث الدامية التى جرت في الولايات المتحدة في ذات يوم مقال الكاتب بين نيويورك وواشنطن جعلت من المحاجاة الفكرية بعيدة عن فصل البلاغة عندما لا تراعي مقتضى الحال في يوم الهول العظيم.

والحقيقة أن مثل هذا التردد كان موجودا منذ فترة حتى أنني قررت الرد على ما جاء في مقال للأستاذ هويدى بعنوان «المثقفون والغوغاء» خصني فيه بنقد غير عادل لمقال لي بعنوان «أكتوبر ١٩٧٣ ... أكتوبر ٢٠٠٠»، من خلال خطاب شخصي مباشر له أوضحت له فيه مواقع غير فيها كلمات ذكرتها بكلمات أخرى حين بدل كلمة «العالم» الواردة في المقال بكلمة «الغرب» ومن ثم بات متاحا الطعن الفكرى فيه بسهولة ويسر، ويخلص منها بقدرة غير عادية على استخلاص ما هو غير موجود أن ما كتبته فيه «رائحة الاستهجان الماكر تفوح». ولكني وجدت هذا التقليد يستمر في مقاله الأخير، والأهم أن الاتفاق العام حول الهدف ما لبث أن تحول الى محاولة للتفتيش في النيات وما تخفي الصدور، وهو نوعية من الخطاب كرست نفسي خلال الفترة الأخيرة لانتقادها لأنها تحول دون توافق النخبة المصرية حتى عندما تتفق على الأهداف. ولذلك فإن ما سوف يلي ليس ردا على ما قاله الكاتب المرموق فقط، وإنما هو محاولة «لضبط الكلام» وتناول إشكالية الخطاب السياسي المصرى والعربي المعاصر.

وربما يجدر بنا هنا أن نذهب الى لب المشكلة والتى تتجسد في قلب المقال حينما يرفض كاتبنا مناقشة المعايير التى وضعتها لقياس جدية الخطاب السياسي العربي الحالي، ويرى أن طرح السؤال «ما العمل؟» من الأصل «يدل على سذاجة مفرطة أو على استعباط مبالغ فيه»، ثم يقفز بعد ذلك مباشرة الى استنتاج استبعادى لخيار المقاومة الواضح وضوح الشمس. وهنا تبدو مهارة الكاتب، فبعد أن جسد تمثالا من قش فإنه يمكن بسهولة شديدة توجيه الطعنات والحجج الفكرية البليغة التى توضح عبقرية فكرة المقاومة وضرورتها، حتى يصل الى فكرة أن مقالي يهدف إلى تثبيط الهمم والتخويف وإثارة الشعب المصرى. وهكذا يقام بناء معمارى كامل على فرضية لا يوجد دليل واحد يؤيدها، وهي أنني قد استبعدت خيار المقاومة رغم وجود عدد غير قليل من المقالات المنشورة لي في الأهرام والأهرام العربي والأهرام الاقتصادى فضلا عن عدد غير قليل من المقابلات الصحفية والتليفزيونية التى قلت فيها مرارا وتكرارا أن ما نحتاجه هو مشروعا للمقاومة وآخر للسلام، ولعلي كنت أول من قال وكرر أن مشروعا للسلام بدون مقاومة هو استسلام وأن مشروعا للمقاومة بدون مشروع للسلام هو انتحار. ومن البديهي أن هذه النظرة الاستراتيجية ترتب حزما مختلفة من السياسات والضغوط والأعمال العسكرية المختلفة التى ليست كلها بالضرورة تعني الاشتباكات المسلحة. ولعلي أدعو الأستاذ

ولو أن الأستاذ هويدى أخذ مقالي وفق ما جاء فيه، وقيمه وفق جدارته الذاتية، وليس بما لم يرد فيه واستخلصه منه حسب الهوى والغرض، لربما كان أمامنا حوار جاد لكيفية التعامل مع الموقف الراهن الذى لا يحل معضلته القول بالمقاومة ثم الإشادة بها برغم أننا لم نحددها خاصة فيما يتعلق بالحالة المصرية وما فيها من قيود داخلية وخارجية. ولعل ذلك كان تحديدا ما قصدته في مقالي، فالدعوات التى جاءت في جرائد وصحف ومحطات فضائية مصرية وعربية، ومن قادة عرب، لفتح الحدود أمام المتطوعين وحشد الجيوش الى آخره، لابد أن تستند الى قاعدة مادية وأوضاع اقتصادية بعينها، وإلا فإنها تصبح من قبيل الأقوال الضارة التى ندفع ثمنها غاليا، بينما لا تحرر أرضا أو تحرس عرضا. وفي الحقيقة فإن القارىء لمقال الأستاذ هويدى سوف يصاب بحيرة بالغة إزاء موقفه من هذه الدعوات، فهو يكاد يرفضها عندما يراها استثنائية «بامتياز» أى لا يعول عليها، ثم بعد ذلك يندفع للهجوم على الاعتقاد بأنها بسوف تؤدى للحرب وتجعلنا ندفع أثمانا باهظة لتكلفة الكلام، ويفرض على نفسه وعلى قارئه أنني لا أجد خيارا إلا ما بين ما هو قائم والحرب.

وهنا ربما يكمن الخلاف بيني وبين الأستاذ هويدى حول إدارة الصراع وليس حول الحزمة من الضغوط الواجبة على إسرائيل - بما فيها المقاطعة بالمناسبة حيث لم يحدث أبدا أن طالبت باستبعادها، أو التطبيع الذى لم أطالب به أبدا وإنما طالبت باعتباره وإحدى أدوات الضغط. فهو من جانبه لا يأخذ كلمات الأخوة من الكتاب والصحفيين والساسة بالجدية اللازمة، ثم بعد ذلك إذا استمع إليها لايجد هناك ضرورة لدعوة الداعين لها - على سبيل التأكد من المصداقية - لاستكشاف جميع النقاط المرتبطة بها. وهو كذلك يجد غضاضة كبيرة عند الحديث فى القضايا القومية الكبرى، وقضايا الحرب والسلام، وقضايا الحياة والموت، فى الحديث عن الثمن والتكلفة للاستراتيجيات المختلفة، ويرى فى ذلك تخويفا وتثبيطا للهمم، فالشعوب والأمم ينبغى أن تذهب إلى المصائر المرسومة لها من قبل جماعات سياسية مختلفة معصوبة العين وفرحة ومهللة. هنا فإننى أعترف بوجود مشكلة لدى، فمهنة الدراسات الاستراتيجية التى أعمل بها هى فى جوهرها ذلك تحديدا، أى البحث فى الاستراتيجيات المختلفة للتعامل مع قضية حيوية تمس الأمن القومى، ثم التوصل إلى الخيارات المختلفة منها ودراسة التكلفة والثمن المترتب عليها وطرحها على الرأى العام وصانع القرار. والواقع أننى لا أدرى ماهو سر خوف الأستاذ هويدى من اتباع هذا المنهج، وقد سبق لى فى أكثر من مقال وأكثر من دراسة أن ذكرت أن هناك قضايا وموضوعات تستحق التضحية بالغالى والنفيس من أجلها، ولكن شرطى الوحيد أن يتم ذلك ليس نتيجة التجاهل، أو «الاستعباط» - مع الاعتذار عن كلمة استخدمها الأستاذ هويدى - وإنما توضيحها للرأى العام والثقة فى أنه سوف يتخذ القرار الصحيح.

الدراسات الاستراتيجية أيضا تضع الخط الفارق بينى وبين الاستاذ هويدى فى أكثر من موضع ، فأحد فصولها الفرعية بناء السيناريوهات المستندة إلي المنطق أو التجربة التاريخية، وبالتالى فإن القضية فى إدارة الصراع ليست الخطوات التى يتخذها طرف واحد هو نحن، بل أيضا من الضرورى دراسة ردود الفعل، ومايتلوها من تداعيات وحسابها بدقة متناهية. ولا أدرى شخصيا ماهو سر الحساسية المفرطة لدى كاتبنا الكبير من هذا المنهج عند تطبيقه على الاستراتيجيات التى ناقشناها فى مقال «استنكار الاستنكار» سواء عند القول بها، أو إذا ماتم تطبيقها. فلعله يشاركنى الرأى فى أن الصراع فى الشرق الأوسط يوجد فيه أكثر من طرف، وأنه من الحكمة دائما أن تعرف القدم موطىء خطوها، وأن تعرف الأمم والشعوب إلى اين تسير، وأن تتداول فيما بينها فى حوارات هادئة وصريحة للغاية الخيارات والتكاليف. وللأسف - ربما - أن العالم يعتبر أن للكلمات قيمة، وعندما يقول البعض بالحرب أو ببداياتها، أو يقول بالمقاطعة للبضائع الأمريكية، فإنه لايحدث فى كل الحالات أن يأخذها العالم على أنها نوع من «التهويش» العربى المعتاد. ولا ينتهى الخلاف بينى وبين الأستاذ هويدى عند هذه النقطة الخاصة بمصارحة الشعب بالحقائق والتى أراها ضرورية، ويراها هو مثبطة للهمم، وإنما تمتد لنقطة جوهرية باتت شائعة فى أحاديثنا دون مراجعة وتحرير، وتتلخص فى أن للحكومات ضروراتها وحساباتها، وللشعوب والمثقفين بالدرجة الأولى خياراتهم. وإذا كان المقصود من ذلك أنه من حق الشعوب - إذا عرفت الحقائق كاملة - والمثقفين - إذا كانت لديهم الشجاعة بالقول بها - أن تكون لهم آراؤهم فى الاستراتيجية التى ينبغى على الوطن اتباعها، وأن يستنكروا ويشجبوا ما تم استنكاره وشجبه فكلها حقوق لا مراء فيها، بل أنها وحدها فى النهاية التى تكفل السير على الطريق السليم وبأقل التكاليف التاريخية الممكنة. أما أذا كان المعنى هنا هو أن تنقسم البلد بلدين، والدولة دولتين، فى اتخاذ القرارات الاستراتيجية الكبرى الخاصة بالأمن القومى والسياسة الخارجية وتنفيذها من كل طرف وفقا لما يراه مناسبا، فإن مصداقية الوطن كله أمام العالم تصبح فى خطر عظيم.

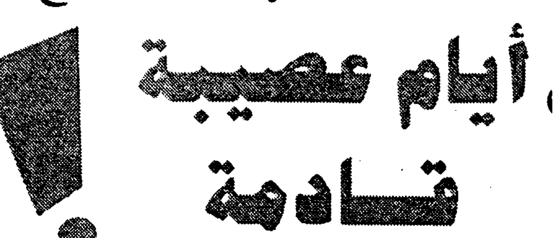
بقيت نقطة أخيرة غير مقصودة فى مقالى الذى أثار رد الأستاذ هويدى تتعلق بالاسلاميين فى الجزائر ودعوتى لإسلاميى « استنكار الاستنكار» بالتدخل لديهم لوقف المذابح التى يقومون بها، ويبدو أننى نكأت جرحا ومسست بطحة لم أكن أقصدها، ولذا أرجو المعذرة فيها. كما أرجو المعذرة أيضا لأننى لم أرد فى المقال إشارة الى احداث السودان وحصار العراق والصحراء فى المغرب، وكلها أوردها الاستاذ جزاه الله كل خير فى مقاله لاستكمال الصورة العربية غير السعيدة بالمرة. ولكن مشكلتى كانت أننى لم أجد فى جماعات «استنكار الاستنكار» من ألجأ إليهم فى حل هذه المعضلات حتى يدفع الجميع نصيبه فى ميزانية الجامعة ويقوم بواجبه فى عملية التحرير. ولا أدرى شخصيا بعد قراءة مقالة الاستاذ ما هو موقفه من الدعوة التى دعوت إليها الأخوة فى التيار الاسلامى للقيام بدور لوقف المذابح فى الجزائر، وعلى أى الأحوال فربما تأتى الاجابة فى مقالات قادمة بإذن الله.



مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاهرام

التاريخ: ٢٤ سبتمبر ٢٠٠١



حتى عام واحد مضى، كنا نتصور أن المشكلة الملحة التى تواجه مصر هى كيف يمكن الخروج من الركود الاقتصادى الذى ضرب البلاد وفاقم البطالة فيها ودفع المستثمرين المحليين والأجانب بعيدا. وخلال العام الذى مضى تصورنا أن المشكلة الملحة قد باتت بالإضافة لما سبق الحالة فى الشرق الأوسط بعد انهيار عملية السلام وقيام الانتفاضة الفلسطينية الباسلة وتحولها إلى حركة مقاومة شجاعة للاحتلال الإسرائيلى الغاشم وما كان لذلك من آثار سياسية واقتصادية على المنطقة كلها بما فيها مصر. والآن وبعد يوم الثلاثاء ١١ سبتمبر الحالى وما جرى فى نيويورك وواشنطن وبنسلفانيا فى الولايات المتحدة من عمليات إرهابية فإن قضية ملحة ثالثة فرضت نفسها علينا من حيث لاندرى ولا نحتسب. وفى بلد من بلدان العالم النامية، وله موارد محدودة، ومكانة إقليمية كبيرة، فإن ما هو ملح هو تحديدا ما يؤثر فى المصالح القومية الكبرى ويتطلب قرارات صعبة واستراتيجية الطابع يتحدد فيها مستقبل البلاد ومصيرها.

هنا فإن المرء لابد أن يتعاطف مع الرئيس مبارك والمؤسسات والأفراد المساهمين فى عملية صنع القرار خلال هذه الفترة التى يستعدون فيها لاتخاذ قرارات مصيرية، لا تقل أبدا - إن لم تزد بكثير - فى أهميتها وحساسياتها عن تلك اللحظة التى قامت بها العراق بغزو الكويت وقيام الولايات المتحدة بتكوين ائتلاف دولى للتعامل مع الغزو ورده على أعقابه فى ذلك الوقت ، فإن الجريمة كانت واضحة لا لبس فيها، والمجرم لايخفى وجود فى ذلك «حق» له فى ارتكابها، مما يقدم دليلا على سبق الإصرار والترصد. هذه المرة فإن الجريمة وضحت بالصوت والصورة للعالم كله، ولكن ما من مجرم تقدم لتحملها، بل على العكس استنكرها كل من كان فى قائمة المشبوهين، وهناك سوابق أمريكية للتحامل على بعض منهم بسبب الدين والأصل. كذلك فإن ما جرى فى أمريكا يختلف عما جرى على أرض عربية، وكانت دول وأرض عربية أخرى فى الخليج معرضة للتهديد بأن يجرى لها ما جرى للكويت، وهذه المرة فإن التهديد كبير ولكنه غير محدد وتحديده متوقف على درجة الإيمان بالعدالة الأمريكية ونزاهتها. وبرغم أننا اكتوينا بالإرهاب من قبل، ومن تنظيم القاعدة تحديدا، فإن الإرهاب توقف بعد مجزرة الأقصر البشعة، وربما يكون من الحكمة الا نستعيد أياما سوداء بعد أن بعدت عنا على مدى السنوات الثلاث الماضية.

وبالطبع فإنه بوسع المجتهدين البحث عن اختلافات بين ما جرى فى حرب الخليج، وحرب مركز التجارة العالمى، وما جرى فى عمليات درع وعاصفة الصحراء، وعمليات النسر النبيل والعدالة المطلقة، فالزمن غير الزمن، وعشرة أعوام فى تاريخ العالم الحديث كفيلة بتغيير الكون وليس فقط أشكال الأزمات. ومع ذلك، وأيا كانت الاختلافات والمفارقات، فإن هناك جانبين للتماثل لا يمكن تجاهلهما بين أزمتى الثانى من أغسطس ١٩٩٠ والحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١. أولهما، أن كليهما فرض علينا اتخاذ قرار هائل بالمشاركة فى تحالف دولى تقوده الولايات المتحدة الموصومة بالتحالف مع إسرائيل المصممة على الاستمرار فى احتلال أراض عربية استولت عليها فى حرب يونيو ١٩٦٧. وثانيهما، أن هذا القرار انقسمت النخبة المصرية بشأنه فى الأزمة الأولى، أيا كان من كان يمثل الأغلبية ومن كان يمثل الأقلية، ففى النهاية أنقسمت الأمة بين قلبها وعقلها، وظل الانقسام باقيا معنا حتى اليوم يضيف لانقساماتنا الكبرى انقساما آخر لا يقل عنهم حدة وقسوة. وفى الأزمة الجديدة فإن طلائع الانقسام بادية لاشك فيها، وما لم تتعلم الأمة من دروس الماضى فربما يكون ثمن الانقسام هذه المرة أكثر مما يعتقد ويقدر الكثيرون.

وربما يعيننا على تأمل احتمالات الانقسام المرتقبة أن نتأمل العناوين الرئيسية لست جرائد مصرية صدرت صباح يوم الاثنين الماضى ١٧ سبتمبر ٢٠٠١ بعد إعلان الولايات المتحدة عن خطتها لنشر قواتها فى العالم تحت الإسم الكودى «النسر النبيل» فقد جاء العنوان فى صحيفة الأهرام: «القوات الأمريكية ستضرب أهدافا حيوية فى الدول التى تؤوى الإرهاب»، وفى الجمهورية: «بوش يوافق على خطة الانتقام»، وفى الأخبار: «بدأ العد التنازلى لضرب أفغانستان»، والأحرار: «النسر النبيل .. أكبر عملية لضرب العرب والمسلمين، وصحيفة الوفد: «النسر النبيل.. خطة أمريكية لتأديب العالم»، وفى الأسبوع: «بوش يعلن الحرب العالمية ضد الإسلام». إن هذه العناوين الستة ربما لا تعبر عن سياسات تحريرية لكل صحفية، وربما عكست تعبيرات صحيفة تأخذ كثيرا من الاعتبارات خاصة بمهنة الصحافة فى الحسبان، ولكنها أيضا - من جانب آخر - تعكس وجهات نظر شائعة فى الساحة المصرية، وتتردد أصداؤها فى الفضائيات التليفزيونية العربية. والأهم من ذلك أنها تشير الى تكييف للموقف وتعريف



له، يقدم بالضرورة لنوعية السياسات التى ينبغى اتخاذها خلال الأزمة وعلى سبيل المثال: فإن العنوان الذى يرى أن الرئيس الأمريكى جورج بوش يشن حربا على الإسلام يعنى بالضرورة المواجهة الكبرى بين مصر والولايات المتحدة نخرج جميعا فيها خفافا ثقالا لنصرة الدين أو الاستشهاد فى سبيله، وإذا انضمت لها دول أخرى من حلف الأطلنطى أو غيره فإنها تكون قد أعلنت الحرب على الإسلام وعلى مصر، حتى ولو كان من بينها تركيا أو إندونيسيا أو الجزائر وأهلها جميعا مسلمون. هنا أيضا فإن تعريف الأزمة لا يدخل فيه عما إذا كان تنظيم القاعدة هو الممثل للإسلام أم لا، أو أن أسامة بن لادن هو المعبر عن الدين الحنيف أم لا، فالتعريف يبدأ وينتهى بما سوف تفعله واشنطن وليس غيرها من الأطراف. وفى نفس الاتجاه فإن وصف التحرك الأمريكى بأنه عملية لضرب العرب والمسلمين، لا يعطى مساحة كبيرة للتفكير فى الطرف الذى ينبغى على مصر أن تقف بجانبه وهم المنتمون إلى عالمها العربى والإسلامى، مهما تكن طبيعة الحاكمين لدول العالمين وسلوكياتهم وتوجهاتهم حتى إزاء مصر ذاتها وحتى سفاراتها فى الخارج.

عناوين الأخبار والجمهورية تجعل الموضوع كله لا يخصنا، فالأولى ترصد عملية عسكرية لضرب أفغانستان، أما الثانية فهى تلخص حالة أمريكية نفسية وعصبية، وسواء خص الأمر أفغانستان أو أمريكا فإن كاتيهما تمثل عالما بعيدا ليس لنا فى حالته يد ولادور. أما الوفد فإن عنوانها فى العموم يسير فى نفس الاتجاه المتباعد، ولكنها لاتنسى أن تجعل القضية أمريكية فى «تأديب العالم » الذى يصبح عليه أن يحدد رد الفعل على هذا الاتجاه التأديبى. وفى النهاية فإن صحيفة الأهرام وحدها هى التى حددت أن هناك إرهابيين، وهؤلاء قاموا بجريمة ضد الولايات المتحدة، ومن قبلها مصر وعدد من الدول العربية والإسلامية ودول غير عربية وغير إسلامية، وأن هؤلاء تقوم دول بحمايتهم، وهذه الدول، وهؤلاء الإرهابيون، سوف يكونون موضوع الضربات الأمريكية. هنا فإن الإسلام ليس مستهدفا، ولا العرب أو المسلمون مستهدفون وما هو مستهدف هو مجموعة من المجرمين الإرهابيين الذين «يشتبه» فى أنهم قاموا بعمليات إرهابية بعينها تستوجب رد الفعل ووضع المسئولين عنها أمام ساحة العدالة. هنا فإن الأهرام لا ترى فى الموضوع حربا ضد الإسلام، ولا ضد العرب والمسلمين تستوجب معاداة الولايات المتحدة، بل على العكس، وحسب ما ذكر الأستاذ إبراهيم نافع فى مقاله يوم الجمعة الماضى فإن موضوع التحالف هو فكرة مصرية فى الأساس لا ينبغى أن يسرقها أحد، وأن مشاركة مصر فيه هو نتيجة طبيعية لمصالحها الخاصة. الأهرام أيضا لم تكن هى التى رأت فى الموضوع أنه يخص أمريكا أو أفغانستان أو حتى العالم، وإنما هو موضوع يخص مصر ومصالحها العليا.

أكرر مرة أخرى، أن هذه العناوين قد لا تعبر عن السياسات التحريرية للصحف الست، وربما استدعى كتابتها اعتبارات صحفية محضة، ولكن النقطة المحددة هنا أنها تمثل بالفعل اتجاهات محددة لدى الرأى العام المصرى ومن المفيد مناقشتها، وإجراء الحوار بينها، وحماية العلاقات بينها بحيث لا تتحول إلى انقسامات دامية يدفع الوطن كله ثمنها. فالمهم أن نتجنب ما حدث قبل وبعد حرب الخليج، ولعل نقطة البداية الصحيحة فى النقاش والحوار، أن نحاول الاتفاق على وصف ما حدث، وساعتها ربما نكون قادرين على تعريف الموقف، وإذا ما نجحنا فى هذه المهمة الصعبة ربما ننجح فى تحديد الخيارات المطروحة، وحتى - من يعرف - نستطيع الاختيار بينها.

د. عبدالمنعم سعيد



مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاهرام الاقتصادى

التاريخ: ٢٤ سبتمبر ٢٠٠١

أمريكا تعيد اكتشاف نفسها



عندما كتب الاستاذ محمد حسنين هيكل مقاله عن «إعادة اكتشاف امريكا» فى عدد اغسطس من مجلة «وجهات نظر» لم يكن يتخيل أنه بعد اسابيع قليلة من كتابة المقال سوف يتعرض البلد الذى تم اكتشافه مرة أخرى إلى واحدة من أكبر الضربات الارهابية فى التاريخ، إن لم تكن اكبرها على الاطلاق وعندما قمت بالتعليق على مقال استاذنا فى ثلاثة مقالات نشرت فى هذا المكان بمجلة «الاهرام الاقتصادى» لم أكن اتخيل، او يرد على أكثر احلامى او كوابيسى جنونا ان تنشر آخر المقالات يوم الاثنين الماضى بعد أيام من تدمير اعز رموز القوة المالية والاقتصادية والعسكرية والسياسية الامريكية فى نيويورك ووشنطن، وبينما كان استاذنا يعرض لجذور «القوة» الأمريكية واختلف انا معه على مبرراتها وفهم مفاتيحها كانت هذه القوة تتعرض لأقسى اختبار فى تاريخها، وربما بات على الولايات المتحدة وليس نحن إعادة اكتشاف نفسها.

فما فى حياة الاشخاص فإن حياة الامم تختبر بالازمات الكبرى والحروب، والمجابهات، والتى عندها تظهر معادن وخصال قد تكون نادرة وغالية فى بعض الأحيان، ومن صفيح فى أحيان أخرى، ولا يوجد هناك شئ له قيمة قدر ما يظهر من قيم اساسية لدى الامم فى اللحظات استثنائية والتى هى بحكم التعريف تنحو لتجاهل هذه القيم والبحث عن قيم استثنائية اخرى تميل للشر وتجاهل حقوق الاخرين بل وتحويلهم إلى شر مطلق يكون كافيا لإطلاق كل نوازع العنف والكراهية، والشر باختصار، فى الذات، وأظن أن قدرا من ذلك قد حدث، ولا يزال يحدث فى الولايات المتحدة حينما نجحت ضربات الشر فى مشاهد مهيبة ودرامية فى تدمير مبنى مركز التجارة العالمى ومبنى البنتاجون، ومعهم أربع طائرات مدينة بركابها وأطقمها، وخلال الأيام الأولى من الأزمة بدت ثلاثة نوازع تتحرك فى ذات الوقت داخل الجسد الامريكى، أولها مثلتها «الميديا» أو قوى الاعلام الكاسحة التى وجدت فى الحدث كل عناصر العمل الصحفى والاعلامى من دراما وتراجيدية واثارة وصراع ومواجهات بين قوى



الشر وقوى الخير، ولما كانت هذه القوى الأخيرة معروفة، فإن القوى الأولى كانت غائبة، ولذا كان هناك اندفاع نحو خلقها او استحضارها. ورغم التجربة السابقة لحادث اوكلاهوما الارهابى والتى حدث فيها تسرع لأجهزة الاعلام والميديا باتهام العرب والمسلمين وثبت بعد ذلك ان تيموثى ماكفاى (حكم عليه بالإعدام منذ فترة قصيرة) ينتمى لمنظمات عنصرية امريكية، فإن كثيرين فى محطات التليفزيون والصحافة لم يجدوا غضاضة فى إعادة الاتهام مرة أخرى للعرب والمسلمين دون تأن ومراجعة للوقائع، وحينما ثبت ان بعض الاسماء التى وردت فى لائحة المتهمين الأولى إما انها توجد فى السعودية او توفيت منذ سنوات لم يؤد ذلك إلى مراجعة الموقف، وحتى عندما تم احتجاز عربة بيضاء اشير إلى انها ضمت الارهابيين العرب فإنه لم يكن مفهوما لماذا يحمل ارهابى محترف الكتاب الخاص بالطيران حتى لحظة تنفيذ العملية، كما انه لم يكن معروفا ابدا حتى فى العالم العربى ان كتب الطيران أو الدليل الخاص بها موجود باللغة العربية بل انها حتى فى البلاد العربية موجودة باللغة الانجليزية ، كما لم يكن مفهوما ابدا لماذا لم يحدث ان اشار احد من الضحايا الذين نجحوا فى اجراء مكالمة تليفونية لذويهم قبل الحادث فى الاشارة إلى الاصول العربية للخاطفين، وباختصار كانت هناك اسئلة كثيرة تستحق الطرح، وتبقى قدر من المراجعة والتحقق والبرهنة مستمرا إلا ان الاعلام الامريكي، وخاصة التليفزيون، مصمما على أن يقدم كبش فداء سريعا، وخاصة فى المحطات المحلية الكثيرة التى كادت تشير مباشرة إلى كل عربى، وحتى تكتمل الدراما والتراجيديا وأفلام التليفزيون والسينما فى حبكة حقيقية تم التركيز على اسامة بن لادن ، باعتباره ذلك الشرير الذى يلعب بخيوط الارهاب الدولى، وكان ذلك تكبيرا مبالغا فيه لقدر الرجل ، وتقليلا مبالغا فيه لقدرات الولايات المتحدة التى باتت، ومعها حلف الاطلنطى، فى مواجهة رجل واحد وليس ظاهرة بأكملها وهى الارهاب، وكان ذلك فيه قدر غير قليل من عدم احترام ارواح الضحايا الذى كان يستوجب دقة فى البحث عن الذين قاموا بهذه الجريمة البشعة ليس فقط فى حق الامريكيين بل ايضا فى حق الانسانية كلها.

على الجانب الآخر من الصورة كان يوجد اجهزة القضاء والتحقيق الامريكية التى وقع عليها عبء هائل للتعامل مع جريمة مات مرتكبوها وضاع الكثير من آثارها ودلائلها إن لم يكن بفعل الانفجار فبفعل النيران والانهيار للمبانى كما انها بحكم التعريف كجريمة ارهابية لم تكن من ذلك النوع الذى يترك الاثار والبصمات والأخطر من ذلك انها

محاطة برأى عام غاضب وهائج ويطلب القصاص قبل انتهاء الليل، تغذية اجهزة اعلام ثائرة ، وسياسيون متعجلون يريدون توجيه الاتهام الفورى حتى يجدوا من يطلبون الانتقام منه، ورغم ذلك كله فإن اجهزة التحقيق والقضاء ابقت على رؤوسها باردة ، بل إنها فى كل لحظة - وعلى لسان المدعى العام - كانت تعلن أنه لا يوجد من يوجه إليه الاتهام وأن هناك ٢٠٠٠ من الخيوط التى تتبعها الأجهزة المختلفة، وهنا ربما كانت امريكا تستعيد كل مخزونها القانونى الذى يبقى المتهم بريئا حتى تثبت ادانته ، وميراثها القيمى الذى يقدس الحرية الفردية للافراد، وأيضا دروس التاريخ التى تستعيد مواقف مشابهة جرى فيها التجنى على مواطنين امريكيين غير مذنبين وأخذهم بأخطاء وذنوب وخطايا بلادهم كما حدث مع الأمريكيين من أصل يابانى خلال الحرب العالمية الثانية ، فعندما تم تجميعهم فى معسكرات الاعتقال جرى ادانتها اخلاقيا وقانونيا فيما بعد.

وبينما كانت المؤسسة الإعلامية الامريكية متعجلة فى تشكيل المجرم الذى سوف يجرى الانتقام منه وتخرج اسوأ ما فيها لتهييج الرأى العام الامريكى على المسلمين والعرب، وبينما كانت المؤسسة السياسية حائرة ومرتبكة ومتأرجحة بين اسوأ ما فى الاعلام، وأفضل ما فى القضاء ، كانت القيادات الامريكية تعرف انها بحاجة ماسة لاستعادة مصداقية القوة الامريكية التي اهينت وتبعثرت فى نيويورك وواشنطن ، وفى دولة تتسع مصالحها باتساع الارض والسماء وتنتشر جيوشها واساطيلها بين اليابس والماء، ويوجد أهلها سائحين وجنودا وخبراء فى كل القارات والجزر فإنها تصبح منكشفة انكشافا هائلا عندما يكتشف خصوم لها - دول او افراد او جماعات - أنها بهذا القدر من الانكشاف خاصة فى جبهتها الداخلي.

وعلى الجانب الآخر، كانت المؤسسة السياسية الامريكية - سواء كانت فى البيت الأبيض أو فى الوزارات والهيئات المختلفة بما فيها الدفاع والخارجية والمخابرات - تعرف ان الموقف بهذا الحجم لم يعرف من قبل ، وان الطرق السابقة فى التعامل معه لا تنفع كثيرا، وان تحديد الخصم او الخصوم سوف يحتاج إلى وقت، هذا إذا حدث على وجه الاطلاق ، فربما لأول مرة فى التاريخ يصبح العدو ظاهرة وليس فردا او جماعة او دولة ، فقد كان الامريكيون يعرفون جيدا ان عدوهم فى الحرب العالمية الأولى هو المانيا ، وفى الثانية كان معها اليابان، وفيما بعد كانت كوريا والصين وفيتنام ، وفى الحرب الباردة

كان الاتحاد السوفيتي والدول الشيوعية، وحتى عندما تعرضت القوات الامريكية لعمليات للارهاب الثورى فى بيروت ، كانت تعرف **الطرف الآخر** الذى عليها مواجهته ، أما الان فإن الطرف الآخر مجهول ولا يعلن عن نفسه وقدراته التدميرية هائلة بدون اساطيل وجيوش ومدافع وطائرات ، والأكثر من ذلك فإن هناك احتمالات قوية أن نوافذه مفتوحة على أسلحة الدمار الشامل البيولوجية والكيماوية والمعلوماتية التى تدمر الامم والشعوب دون حدوث انفجار واحد.

ومن هنا يمكن ان نفهم حالة التخبط والارتباك الذى عانت منه المؤسسة السياسية الامريكية، ففى بعض الأحيان نجحت فى ان تقترب من الحكمة عندما جعلت «**العدو**» هو الارهاب العالمى الذى شن الهجوم على الحضارة العالمية فى جميع جوابنها وتجلياتها ، وفى بعض الأحيان الأخرى نزلت بالموضوع كله إلى تحديد «**العدو**» فى شخص واحد هو اسامة بن لادن الذى أعطته قدرات اسطورية فى التخطيط والتنفيذ صانعة منه بطلا لكل المحتجين والمتمردين والخانقين فى العالم، وفى احيان ثالثة كان العدو هو افغانستان وما احدثته من ارهاب فى العالم ، وفى احيان رابعة كان نظام الطالبان، وفى احيان خامسة كان كل العرب والمسلمين، وبين هؤلاء الاعداء كانت الخيارات الامريكية تتأرجح ما بين ضربات جوية ساحقة لكل من يؤوى الارهابيين، والغزو الكامل للاراضى الأفغانية.

وبالطبع فإن القصة الأمريكية لم تنته بعد ، فوقت كتابة سطور هذا المقال كان قد مضى اسبوع واحد فقط على الكارثة فى البنتاجون ومركز التجارة العالمى، ومن المؤكد ان امريكا سوف تحتاج الي وقت لكى تعيد اكتشاف نفسها وطاقاتها ، وربما لو نجحت امريكا فى التوصل إلى أنها لأول مرة تتعامل مع عدو يشكل ظاهرة متشابكة الابعاد ، بحيث ان افغانستان ـ اذا ثبت ان لها ضلوعا في الحادث ـ لا تشكل أكثر من بعد واحد منها ، فإنها تكون قد وضعت نفسها على أول الطريق الصحيح ، فهى ظاهرة تحتاج لتعاون دولى فعال، كما تحتاج إلى مواجهات على المدى القصير والمتوسط والطويل، كما تتطلب اساليب سياسية واقتصادية واجتماعية وعسكرية للتعامل معها، وكل ذلك يحتاج إلى وقت ، والوقت عملة صعبة هذه الأيام فى دنيا السياسة الامريكية، ولكن من يعلم ما الذى سوف يحدث بعد أن تعيد امريكا اكتشاف نفسها ، فربما تكون الحكمة هى المنتصرة فى عالم انتشر فيه الكثير من الحمقى!!



مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: نصف الدنيا

التاريخ: ٣٠ سبتمبر ٢٠٠١

يرى أن أحداث ١١ من سبتمبر عملية عبقرية شديدة البساطة

د. عبدالمنعم سعيد:

أنصح أمريكا بالبحث عن الجانــــى «الحقيقى»

بعد انتهاء أحداث ١١ من سبتمبر وضرب رموز أمريكا الاقتصادية بمركز التجارة العالمى والسياسية الكابيتول والدفاعية والبنتاجون. وجد الرئيس الأمريكى جورج بوش (الابن) نفسه فى ورطة لا يحسد عليها؟ فهو لا يستطيع أن يفسر لشعبه لماذا وقعت هذه الهجمات ومن المسئول عنها؟ وكيف ستتم معاقبته؟

فلم يجد بوش غير «عدو» «جاهز» وهو أسامة بن لادن .. أمريكا الآن تحشد ٥٠٠ طائرة فى المنطقة حول أفغانستان.. ١,٤ تريليون دولار خسائر بورصة وول ستريت فى أسبوع و٢٥ مليون دولار رصدتها أمريكا عمن يدلى بأية معلومة تؤدى إلى إلقاء القبض على بن لادن، ودونالد رامسفيلد وزير الدفاع الأمريكى يشير إلى أن واشنطن تأخذ التهديدات بالأسلحة البيولوجية على محمل الجد وأن التقارير الأولية تشير إلى أن ٦٠ دولة لها ضحايا فى الاعتداء على المركز التجارى العالمى.. توجهنا بعدد من الأسئلة التى تشغل بال الرأى العام إلى الدكتور عبدالمنعم سعيد. مدير مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام.. الخبير الاستراتيجى والمفكر السياسى وصاحب عشرات المؤلفات السياسية: هل يمكن لأسامة بن لادن القيام هو وتنظيمه بمثل هذه العملية؟ وإذا كان هذا صحيحا فأين تم تدريبهم؟ وما الجهات المحتمل أن يتوجه إليها بن لادن للهروب من مطاردة أمريكا؟ وما السيناريو الحربى الأقرب الذى ستنفذه أمريكا؟

وما العداءات التى يمكن أن تخلقها مثل هذه الضربة وما يتبعها من وجود أمريكى دائم فى هذه المنطقة الحيوية مع القوى الإقليمية الأخرى مثل روسيا والصين وجمهوريات الدول الإسلامية المستقلة عن الاتحاد السوفيتى؟ وهل شكل العالم الجديد والعولمة فى طريقها للتنفيذ مرة أخرى؟.. أسئلة كثيرة توجهنا بها إليه وهذا هو السؤال الأول.

حاورته: زينب عبدالرزاق وصوّره: محمد السهيتى

■ **لماذا وجّهت الولايات المتحدة الأمريكية الاتهامات السريعة إلى أسامة بن لادن هو وتنظيمه «القاعدة» باعتباره مسئولاً وحده عن العمليات الإرهابية (١١ سبتمبر).. دون توجيه اتهامات لأى تنظيمات أخرى؟**

□ الولايات المتحدة لم تتهم بن لادن منذ أول لحظة، ولكن الإعلام الأمريكى هو الذى اتهمه.. وهنا لابد أن نفرق بين ثلاث قصص ظهرت فى أمريكا بعد الحادث مباشرة:

القصة الأولى: قصة إعلامية.. والإعلام الأمريكى له آليات وهى البحث عن المتهم بسرعة.. فأتوا بمحللين وخبراء وكان رأى البعض أن المتهم هو بن لادن.

القصة الثانية: قدّمها السياسيون الذين قالوا إن هناك بعض شواهد على أن الفاعل هو الإرهاب الإسلامى، لكن لابد من انتظار نتائج التحقيقات الفيدرالية.

القصة الثالثة: والتى قدّمها المدعى العام الأمريكى مؤكداً أن لديهم عددا من المشتبه فيهم و «أشكوف» هو الذى تبنى هذا الموقف، ونجد أن أول اتهام جاء كان فى خطاب الرئيس بوش الذى أعلنه الخميس قبل الماضى عندما قال:«أمريكا تتهم بن لادن وذلك نتيجة التحقيقات الأولية.. ونشتبه فيه وفى تنظيم «القاعدة».. لذلك نحن نطلب من أفغانستان تسليمه لنا ليتم التحقيق فيما وُجد من دلائل أو مشتبهات أو إشارات فى ملفات التحقيق، ولكن ما ظهر من التحقيقات الأولية «اتهامات» وليس «إدانة».

■ **لكن الرئيس بوش طالب بالقبض على أسامة بن لادن حياً أو ميتاً؟**

□ عندما يوجد شخص مشتبه فيه فى حادث بهذه الضخامة لابد أن يتم القبض عليه لأنه حادث رهيب وغير عادى، وأتذكر عندما حدثت محاولة لضرب مركز التجارة العالمى سنة ١٩٩٣ بسيارة مُفخخة، كان المتهم الأول هو أحمد رزق يوسف والشيخ عمر عبدالرحمن وتمت المحاكمة وحكم عليهما، لكن هناك فرق كبير بين العمليتين والجريمة هنا فظيعة وهى قتل أكثر من ٦ آلاف شخص بالإضافة للخسائر المادية الرهيبة اقتصاديا وماديا، فهذه جريمة مُركّبة ومهولة وليس مجرد قتل شخص أو اختطاف طائرة.

■ **هل يمكن لأسامة بن لادن وتنظيمه القيام بهذه العمليات الإرهابية.. وأن يكون على دراية كاملة هو وأتباعه بخطوط الطيران والملاحة داخل الولايات المتحدة الأمريكية؟**

□توجيه السؤال هكذا معناه أن هناك ضغطاً ما على المحققين الأمريكيين بضرورة إلصاق العملية لابن لادن.. وأنا لدىّ عدد من الأسئلة الاستنكارية المطروحة الآن فى العالم العربى والصحافة العربية:

أولا: قد يكون الفاعل شخصاً آخر.

وأعتقد أن من مصلحة الولايات المتحدة دولة ضُربت بهذا الشكل أن تبحث عن الجانى الحقيقى وليس عن جان وهمى، لسبب بسيط جدا أنه ما لم يتم الإمساك بالجانى ومعاقبته أو ردعه، فإن هذه العملية لا تتكرر مرة واثنتين وثلاثاً، وأمريكا مجتمع مركّب ومعقد ومتقدم جدا وملىء بمحطات الطاقة والسكك الحديدية والمطارات وحدودها واسعة وبحارها أيضا وبالتالى لو أن هناك شبكة إرهابية هى التى فعلت هذا وستظل طليقة فهذا خطر كبير على الولايات المتحدة، والخطر الأكبر أن يدينوا من لم يقم بهذه الجريمة، علينا أن نتخيل أن أمريكا لها مصلحة حقيقية فى البحث عن الجانى الحقيقى لا أن تقوم بالقبض على مزوَّر!

ونحن لو تذكرنا فى حادث «أوكلاهوما» أنه فى الساعات الأربع والعشرين الأولى كانت بعض الخيوط تشير إلى أن المتهم عربى ولكن بعد ٢٤ ساعة حدث انتقاد ذاتى «أمريكى».. ووجدوا أن المتهم «أمريكى» وتم القبض عليه، ولم يكن هناك إصرار على إلصاق التهمة بالعرب لمجرد أن ظهرت دلائل غير صحيحة وروعى ذلك حتى فى حادث طائرة (T.W.A800) حيث صرح كلينتون فوراً بعدم الانزلاق والتسرع فى الاتهامات إلا بعد أن تظهر نتائج التحقيقات وحتى هذه اللحظة، لم يعرف أحد الجانى، وفى هذه العملية (١١ سبتمبر) هناك إشارات بعضها صحيح وبعضها خطأ، وكانت البداية أن أجهزة التحقيقات بحثت عن معلومات عن ركاب الطائرة وعن خيوط وراء كل راكب.. هل هو مشترك فى جماعة متطرفة؟.. هل ينتمى لكنيسة ما؟.. نشاطاته؟.. وما تم التوصل إليه أن بعض الركاب عرب سُرقت هوياتهم، وبعضهم لم يركبوا بالفعل، وبعض الركاب زاروا الشيشان، وهنا يكون التركيز على شخصيات معينة.

والسؤال.. هل يستطيع بن لادن القيام بهذه العملية أم لا؟.. سؤال يجيب عنه التحقيق وفى النهاية فإن أحدا فعلها، وفى رأيى أن من قام بهذه العملية منظمة محترفة لها هدف تسعى إليه وبالتالى فهى لا تترك بصمات كثيرة فى مكان القتل، ولكن هذه المنظمات لها مواقع على الإنترنت ولها تصريحات مع القنوات التليفزيونية، ولها كتب تصدرها.. تقول فيها إنها تريد تقويض الولايات المتحدة والنظام العالمى والنظم العربية.. إلى آخره.

فابن لادن والظواهرى وأتباعهما لا يخفون أنهم فى حالة حرب مع أمريكا والأنظمة العربية.. إنهم يقولون ذلك صراحة، أيضا مما يقولونه بعد هذا الحادث أنه لم يفعلوها، لكن الملاحظ أن الحوادث السابقة الت نُسبت إلى هذا التنظيم مثل حادث الأقصر وحادث «الخبر» بالسعودية وتفجير سفارتى أمريكا فى نيروبى ودار السلام تشير إلى الارتفاع فى المستوى التكتيكى «العملياتى» لهذا التنظيم.

وفى رأيى أن هذه العملية الإرهابية التى تمت تتميز بعبقرية البساطة الشديدة، فلا يوجد مشكلة إطلاقا في دخول المطارات الداخلية فى أمريكا.. مجرد حمل جوا السفر ووجود اسم الراكب على التذكرة ولم يدخل الطائرات بسلاح أو مفرقعات وإنما اعتمدوا على القو البدنية لخطف الطائرة، بمعنى أنهم استخدموا الطائر نفسها كسلاح.

إذاً.. العمليّة بالغة البساطة والعبقرية والشر معا، كل ما كانوا محتاجين إلى أن يتعلموه قيادة الطائرة وتم هذ بالفعل فى الولايات المتحدة نفسها لأن أمريكا تتعامل مـ من يريد تعلم قيادة الطائرات كما تتعامل مع من يري تعلم قيادة السيارات!!

وإجابة محددة عن سؤالك أقول: إن مستوى عمليات تنظيم «القاعدة» مرتفع ولكن العملية بسيطة تنفيذيا فهي لم تدخل في دوائر الأمن الأمريكية ولم تقم بعمليات تضليل على شبكات خطوط الطيران.. والقول بأنه قد يكون الفاعل بن لادن وتنظيمه جائز، وهذا تكشف عنه التحقيقات في المستقبل.

■ العالم بأسره يتعرض للهجمات الإرهابية المختلفة هنا وهناك.. جماعات دينية ومافيا المخدرات وجماعات يمينية أو يسارية.. ما مدى احتمال توريط بعض العناصر الأمريكية في العملية الأخيرة؟

□ نعم.. يوجد في العالم اليوم جماعات إرهابية عديدة.. اليمين المتطرف والجماعات الفوضوية التي قامت بمظاهرات أثناء انعقاد مؤتمر «سياتل» وجماعات إرهابية لتجارة المخدرات في كولومبيا وأفغانستان وباكستان.. وبقايا الجماعات الإرهابية الموجودة منذ الستينيات والسبعينيات..الجيش الأحمر الياباني. الألوية الحمراء بإيطاليا و «بترمنهوف» الألمانية. والطريق المضيء في أوليفيا.. وبعض الجماعات اليسارية.. وهناك الإسلام الأصولي بأنواعه المختلفة الجهادية.

فعلا.. توجد شبكات إرهابية كثيرة في العالم.. ويمكن لشبكة أو أخرى أن تقيم تحالفا ما بين أكثر من جماعة أو منظمة.. وهذا وارد وسيكشف عنه أيضا التحقيق. وآخر المعلومات التي أوردها المدعي العام الأمريكي أن هناك ١٢٥ شخصا كانوا من ركاب الطائرة مشتبه فيهم.

■ وسط المشادات الدبلوماسية الجارية ما بين طلب تسليم بن لادن وموافقة مجلس شورى العلماء الأفغان على قيامهم بتسليم نفسه في الوقت الذي يراه مناسبا له ورفض حركة طالبان هذه الفتوى من مجلس الشورى وإصرارهم على عدم تسليم بن لادن.. والإعلان عن هروبه من أفغانستان.. ما الجهات المحتمل أن يتوجه إليها أسامة بن لادن من وجهة نظرك؟

□ في رأيي أنه يمكن لابن لادن أن يختفي داخل أفغانستان نفسها لأنها منطقة وعرة جدا، ويمكنه الاختفاء في كشمير أو الشيشان، ويمكن أن يذهب إلى الجماعات الإسلامية في إندونيسيا.. لكن هذا جزء من القصة أن يتم التركيز على بن لادن كشخص بسبب انحرافا في التفكير.. فالمنطق يقول إن العالم به إرهاب عالمي وجزء منه ديني وهذا الجزء استهدف كثيرا من البلاد - مصر والسعودية والجزائر وقام الإرهاب بمذابح قتلت أبرياء كثيرين، وهذا التيار يمثل عدوا للإنسانية والولايات المتحدة هي آخر من استفزهم هذا التيار، لكن هذا التيار قام بالفعل بقتل مدنيين كثيرين وعلى سبيل المثال عدد ضحايا الإرهاب في مصر ١٣٠٠ إنسان.

لا أحد يستطيع التأكد أين سيختفي بن لادن.. هذا سؤال صعب الإجابة عنه جدا.

■ في ظل الاقتراب المحموم للضربة الأمريكية المتوقعة ترددت العديد من السيناريوهات.. ما أقرب سيناريو ترى أنه أقرب إلى التحقيق على أرض الواقع من وجهة نظرك السياسية؟

□ طبعا.. نحن لا نعرف خطط القيادة الأمريكية، لكن لابد أن نقول: إن هذه القيادات عاقلة تفكر جيدا وأنها تصحح الخطأ إذا وقعت فيه، فهم عندما استعملوا تعبير «حرب صليبية».. أعلن الرئيس بوش اعتذاره فورا، لأن هذا التعبير يثير حساسية المسلمين، هذا يعطي إشارة إلى أن القيادة الأمريكية عاقلة.

في رأيي أن هذه السيناريوهات ضد العقل.. فالولايات المتحدة من الناحية العسكرية لابد أن تتعامل مع هدف رئيسي واحد، لأنها لا تستطيع أن تحدد عدة أهداف في وقت واحد لأن هذا يخلق أعداء كثيرين ومشاكل عسكرية كبيرة، فهم لابد أن يركزوا على هدف معين ويحققوه بعد ذلك يبدأون في التفكير في الأهداف الأخرى.. وضرب بن لادن جزء كبير منه يهدف إلى الردع.. فالأمريكان لابد أن يصلوا لنتيجة قوية في مكان معين، وحتى لو بسبب وجود بؤر إرهابية في مناطق أخرى في العراق وكوبا، وفي رأيي أن هدف أمريكا الأول هو ضرب تنظيم «القاعدة» في أفغانستان وللوصول لهذا الهدف سيستخدمون الضربات الجوية.

وأستطيع أن أقول ما الذي لن تفعله أمريكا: أولا أمريكا لن تواجه الأفغان بجنودها ولن يعيدو التجربة السوفيتية في أفغانستان، فهم يدركون أنها منطقة صعبة وأنهم لن يستطيعوا أن يقبضوا على بن لادن من دون عمليات جوية أو صاعقة، لأنهم لو كانوا يملكون قدرة على فعل ذلك لفعلوها حتى قبل عملية ١١ من سبتمبر .. فأمريكا تضع بن لادن على قائمة الإرهاب منذ سنوات .. والذي تستطيع أن تفعله أمريكا أن تغير النظام كله في أفغانستان من خلال اعتمادها على المعارضة الأفغانية .. وأنا أتصور أن هذا هو السيناريو الأكثر معقولية .. توجيه ضربات جوية لأفغانستان وأيضا تسليم أسلحة ضخمة للأفغان تحت الحكومة الشرعية لـ(رباني) وعن طريق رباني يبدأ تغيير الوضع في أفغانستان ككل. وإنهاء نظام طالبان والعودة بالملك شاه ظافر مرة أخرى ..

وهذه العملية - كما قال وزير الدفاع الأمريكي - قد تستمر خمس سنوات، وهي عملية طويلة الأجل وهذه ليست كعملية كوسوفا أو حرب الخليج أو البوسنة، إنها معركة طويلة ..

وللأسف هناك الكثيرون الذين يرسمون سيناريوهات بأنفسهم تكون غير حقيقية ويصدقونها .. وعندما لا تتحقق هذه السيناريوهات يبدأون في مهاجمة أمريكا وقدرتها !!

وطبعا الولايات المتحدة الأمريكية لن تدخل حربا برية .. لأنها لا يتوافر لها أرض مؤمنة للاستعمال .. لأنها في الحرب البرية تحتاج إلى مليون جندي على الأقل ولن تضع جنودها في مناطق بها قلال كثيرة وخطيرة كهذه المنطقة

وكل الفلسفة الواضحة من حرب الخليج وهذه الحرب هي حرب يطلق عليها «الحرب عن بعد» وقد استخدمت أمريكا هذا التكنيك في حرب الخليج لمدة شهر وبعد ذلك استخدموا القوات الأرضية ٤٨ ساعة ولم يدخل الجنود الأمريكان العراق .. والهدف كان الوصول إلى نتيجة بأقل خسائر وكانت الخسائر ٢٢٤ جنديا أمريكيا وانتهت الحرب .. وفي حرب كوسوفا لم يستخدموا قوات بشرية نهائيا ..

وأحب أن أذكر معلومتين طريفتين عن الأفغان .. أولا أن أفغانستان بقيادة رباني شاركت مع القوات الأمريكية في حرب الخليج وأرسلت خمسة آلاف جندي . ثانيا : ان الولايات المتحدة أكبر دولة تقدم معونات إغاثة للأفغانيين .

■ ننتقل إلى نقطة أخرى .. وهي انه على الرغم من التعاطف الواضح الذي أبدته البيانات الصادرة عن الدول العربية المختلفة وتعاطف بعض القطاعات الشعبية في العديد منها مع الشعب الأمريكي في محنته فإن هذا لا ينفي وجود قدر من الفرح والشماتة فيما تعرضت له الولايات المتحدة لدى بعض القطاعات الأخرى .. كيف يمكن ان تفسر ذلك في ضوء ان أمريكا باتت منذ ما يقرب من ٢٥ عاما الحليف الرئيسي والمانح الأول للمساعدات للعديد من الدول العربية ؟

وهل نعتبر السياسات الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط والصراع العربي الإسرائيلي تحديدا هي السبب في هذه الازدواجية التي سادت البلدان العربية ؟

□ هناك مشكلة في المنطقة بسبب وجود الصراع العربي الإسرائيلي .. فهذه القضية تحدد كل موضوع .. للأسف توجد تيارات سياسية معينة دائما تحدد كل شيء بالعلاقة بإسرائيل .. وهذا تمت تغذيته على مدى سنوات طويلة إلى أن أصبح أساسا في الشعور الشعبي العربي وبالتالي أصبح هناك تعبير بعد حادث ١١ من سبتمبر (أمريكا الآن تشرب من الكأس الذي شربناه كثيرا) ولكن أصحاب هذه المقولة يعلمون أولادهم في مدارس أجنبية ويحبون زيارة أمريكا . إما للفسحة أو العلاج أو للحصول على منحة دراسية ويتابعون قناة C.N.N ويقرأون الصحف الأمريكية أي أنه - للأسف - أصبح هناك نوع من النفاق والازدواجية .. البعض يريد الاستمتاع بكل ما هو أمريكي وفي الوقت نفسه يعلنون العداء لأمريكا !!

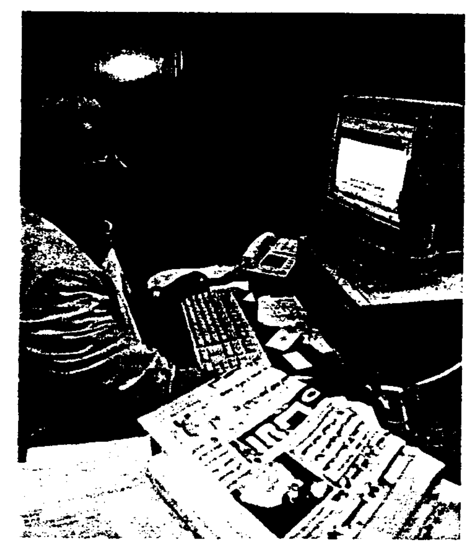
وهناك شيء آخر هو ان العرب يحبون باستمرار الكلام عن فضلهم على الغرب والكتب التي تتكلم عن تأثير الحضارات العربية على العالم وتمجيد ذلك .. لكن لا أحد يتكلم عن العكس ماذا قدمت الولايات المتحدة للبشرية من حيث اكتشاف أمراض أساسية والوصول لعلاج لها والتقدم الرهيب بخصوص الجراحات ونقل الأعضاء وتسهيل الاتصالات العالمية والطفرة التكنولوجية التي حققتها في القرن العشرين لا يوجد تقرير لذلك .. ولكن فقط النظر لأمريكا وعلاقتها بإسرائيل باعتبار ذلك هو المحك الرئيسي والاتجاه الأوحد، كما أن أمريكا تقدم مساعدات إغاثة للصومال وأفغانستان وأي بلد يصاب بكوارث بيئية كالزلازل والبراكين والذي تقدمه أمريكا على سبيل الإغاثة الدولية والكوارث الطبيعية يساوي تقريبا كل ما تقدمه كل بلاد العالم الأخرى، ونادرا ما يذكر ذلك في الصحف العربية، حتى إننا لا نكتب بصراحة عن المعونة الأمريكية التي تقدم لمصر ..

كل هذا لا يجد اهتماما أو صدى بسبب علاقة أمريكا بإسرائيل، وطبعا هذه مسألة مهمة، ولكنها يجب ألا تكون العنصر الوحيد لتقييم علاقاتنا بها.

■ ولكن الا ترى أن العرب لهم حق كبير في كره أمريكا على المستوى الشعبي بمختلف قطاعاته .. فأمريكا هي الراعي الرسمي لإسرائيل وهي السند القوى الغاشم البعيد عن كل حق ومنطق وعرف، وهي التي تقف ضد حقوق الفلسطينيين وتترك يد إسرائيل تساعدها في الوقت نفسه على ذبح وتشريد الفلسطينيين ؟

□ نعم أمريكا تساند إسرائيل ولكنها تساند العرب أيضا ليس بالدرجة نفسها وأنا أتساءل : هل كان يمكن تصور تحرير سيناء بالكامل لولا جهود الولايات المتحدة الأمريكية مع مصر ؟.. نعم .. أمريكا تقدم مساعدات رهيبة لإسرائيل وأيضا تضغط على الأمم المتحدة من أجل إسرائيل ؟.. وأنا أتساءل : من الذي يدفع إسرائيل أيضا للانسحاب؟ !! لا توجد مشكلة دولية استمر في إيجاد حل لها رئيس أمريكي ستة شهور مثل مشكلة الشرق الأوسط ..

أنا لا أقول إن أمريكا غير منحازة لإسرائيل .. وإنها تخالف المبادىء الأخلاقية العادلة حتى الأمريكية .. وفي قضية الصراع العربي الإسرائيلي، لكن أحاول وضع القضية في حجمها .. بقدر ما تساعد إسرائيل وبقدر ما تتبنى مواقفها هذا يتم دائما في لحظة الصراع .. لكن في لحظة السلام تتبنى أمريكا موقف العرب، وهذا موضوع علينا أن نفهمه ونتعامل معه، ولما فهمنا ذلك استعدنا بعض الأرض وذلك في الحالتين المصرية والأردنية .. وجزئيا في الحالة الفلسطينية ..



أمريكا مكروهة لأنها تساند اسرائيل

المسألة كيف تضع هذا وسط أشياء أخرى كثيرة؟ وأنا أقول إن نصف ميزانية السلطة الفلسطينية مدفوعة من الولايات المتحدة الأمريكية والمسألة ليست مطلقة، ولكن المهم في هذه القضية كيف نجعل الأمريكان يتفهموننا أكثر ويساندون مواقفنا أكثر في عملية جدلية.

■ **هل تتوقع أن هذه الضربة الأمريكية وتوابعها بداية لتشكيل نظام عالمي جديد يعتمد على تضافر جهود قوى العالم المتحضر لمواجهة قوى الإرهاب المتخلفة طبقا لما صرحت به الإدارة الأمريكية ؟**

□ هذه المقولة تتردد .. إن العالم بعد يوم ١١ من سبتمبر ٢٠٠١ لن يكون كما كان .. وأنا سأغير سؤالك وأقول : ما الشيء الذي إذا تغير يتغير العالم ؟

والإجابة : العالم قائم على ثلاث ركائز أساسية :

١ - العلم والتكنولوجيا، ٢ - السوق، ٣ - الإنسان

عندما تتغير الركائز الثلاث نستطيع أن نقول إن العالم تغير نستطيع ان نقول إن النظام العالمي تغير في التسعينيات لأنه تم التغيير على مستوى هذه الركائز الثلاث .. حدث ما يسمى بالثورة الصناعية الثالثة .. الكمبيوتر والإنترنت، ثورة الاتصالات وتأثير ذلك على الإنتاج والاستهلاك .. بالإضافة إلى انتشار حقوق الإنسان والحريات والديمقراطيات، فالآن أصبحت نصف بلاد العالم ديمقراطية .. أما ما حدث في ١١ من سبتمبر والحرب ضد أفغانستان فمن الممكن أن يحدث تغييرا في الحلقة الثانية من الدائرة التي تحدثنا عنها سلفا وهي حلقة السوق والسبب أن حدوث هذه العمليات الإرهابية والمعركة بين الولايات المتحدة الأمريكية وأفغانستان وتوابعها قد وقعت والعمليات الإرهابية قد تستمر ليس بضرب أمريكا مرة أخرى وإنما بضرب مناطق مختلفة مثل مصر والسعودية وأندونيسيا وأوروبا وتركيا .. الضرب ممكن لأي مكان ضعيف في العالم : سفارة .. مطار .. مصنع .. مجمع سكني .. هذا هو السيناريو السوداوي الذي قد يحدث ويسبب تغييرا في النظام العالمي.

لكن أنا أشك في ان هذا سيحدث لأن درجة الاستفزاز التي ستتكون من العمليات الإرهابية للقوى السياسية في العالم ستكون رهيبة بمعنى لو أن هناك تغييرا سيكون في هذا الاتجاه، وإذا لم يحدث تغيير سيحدث فقط عمليات تكييف إزاء النظام العالمي الجديد.■



مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر : الاهرام

التاريخ : ١ اكتوبر ٢٠٠١

تعريف الآزمة...!

ما جرى في مدينتي نيويورك وواشنطن يوم الحادي عشر من سبتمبر المنصرم، من تفجيرات وأعمال إرهابية، طالت ما يصل إلى سبعة آلاف نسمة، ينطبق عليه التعريف الكلاسيكي للأزمات الدولية، فالحادث جاء مفاجئا تماما للولايات المتحدة، التى وقع على أرضها، وبنفس القدر كانت المفاجأة لكل الأطراف الدولية الأخرى الحليفة لها، أو حتى ذات الخصومة معها، وربما كان العالم لايزال مهتزا من هول ما جرى حتى هذه اللحظة، بعد ثلاثة أسابيع من حدوثها، وكذلك هدد الهجوم على مبنى مركز التجارة العالمي والبنتاجون قيما ومصالح عليا لواشنطن، تمثل في الاعتداء على أراضيها القارية لأول مرة في تاريخها، ووضع المصداقية الأمريكية الإقليمية والعالمية موضع التساؤل، فضلا عن تهديد الاقتصاد الأمريكي والعالمي من ورائه، وكلاهما كان منزلقا منذ شهور الى تباطؤ منذر وخطر، وأخيرا فقد تضمن الموقف احتمالات عالية لاستخدام القوة العسكرية، وهو ماحدث بالفعل ، عندما طلبت الولايات المتحدة من أفغانستان تسليم عدد من «المشتبه» في قيامهم بالأعمال الإرهابية حتى يقفوا أمام العدالة أو «أن تأتي العدالة لهم»، وفرض ذلك على الدول الرئيسية في العالم، أن تحدد موقفا من التآلف الدولي الذي تنوي أمريكا بناءه ضد الإرهاب.

نحن إذن أمام أزمة دولية كلاسيكية، وكما هو الحال في كل الأزمات الدولية الكلاسيكية، فإن تعريف الأزمة وجوهرها، هو الذي يحدد عادة نوعية التعامل معها بما فيها القرارات الحاسمة لاستخدام القوة العسكرية، وحتى نقرب الصورة فإنه خلال أزمة الصواريخ الكوبية الشهيرة في مطلع الستينيات، وصلت المعلومات بقيام الاتحاد السوفيتي بنقل صواريخ نووية ونشرها على الجزيرة الكوبية، وعندما عرض الأمر على جماعة إدارة الأزمة في مجلس الأمن القومي الأمريكي، كان هناك رأي أن وجود صاروخ سوفيتي نووي في كوبا لا يشكل فارقا من الناحية الاستراتيجية، عن صاروخ يوجد على الأرض السوفيتية أو في أوروبا، أو في غواصة مختبئة في أعماق المحيطات، «فالصاروخ هو الصاروخ»، كما قال روبرت ماكنمار وزير الدفاع، ومن ثم فإنه لايوجد خطر جديد على الولايات المتحدة، ولكن كان هناك تعريف آخر للأزمة، فالقضية لم تكن الصاروخ النووي في حد ذاته، وإنما حقيقة وجوده على بعد تسعين ميلا من ولاية فلوريدا الأمريكية، مما يمثل تحديا لا يغتفر للهيبة والمكانة الأمريكية في العالم، قد تغري موسكو بما هو أكثر، ونتيجة هذا التعريف ، فقد تم تصميم سلم لاستخدام القوة العسكرية يبدأ بالحصار، وينتهي بالقوة المسلحة حتى لو أدى الأمر الى مواجهة نووية، الفارق كما هو واضح كبير للغاية، بين قرار استند الى تعريف معين للأزمة، يؤدي الى عدم فعل شيء على الإطلاق، وتعريف آخر قد يؤدي الى استخدام القنابل الذرية.

الحال كذلك في الأزمة الراهنة، وربما لا يهمنا كثيرا كيف عرفت الولايات المتحدة الأزمة، لأننا نعرف أنها قررت استخدام القوة العسكرية، وهو ما يعني أنها اعتبرت مصالحها الحيوية العليا قد تعرضت للخطر، ولكن القضية بالنسبة لنا كيف نعرف نحن الأزمة، وكيف نحدد جوهرها، لأن ذلك سوف يحدد الى حد كبير ما الذي يجب على مصر عمله خلال المرحلة المقبلة، وربما - ربما - ننجح في التوصل الى تعريف تلتقي عليه الأغلبية العظمى من النخبة المصرية، فنتجنب الانفلاق والانقسام، والحقيقة أننا حتى هذه اللحظة قد انقسمنا على أنفسنا بطريقة غريبة للغاية، فقد بات ممكنا أن يقول الكاتب أو المتحدث بعدة تعريفات للأزمة الراهنة، رغم تضارب معطيات كل منها وتناقضها مع بعضها البعض، وبالتأكيد تناقض النتائج السياسية التى تترتب على كل منها.

التعريف الأول الذي ذاع لدينا، أن جوهر الأزمة الحالية هو السياسات الأمريكية في الشرق الأوسط وهو ما يعني أن جماعة ما رأت الظلم يحيق بالفلسطينيين من قبل إسرائيل، وقيام الولايات المتحدة بتأييد هذه الأخيرة تأييدا مطلقا، فقررت القيام بالعملية الإرهابية لتدمير مركز التجارة العالمي ومبنى البنتاجون، وبالطبع فإن هذا التعريف قد امتد لكي يشمل مظالم أمريكا، وأحيانا إلى هيمنتها وغطرستها، الذي وصل بها إلى الانسحاب من اتفاقية كيوتو ومؤتمر ديربان، فكانت الفاجعة الكبري، التعريف الثاني للأزمة يسير في اتجاه مختلف تماما، وهو أن الولايات المتحدة تبنت العداء للإسلام والمسلمين والعروبة والعرب، ولذلك فإنها اندفعت لاتهام من كانت لهم أسماء عربية أو إسلامية، وذلك حتى تغطي على عناصر أمريكية داخلها قامت بالعمل الإرهابي - كما حدث في حادث أوكلاهوما - واستغلته السلطات الأمريكية لتصفية حساباتها مع من بيتت العداء والكراهية لهم، أما التعريف الثالث للأزمة فهو أن إسرائيل فعلتها، عن طريق الموساد أو وسائل أخري، ولكن المهم في تحديد الجوهر في الجريمة، هو تحديد من المستفيد منها، وقد كانت إسرائيل هي المستفيدة لأنها قلبت أمريكا على العرب، وجعلت منهم هدفا لغضبها وسخطها وعقابها، والدليل على ذلك - كما قيل - إن أربعة آلاف يهودي غابوا عن الحضور عن مركز التجارة العالمي يوم الحادث (لم يتحدث أحد عن غياب يهودي عن البنتاجون، ربما لأنه لم يحصل على قائمة العاملين بالتفصيل موضحا فيها الديانة!).



وبغض النظر عن الاتساق المنطقى فى كل تعريف، فإن المنطق يقول إن ثلاثتهم لا تجتمع فى جوف رجل واحد، فليس معقولا أن يقوم العرب لأنهم ناقمون على السياسة الأمريكية، والأمريكيون لأنهم ناقمون على العرب، والإسرائيليون لأنهم يوقعون بين العرب وأمريكا، بهذا العمل الإرهابى فى آن واحد، ولكن اللامعقول حدث لدينا، ومن يستمع للفضائيات العربية سوف يجد المتحدثين يذكرون التعريفات فى نفس واحد، ويوم الثلاثاء الماضي، كتب كاتب مرموق مقالا مهما فى القضية، وأورد التعريفات الثلاثة فى ثلاث فقرات متتابعة، ودون أن تطرف له عين أو يرمش له جفن، ودون أن يسميها تعريفات بالطبع.

ما جرى فى هذه التعريفات الثلاثة، أنها استبعدت مجموعة من الحقائق بإصرار عجيب، فمن أوردها لا تكاد تجد فى حديثه أو مقاله ذكر أو أثر لوقوع الإرهاب فى بلادنا أو فى العالم من قبل راديكاليين اتشحوا بالدين الإسلامي، وكأنه لم يسقط ما يزيد على ألف من القتلى المصريين غير أضعافها من المصابين فى أحداث إرهاب جماعات متعددة، وكان من بينهم رئيس للجمهورية ورئيس لمجلس الشعب، ومفكرون وكتاب وبعض النخبة وكثرة من العامة، أو كأنه لا يسقط أحد فى الجزائر قتلا بواسطة جماعات إسلامية مسلحة، أو كأن المملكة العربية السعودية لم تشهد حادثا فى الخبر أو فى الحرس الوطنى السعودي، أو كأن إندونيسيا وباقى قائمة العالم الإسلامى لا تشهد جماعات تهاجم كل المسلمين أفرادا ودولا ومجتمعات بادعاءات شرعية وغير شرعية شتي، وبعد أن تم استبعاد وجود جماعات إرهابية إسلامية من الصورة تماما، بات طبيعيا استبعاد نظام التحقيقات والقضاء الأمريكى كله، أو التعامل معه كما لو كان جهازا لواحدة من دول العالم الثالث الشمولية، التى يتلقى قضاتها ومحققوها مكالمات تليفونية تحدد الجناة ومرتكبو القضايا. وفى هذه الحالة فقد قضى الأمر أن «يلبس» الإسلاميون التهمة، مادام العداء مستحكما ضد الإسلام، وكل ذلك مهما قال القادة الأمريكيون بأنهم لا يحاربون ولا يريدون حرب الإسلام، ومهما رددوا ومعهم الرأى العام كما تقول استطلاعات الرأى العام، إن من قام بالعملية الإرهابية لا يمثلون الإسلام والمسلمين.

وبعد أن تم استبعاد الإرهاب والنظام القضائى الأمريكي، جرى وبخفة يد مثيرة استبعاد حقيقة العلاقات العربية والإسلامية - الأمريكية من الصورة تماما، فالتعريفات الثلاثة تفترض عداء مستحكما بين الولايات المتحدة والعالمين العربى والإسلامي، ولا جدال أن هناك تناقضا وخلافا ورفضا عربيا واسلاميا للسياسات الأمريكية إزاء قضية الشرق الأوسط خاصة ما تعلق منها بإسرائيل، ولكن ذلك يعد واحدا من مكونات العلاقة الأساسية ولكنه ليس كلها، فربما لا ينسى العرب والمسلمون أن الولايات المتحدة - حتى تحقق مصالحها - قامت بإنقاذ ثلاثة شعوب إسلامية فى الكويت والبوسنة وكوسوفا خلال السنوات الأخيرة، وربما لن ينسوا أنه رغم الموقف المخزى وغير الأخلاقي، من الصراع العربى - الإسرائيلي، فإن الولايات المتحدة تتحمل جزءا لا بأس به من موازنة السلطة الوطنية الفلسطينية التى تنفقه على التعليم والصحة، بالإضافة إلى نصيبها فى هيئة الأونروا، ونصيبها كأكبر دولة مانحة للإغاثة بالنسبة لدول مثل أفغانستان والسودان والصومال، فالعلاقات العربية والإسلامية مع الولايات المتحدة علاقات معقدة ومركبة ومتعددة الأبعاد، وفيها ما يرفض مثل مساندتها لإسرائيل، وفيها ما هو مقبول من الدول إلى درجة الصداقة والعلاقات الحميمة، وإذا أخذنا هذه الحقائق الغائبة فى الحسبان، فربما استطعنا إعادة النظر فى تعريفاتنا للأزمة حتى نصل إلى التعريف الصحيح!.

د. عبدالمنعم سعيد


مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر : الاهرام
التاريخ : ٨ اكتوبر ٢٠٠١

مصالح مصر..!

تعريف أزمة دولية كالتي نعيشها الآن وتبين جوهرها وحجم الإشكاليات الداخلة فيها، لايتم في فراغ، أو لاعتبارات مجردة، وبالتاكيد ليس قياسا على شعارات خلابة، وإنما بنسبة كل ماجرى ويجرى فى الأزمة إلى مصالح بعينها لدولة محددة لها مركز واحد لصناعة القرار واتخاذه وتنفيذه. ومن المدهش أنه برغم كثرة ماكتب وسطر وقيل فى الأزمة الراهنة فإنه لم يوجد اجتهاد واحد ـ فيما نعلم ـ حاول تحديد المصالح المصرية التى على القيادة المصرية أن تدافع عنها وتحميها، وأن تعززها وترفع من قدرها. وربما كان ذلك راجعا من جانب إلى أن تعبير المصالح ليس تعبيرا مفضلا فى الثقافة السياسية الشائعة والغارقة فى المثاليات اللغوية والفكرية التى تنظر من عل إلى كل مايبدو حسابات منفعية لا يجوز التعامل معها فى لحظات النزال والنضال. وربما كان الأمر عائدا من جانب آخر إلى أن مايهمنا ليس فى الحقيقة مصر، وإنما كيانات كبرى مثل العالم الإسلامى أو الوطن العربى وهؤلاء لاتتحدد مصالحهم بالقطعة تبعا لمصالح كل دولة مشتركة فى هذا الكيان أو ذاك، أو تبعا للفترة الزمنية الراهنة، وإنما عادة ماتحدد وفق عمليات تاريخية كبرى ولأهداف سامية عظيمة.

وقد يكون كل ذلك صحيحا، ولكن مشكلته أنه يصعب من خلاله تعريف الأزمة ومن خلالها تحديد السياسات والاستراتيجيات وتعبئة الموارد التى لايمكن القيام بها من خلال «الأمة الإسلامية» أو«الوطن العربى» حيث لا يوجد مركز محدد لصناعة القرار واتخاذه وتنفيذه، وإنما من خلال دول مثل مصر وإندونيسيا وتركيا والمغرب وغيرها من أعضاء الأمة والوطن. وهذه الدول ليست معلقة فى الفراغ، وإنما بها مواطنون ينتمون إلى شرائح اجتماعية وسياسية، وهؤلاء جميعا لهم مصالح عليا فى الوطن الذى يعيشون فيه. وعندما يواجه هذا الوطن أزمة فإن عليهم تحديد المصالح المعلقة بها حتى يمكن لمتخذ القرار أن يقوم بواجبه فى تعريف الذى يواجهه تحديدا والتحرك منطقيا من هذا التعريف إلى مايجب عليه فعله، ويحاسب عليه أمام شعبه ومواطنيه، وليس أمام الأمة العظيمة أو فى مواجهة الوطن الكبير.

وفى العادة فإن مصالح الأمم تنقسم إلى ثلاثة أنواع، أولها استراتيجى بمعنى قدرة الأحداث على التأثير على بقاء الدولة ذاتها وتكاملها الإقليمى، ومن ذلك النوع تلك الأزمة المستحكمة التى عشناها تحت الاحتلال الإسرائيلى حيث ضربت المصلحة الاستراتيجية المصرية فى الصميم عندما احتلت إسرائيل سيناء بكاملها فى كارثة يونيو ١٩٦٧. ومن المصالح الاستراتيجية كذلك مايؤدى إلى اختلال التوازنات الاستراتيجية فى إقليم مابحيث يضعف موقف الدولة ويمكن أن يقود فى المستقبل إلى الاعتداء عليها، ومن هذا النوع استمرار احتلال إسرائيل للأراضى العربية لأن مثل هذا التوسع يؤثر على التوازن فى المنطقة بما يعد تهديدا لمصر. وأخيرا يقع ضمن هذه المصالح درجة الاستقرار فى الإقليم الذى تقع فيه الدولة بحيث إن الصراعات بين الدول أو فى داخلها يمكن أن تمتد إلى داخل الدولة ذاتها وتسبب عدم الاستقرار الذى قد يصل إلى الحرب الأهلية. والمثال هنا واضح من منطقة الشرق الأوسط كلها المتخمة بالعديد من الصراعات الإقليمية بين دول، والحروب الداخلية الصغيرة والكبيرة بين جماعات وفرق وقبائل وأعراق ونحل.

وبالتاكيد فإن الأزمة الراهنة لايوجد فيها مايهدد بقاء مصر أو سلامتها الإقليمية، فالطرف الأساسى الذى تعرض للهجوم هو الولايات المتحدة الأمريكية وهو الطرف المنوط به الدفاع عن نفسه. ولكن من جانب آخر فإن الأزمة تهدد باختلالات فى التوازن الإقليمى، فإسرائيل لم تنتظر للثانية بعد الانفجارات الكبرى قبل أن تحاول تحقيق أهداف استراتيجية كبرى أولها: أن تفرق بين العالم العربى والإسلامى من جانب والولايات المتحدة من جانب آخر عن طريق الإعلان أنها الطرف الإقليمى الوحيد الذى يلقى بكل ثقله وراء الولايات المتحدة بينما لاتفعل الأطراف الأخرى شيئا سوى ممارسة كراهيتها لواشنطن فى السر والعلن. وثانيا: أن تجعل حربها العدوانية مشروعة من خلال الربط بين إرهاب نيويورك وواشنطن من ناحية و«إرهاب» الفلسطينيين من جانب آخر فتتحقق الوحدة الأمريكية ـ الإسرائيلية فى مواجهة العدو المشترك فتستعيد إسرائيل مكانتها الاستراتيجية التى كانت قد فقدتها خلال حرب الخليج الثانية.

وثالثا: أن تستغل الفرصة السانحة وانشغال العالم بما جرى للقوة العظمى الوحيدة وتنقض على المقاومة الفلسطينية لكى تنهى صداعا لها طال أكثر مما ينبغى. كل ذلك إذا ماتحقق كان كافيا لكى يخلق حالة من الاختلال الاستراتيجى الكبيرإذا ما نجحت إسرائيل فى تنفيذ سياستها فى بتهديد مصر ومن ورائها الدول العربية وتعيد تركيب الشرق الأوسط كله من جديد لمصلحة إسرائيل وتركيا التى اتخذت نفس المواقف منذ اللحظة الأولى للأزمة. وفوق ذلك ـ من جانب آخر ـ فإن عملية الصراع المسلح ضد الإرهاب، والإرهاب المضاد، سوف يكون كفيلا بخلق حالة من عدم الاستقرار بالنار واللهب فى الشرق الأوسط كله، وفق امتداداته إلى آسيا الوسطى شرقا وشمال إفريقيا غربا، ولايعرف أحد متى يأتى منه شرر يشعل الحريق فى مصر.

النوع الثاني من المصالح ذو طبيعة مادية محسوسة، وفيه تتشكل الأهداف الاقتصادية للدولة، وتتجسد فيه إمكانياتها وقدراتها المادية والبشرية.

وعندما جاءت الأزمة كانت خلفيتها الاقتصادية في مصر لاتسر أحدا حتى بعد أن تمكنت مصر بجسارة وشجاعة من التخلص من أكبر موجة إرهابية متمسحة بالإسلام عرفتها في تاريخها. وأيا كان رأي كثيرين في الولايات المتحدة سلبا أو إيجابا فإنها أقبلت على الأزمة الراهنة وهي أكبر شريك تجاري لمصر حيث تشكل ٤٠٪ من تجارتها الخارجية، وهي أكبر مانح للمعونة لها والتي تصل حاليا إلى أقل قليلا من مليارين من الدولارات، يعدان نوعا من الإشارة بالاطمئنان للمعونات والاستثمارات من الدول الأخرى في أوروبا واليابان. والقائمة بعد ذلك طويلة فيما يتعلق بالسياحة ، والتكنولوجيا ، واستخدام قناة السويس، وتعليم وتدريب المصريين، إلخ. وحتى لايخطيء أحد الفهم ، فإن كل ذلك يعكس ايضا مصالح أمريكا، مقابلة ، ولكننا هنا لاننظر في مصالح أمريكيا ولكن في مصالحنا نحن الموضوعة في ميزان الأزمة الراهنة. وهو ميزان في حدود مانعلم لايوجد فيه الكثير مما يخص أفغانستان أو طالبان أو تنظيم القاعدة، فلا توجد صادرات مصرية تذهب إليهم، كما أن واردات مصر لايدخل فيها الأفيون والمخدرات الأخرى التي تشتهر بها أفغانستان ، وبالتأكيد فإن الحرب الأهلية الطويلة بين الطوائف الإسلامية المتصارعة لم تسمح لكابول ببناء الأساطيل في أعالي البحار التي لاتطل عليها حتى تمر بعد ذلك في قناة السويس.

النوع الثالث من المصالح هو مايسمى بمصالح السمعة والمكانة، فالدول كائنات ليست كلها نفعية، وهناك مصالح تتعلق بالهوية والتاريخ، وكثير من الأمور المعنوية المتعلقة بالشرف والكرامة التي يصعب قياسها بدقة، وكذلك الأمور المتعلقة بالعدل واحترام القانون الدولي . هنا فإن وجود مصر في العالم الإسلامي يلقي عليها واجبات شتى، كما أن وجودها في الوطن العربي يلقي عليها بالتزامات متعددة، وعضويتها في الأمم المتحدة يرتب عليها أن تتحرى العدالة والحقوق . ولكن القضية هنا أن كل ذلك لابد من تحديده بدقة، فالعالم الإسلامي الذي يضم أكثر من ٢٠٠ مليون مسلم في اندونيسيا و١٤٥ مليون مسلم في باكستان، و١٨٠ مليون مسلم في الهند لايمكن اختزاله في أفغانستان أو حتى طالبان أو تنظيم القاعدة. والعالم العربي الذي يبلغ عدد سكانه قرابة ٣٠٠ مليون نسمة لايمكن اختزاله في جماعات الجهاد الإسلامي، والجماعات الإسلامية المسلحة. أما القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة فلا بد من مراجعته للتعرف على الحكومة الشرعية في أفغانسان لأنه حتى الآن كان العالم لايعترف إلا بحكومة التحالف الشمالي ماعدا المملكة السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة وباكستان، وقد قامت الأولى والثانية بقطع العلاقات مع كابول، وبالتالي هل تقضى الحكمة والحصافة أن نعتبر حكومة طالبان هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الأفغاني في هذه الأزمة؟.

هذه المجموعات من المصالح بالغة الاهمية ، وربما تكون قاصرة أو غير كاملة، وهي قابلة لاجتهاد المجتهدين ، ولكن الواضح منها أنها هي التي ينبغي أن تكون المحدد لنا في تعريف الأزمة ومسارها بالنسبة لنا وليس ماتريده أية قوة أخرى بما فيها الولايات المتحدة. ولذلك فإنني لم أفهم كثيرا تلك الدعوة التي جاءت متهكمة على ماسمته «جماعة بن لكن » من عبر المحيط لكي تطالبنا باعطاء امريكا شيكا على بياض في إدارة الأزمة الراهنة ، وهو شيك لم يعطه الكونجرس للرئيس بوش، ولاحلف الأطلنطي فعل ، برغم أن كليهما قام بالتأييد وهو مفتوح العينين، وكذلك سوف تفعل مصر التي عليها أن توازن بين هذه المصالح المنسجمة أحيانا والمتناقضة أحيانا أخرى. والحديث متصل.

د. عبدالمنعم سعيد


مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر : الاهرام الاقتصادى

التاريخ : ٨ اكتوبر ٢٠٠١

فى شأن الذى جرى بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١؟!

ما أبعد الليلة عن البارحة، فبعد أكثر من أسبوعين من حادث الهجوم على مبنى مركز التجارة العالمى المنيف فى نيويورك، ومبنى البنتاجون المنيع قرب واشنطن، فإن العالم تغير كثيرا وبدا أن هزيمة الإرهاب باتت ممكنة. ففى الساعات والأيام الأولى بعد الحدث الهائل ظهر وكأن العالم مقبل على الجحيم ، فمن ناحية لم يكن أحد متأكدا من أن العملية الإرهابية لن تكون إلا فاتحة لسلسلة من الهجمات المتتابعة التى تشل الحياة فى العالم وفى الولايات المتحدة على وجه الخصوص.

ومن ناحية أخرى بات متوقعا أن اتجاه أصابع الاتهام نحو مسلمين عرب سوف يفتح أبواب جهنم على العرب المسلمين فى أمريكا وفى غيرها من البلدان الغربية، وربما حتى الشرقية أيضا.. ومن ناحية ثالثة، وهى الأخطر ، فكان أن يتحول الحديث الإرهابى الى فاتحة لمواجهة كبرى بين الإسلام والمسيحية،وربما كان ذلك مايراهن عليه الإرهابيون بحيث يتحول أكثر من مليار مسلم إلى قنابل زمنية موقوتة تنشر اللهب والنار فى العالم كله.. ومن ناحية رابعة وأخيرة كان متصورا أن النتائج الاقتصادية للانفجار سوف تكون حالة من الشلل الاقتصادى المؤدى إلى الركود والكساد وحالة من التوترات الاجتماعية المثالية لحالات الإنقلاب والثورة.

أيا من ذلك لم يحدث رغم فداحة الأحداث أولا وانتشار مشاهدتها بسبب ثورة الاتصالات المعاصرة ثانيا، بل لعله لم يحدث فى التاريخ من قبل أن شاهد مليارات من الناس جريمة إرهابية تجرى وقائعها تحت سمعهم وبصرهم. ولم يحدث ذلك رغم أنه ثالثا كانت هناك وفرة هائلة باتساع العالم بأسره من المبشرين بالمواجهات الكبرى، والمنازلات العظمى وصراع الحضارات الذى لايوجد منه مفر أو خلاص.وهؤلاء كان لديهم يقين بأن الغرب سوف يسحق مواطنيه العرب والمسلمين ويظهر« **على حقيقته** »وأكثر من ذلك سوف يشن غارات لاتعرف التمييز على شعب أفغانستان المسلم. وكان هناك كثرة مثلهم من المبشرين فى الغرب أن هناك كراهية أزلية بين المسيحية والإسلام، وهناك فارق وتناقض بين العالم الغربي والعالم الاسلامي ، يقوم علي فكرة الحرية والديمقراطية في جانبهم ، والاستبداد في جانبنا. وقد كانت آلة الكراهية قوية وغلابة، وتتحدث بحتمية تحسد عليها، فقد كان

الظن أن الساعة حانت طالما ما تمنوها وانتظروها .

ولكن يبدو أن العالم قد تعلم شيئا من الماضي وبدأت التغييرات تأخذ مجراها على جوانب التلال المختلفة من العالم.وعندما وافق مجلس الشيوخ الأمريكي، بعد موافقة مجلس النواب، على قرار يدين أعمال المضايقات والتحرشات التي يتعرض لها الأمريكيون من أصول عربية أو يدينون بالدين الإسلامي، فإنه كان بذلك يفتح الباب لحماية الحقوق المدنية لهؤلاء. ولم يكن الأمر مجرد قرار للعالم لكى يرى كيف تحمى الحريات فى أمريكا ، وإنما كان واقعا فعليا للمواجهة ضد المتعصبين والعنصريين من الأمريكيين من خلال التحقيق في أكثر من تسعين حادثة من ضمنها حادثتان تم تحويلهما الى المحاكمة وكان ذلك مفارقة كبرى للحالة الهيستيرية الأولى التى أثلجت صدور الإرهاب المادى والإرهاب الفكرى فى العالم والتى تصورت أن أمنياتها قد تحققت فى النهاية لكى تنشق الدنيا بأسرها إلى معسكرات متناحرة توفى بنبوءة صراع الحضارات التى طالما صلوا من أجل حدوثها .

ولكن الدعاء لم يستجب وجاءت قرارات الكونجرس تتويجا لاستجابات متعددة من جانب القيادة الأمريكية، وبعد أن كانت هناك تصريحات مبعثرة عن ضرورة ألا تنسحب الأزمة على العرب والمسلمين الأمريكيين، فإنها بعد ذلك تحولت إلى جهد منظم.وربما كانت نقطة البداية فى احتمال الإنزلاق إلى ما يريده الإرهابيون عندما ذكر الرئيس بوش أنه سوف يشن حربا« **صليبية** » ضد الإرهاب ورغم أن الكلمة فى حد ذاتها لم تعد تأخذ معناها التاريخى ، وانما تشير الى التصميم بضرورة عمل شئ فيقال بشن حملة« **صليبية** » ضد الفقر مثلا، فإنها فى العالم الإسلامى لم تكن كذلك. ومن وقتها لم يحدث تراجع فوري واعتذار عن الكلمة ذاتها فقط ، وانما امتد الأمر إلى سلسلة من الإجراءات التى تعطى العلامات والإشارات أن الحرب التى سوف تخوضها أمريكا ليست ضد الإسلام والمسلمين وإنما ضد مجموعة من المجرمين الذين قاموا بعملية إجرامية وكانت مع الرئيس الأمريكى ذاته الذى زار مركز إسلاميا لأول مرة فى تاريخ الولايات المتحدة، وأعلن فيه ان الاعتداء على العرب والمسلمين غير مقبول وسوف يقابل بالعقاب وبعدها استقبل مجموعة من زعماء الجمعيات والمؤسسات الأمريكية، وحينما اجتمع مع عدد من القادة الدينيين كانت من بينهم مشايخ مسلمون وعندما وصل الأمر إلى الكونجرس كانت الإدارات والهيئات الأمريكية قد باتت أكثر عقلانية واستعدادا للنضال ضد الإرهاب دون أن يتضمن ذلك سياسات عنصرية وكانت هذه السياسة على الجانب الأمريكى كافية لكى يكون لها صداها على الجانب الأوروبى ورغم أن بعضا من ساسة أوروبا مثل بيرلسكونى فى إيطاليا وقع فى الفخ وتخيل العمل الإرهابى فى الولايات المتحدة صراعا بين دينين وطريقتين فى الحياة، فإن ذلك لم يكن عاما وقد احتجت واعتذرت كافة المؤسسات الأوروبية تقريبا عما أفلت وقيل والاكثر من ذلك أكدت على لسان الترويكا الأوروبية أنه لايمكن معادلة الإرهاب بالعالمين العربى والإسلامى .

كانت أوروبا وأمريكا تجاهدان أمام نزعاتهما العنصرية عالمين أن الانتصار عليها هوطريقهما لمكافحة الإرهاب. وفى الحقيقة إن كفاحا من نوع آخر كان يجرى فى العالم العربى والإسلامى ، ففى الأيام الأولى من الكارثة الكبرى تراوح الناس بين تعريفات للأزمة تقول كل شئ إلا أن ماحدث إرهابا **فالتعريف الأول** الذى ذاع لدينا أن جوهر الأزمة الحالية هو السياسات الأمريكية فى الشرق الأوسط، هو ما يعنى أن جماعة ما رأت الظلم يحيق بالفلسطينيين من قبل إسرائيل، وقيام الولايات المتحدة بتأييد هذه الأخيرة تأييدا مطلقا فقررت القيام بالعملية الإرهابية لتدمير مركز التجارة العالمى ومبنى البنتاجون وبالطبع فإن هذا التعريف قد امتد لكى يشمل مظالم أمريكا وأحيانا إلى هيمنتها وغطرستها التى وصلت بها إلى الانسحاب من اتفاقية كيوتو ومؤتمر ديربان فكانت الفاجعة الكبرى .

التعريف الثانى للأزمة سار فى اتجاه مختلف تماما وهو أن الولايات المتحدة تبيت العداء للإسلام والمسلمين والعروبة والعرب ولذلك فإنها اندفعت لاتهام من كانت لهم اسماء عربية أو إسلامية، وذلك حتى تغطى على عناصر أمريكية داخلها قامت بالعمل الإرهابى ـ كما حدث فى حادث أوكلاهوما ـ واستغلته السلطات الأمريكية لتصفية حساباتها مع من بيتت العداء والكراهية لهم. أما التعريف الثالث للأزمة فهو أن إسرائيل فعلتها، عن طريق الموساد أو وسائل أخرى، ولكن المهم فى تحديد الجوهر فى الجريمة هو تحديد من المستفيد منها، وقد كانت إسرائيل هى المستفيدة لأنها قلبت أمريكا على العرب وجعلت منهم هدفا لغضبها وسخطها وعقابها والدليل على ذلك كما قيل أن أربعة آلاف يهودى غابوا عن الحضور عن مركز التجارة العالمى يوم الحادث (لم يتحدث عن غياب يهود عن البنتاجون ربما لأنه لم يحصل على قائمة بالتفصيل موضحا فيها الديانة!)

كانت هذه التعريفات فى مجموعها نتيجة تخوفات وهواجس تاريخية من الولايات المتحدة وتأييدها لإسرائيل إلا أنها من جانب آخر كانت تلقى بالجريمة على عاتق أطراف متناقضة فهى على الفلسطينيين الغاضبين تارة، وعلى الأمريكيين المعادين للإسلام تارة أخرى، وعلى اليهود والاسرائيليين تارة ثالثة . ورغم عدم منطقية اجتماع الاطراف الثلاثة على مثل هذا العمل الذى أودى بحياة ما يزيد على ستة آلاف شخص ينتمون إلى أكثر من ستين جنسية، فإن المشكلة كانت أنها استبعدت الإرهاب من الصورة وكأننا لم نصطلى بناره الحارقة على الناس ، وعلى التنمية طيلة عقد كامل ولكن التغيير لم يكن حادثا فقط على الجانبين الأمريكى والأوروبى بل كان حادثا على الجانب العربى وربما عندما يكتب تاريخ هذه الفترة سوف يكتب لصحيفة الأهرام

وللأستاذ إبراهيم نافع رئيس التحرير أنه كان من أوائل الذين ركزوا على الطبيعة الإرهابية لجريمة نيويورك وواشنطن.

ولم يكن ذلك أمرا سهلا، فالفضائيات العربية الزاعقة كانت كلها قد انبرت للدفاع عن العرب والمسلمين وكأنهم هم الذين قاموا بالجريمة أو كأن اتهام منظمات أصولية إرهابية سوف يعنى اتهاما للإسلام، وعلى طريقها سارت الصحف المصرية والعربية، بل وحتى الإعلام المصرى وجد نفسه مستوعبا فى تلك العاصفة حتى ظهر الأمريكيون وكأنهم هم الجناة وليسوا الضحايا فى هذه الحادثة.

والحقيقة أن الرئيس مبارك كان أول من حاول تشكيل الرأى العام العربى والعالمى فى الاتجاه الصحيح، فقد كان أول من حذر من الإرهاب منذ وقت طويل، ومع وقوع الحادثة كان أول من قال انه لابد من القضاء على الإرهاب منذ وقت طويل، ومع وقوع الحادثة كان أول من قال انه لابد من القضاء على الإرهاب ليس بقطع ذيله وإنما بقطع رأسه .. جوهر الحديث هنا أننا جميعا أمام عدو رهيب للإنسانية، ومواجهته تحتج جهدا دوليا اصيلا وليس مظهريا فالمكان ليس مكان إشعال العالم بالحرائق والزمان ليس زمان العمليات العسكرية التى تبهج مشاهدى الـ«سى إن إن» بل هى عملية طويلة، لايوجدفيها ما يبهج وأكثرها يجرى تحت السطح أما ما يجرى فوقه فهو سراب خداع وربما كان وزير الدفاع الامريكى رامسفيلد أول من عبر عن الموضوع بجلاء عندما قال إننا إزاء حرب لايوجد فيها يوم بداية للحرب D-day أو يوم نصرV-day.

وبالتأكيد فإن دور القيادة السعودية هنا لم يكن قليلا، وجاء قطع العلاقات مع حكومة طاليبان لكى يكشف للعالم ، والعالم الإسلامى خاصة، أن ما تقوم به حكومة طاليبان ليس من الإسلام في شيء وخاصة عندما قامت بإيواء وتدريب مواطنين سعوديين على إعمال الإرهاب والإجرام بما يتناقض مع كل الشرائع السماوية . كان ذلك شجاعة لاشك فيها، فقد كان الدفاع عن الإسلام ليس الدفاع عن القتلة والمجرمين والإرهابيين، وإنما الدفاع عن جوهره الأصيل الذى يأبى قتل النفس الإنسانية إلا بالحق وليس فى عمليات لايقودها شئ إلا الرغبة فى إشاعة الخوف وإشعال صراع الحضارات وربما كانت الساحة الباكستانية قد حملت أول إشارات التغيير الحقيقة فى العالم الإسلامى بعد أن كانت هناك مظاهرات وأعمال عنف لاهم لها إلا تأكيد الصراع العالمى والمواجهة مع الولايات المتحدة وما لبث الشارع الباكستانى أن عاد إلى الهدوء وخرجت المظاهرات لكى تؤيد جهود محاربة الإرهاب لقد كان العالم يتغير فى شرقه وغربه، وتم تفويت فرصة كبرى للإرهابيين لإشعال حريق عالمى لايبقى شيئا للإنسانية .



مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر : الاهرام العربى

التاريخ : ١٣ اكتوبر ٢٠٠١

أولى أزمات القرن الواحد والعشرين!!

ما معنى وصف الأزمة العالمية الراهنة بأنها أولى أزمات القرن الواحد والعشرين، وهل تختلف الأزمات من زمن إلى آخر، ومن عصر إلى عصر؟ الإجابة هى نعم فليس كل الأزمات مثلها مثل بعضها حتى ولو كان الأمر فى النهاية يؤدى إلى تهديد مصالح عظمى، وربما ينتهى باستخدام القوة العسكرية. وبالتأكيد فإن كل أزمة تعكس ملامح وقتها، وكذلك فإن الأزمة الراهنة تمثل إلى حد كبير مثل وأساسيات ذلك العصر المسمى ما بعد نهاية الحرب الباردة، والمتصف بالعولمة السياسية والاقتصادية والثقافية. وعلى سبيل المثال فقد كانت الأزمات الدولية تقاس شدتها قبل الحرب العالمية الثانية بعدد الدول المشاركة فيها وعما إذا كانت دولا صغرى أم كبرى، وحجم المصالح والمستعمرات المتنازع عليها. وبعد الحرب الثانية باتت الأزمات تقاس بمدى قربها أو بعدها عن إمكانية استخدام السلاح النووى، ولذلك اعتبرت أزمة الصواريخ الكوبية فى الستينيات وأزمة أكتوبر الشرق أوسطية فى السبعينيات أكثر الأزمات شدة فى فترة الحرب الباردة.

الآن فإن العالم كله لايزال فى أول الطريق للقرن الواحد والعشرين، وربما سوف يحتاج الأمر إلى عدد من الأزمات حتى يمكن التعرف على ملامحها الجديدة التى تكشف العصر وخصائصه. وربما كان أول ما نلاحظه أننا لسنا إزاء أزمة «دولية» حتى ولو كان فيها دول، وبينما ينتظر كثير من المحللين أن تكون أزمات القرن الجديد بين الولايات المتحدة والقوى الدولية الصاعدة الجديدة فى الصين واليابان، فإن أولى الأزمات لم تحدث بين دول على الإطلاق وإنما بين دولة من جانب وظاهرة هى الإرهاب من جانب آخر فى أول سابقة من نوعها فى تاريخ العالم، وكان من أولى نتائجها حدوث «ركود» اقتصادى «عالمى» كذلك.

وحتى وقت كتابة هذه السطور منذ أسبوع لم تكن الولايات المتحدة قد أعلنت أن عدوها هو أفغانستان وإنما كان العدو هو «المشتبه» فى كونهم إرهابيين تطلب من كابول تسليمهم فإذا كان لها ما أرادت فلا قصف ولا ضرب، وتنتقل المعركة بعد ذلك ليس إلى دول أخرى ولكن إلى إرهابيين يوجدون فى دول أخرى حتى ولو كان بعضهم فى دول غربية، فالحرب ضد الإرهاب لا تعرف حدودا دولية وهى موجودة فى أفغانستان بنفس الدرجة التى توجد بها فى الولايات المتحدة.

وربما كان مدهشا لكثيرين فى مصر والعالم العربى، وربما العالم كله ذلك الخبر الذى حملته الأنباء أن الولايات المتحدة خصصت 320 مليون دولار من أجل تقديم المعونات الغذائية لأفغانستان، وعندما نقلت قناة الجزيرة الفضائية الخبر أن المعونات الأمريكية هى نوع من تسمين الشاه قبل ذبحها. ولكن القرن الواحد والعشرين لا يعرف هذا المنطق، فكل شاه فى العالم، إذا جاز هذا المنطق لا يجوز ذبحها ليس فقط لأن منطق القرن لم يعد يقبل ذلك، وإنما لأنها ضرورية كمنتج ومستهلك فى السوق العالمية الواسعة. الشعب الأفغانى هنا ليس عدوا ينبغى سحقه فى حالة الصراع كما كان يحدث فى كل العصور الغابرة، وإنما هو حليف محتمل، وعضو فاعل فى عملية العولمة حتى ولو كان الذى يقدمه غنما وصناعات يدوية، وحتى نتخيل الصورة نسأل هل كان ممكنا أن يقوم الحلفاء بتقديم معونات غذائية لألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية، أو يتبادل الروس واليابانيون أرغفة الخبز بينما الأساطيل والجيوش تستعد لعمليات الغزو والتدمير. لم يحدث شىء من هذا من قبل، لأن ذلك مرتبطا فقط

بما وصلت إليه البشرية فى القرن الواحد والعشرين.

وربما لأننا لا نعرف الكثير عن القرن الواحد والعشرين والمنطق الذى يحكمه، تسرع كثيرون منا فور وقوع الأحداث، وتصوروا أن الولايات المتحدة سوف ترسل أرتالاً من الطائرات الثقيلة لكى تسوى ما تبقى من أفغانستان، قاتلة الشعب كله فى عملية انتقامية تشفى غليل الشعب الأمريكى الثائر المتعطش للدماء. وربما لو كنا فى عصور سابقة لتصورنا حدوث ذلك حقا، فالأمر المعتاد أن تدمر الدولة المعتدية وتقسم ويستعبد شعبها من قبل الأقوى والمنتصر، وقصص التاريخ حافلة بالقسوة ومصاصى الدماء. ومن المؤكد أن الولايات المتحدة من حيث عناصر القوة لديها الكثير الذى تفعله إزاء أفغانستان، وحتى لو كان القبض على بن لادن عصيا فإن فى مقدورها أن تضربها بالقنابل الذرية فيمسه التدمير والإشعاع بطريقة أو بأخرى. ومع ذلك فإن الولايات المتحدة لا تستطيع فعل ذلك فى القرن الواحد والعشرين، فعمليات القتل الجماعى لم تعد سرا على أحد فى العالم، وتكفلت وسائل الاتصال بنقلها للدنيا كلها، من المؤكد أن إدارة بوش أدركت أن الجمهور الأمريكى الذى كان يطالبها بالانتقام كان سيكون هو أول من يتراجع عندما تبدأ شبكات التليفزيون فى نقل مشاهد القتلى والدماء النازفة. ولذلك لم يكن مدهشا إطلاقاً أن حركة طالبان كانت حريصة للغاية على أن تعطى فرصة لكل الصحفيين وشبكات التليفزيون لكى تكون قريبة من مناطق الأحداث.

والحقيقة أن العالم تغير كثيرا فى القرن الواحد والعشرين عما كان عليه فى عصور سابقة، بل ووصل التغيير إلى الشعوب العربية التى غير معروف عنها حبها لتغير الأحوال واهتمامها غير العادى بالثوابت، فمن يشاهد الصحف والمحطات الفضائية العربية يجد المثقفين العرب لديهم اهتمام غير عادى بحقوق الإنسان وضرورة احترامها والمناداة بعدم تسرع الولايات المتحدة فى الحكم على أن بن لادن ورفاقه هم الذين كانوا وراء عمليات التفجير فى أمريكا، والمطالبة بالتحقيق المحايد المتمسك للغاية بقواعد القانون الدولى، هذا النوع من التفكير جديد على التفكير العربى الثورى الشائع لفترات طويلة فى المنطقة العربية والذى لا يرى بأسا فى ضياع أرواح كاملة مادام ذلك يتم من أجل تحقيق أهداف سامية مثل توحيد الأمة العربية أو إعلاء شأن الإسلام. ولعل ذلك كان مجرد بداية تستجيب إلى مثاليات القرن الواحد والعشرين وربما تنشرها فى المجتمعات العربية فيعلو شأن حقوق الإنسان وحكم القانون، ومن يعرف، الديمقراطية أيضا.

لكن العرب لم يكونوا وحدهم الذين تغيروا وفق مثاليات القرن الجديد وإنما بعدما وضعت صحيفة اللوموند الفرنسية عنوانها الرئيسى يقول «كلنا أمريكيون الآن» كانت بيدها تضع بداية فرنسية للعولمة بلا تحفظ أو مؤاخذة.

وعندما جاءت استطلاعات الرأى العام الأوروبية كلها تقول بتأييد أكثر من 70% من الأوروبيين للتدخل العسكرى وراء الولايات المتحدة. وفق منطق القرن الواحد والعشرين بالطبع. باتت هناك أول حرب عالمية تتم لمواجهة ظاهرة باتت تهدد العصر كله، وعندما دخلت روسيا والصين والهند وباكستان وأندونيسيا ومصر والسعودية وغيرها إلى ساحة الائتلاف الدولى كانت العولمة تدخل لمواجهة أولى أزماتها.

البريد الإلكترونى: Amsaeed @ ahram.osg.eg

الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاهرام الاقتصادى
التاريخ: ١٥ اكتوبر ٢٠٠١

إسرائيل ليست تشيكوسلوفاكيا ..!

يوم الجمعة الخامس من أكتوبر وقف رئيس الوزراء الإسرائيلى إرييل شارون فى جمع نقله التلفزيون لكى يؤنب دول الغرب على أنها على وشك أن تبيع إسرائيل من أجل الحصول على مؤازرة الدول العربية فى التحالف الدولى من أجل مقاومة الإرهاب. وقد استعاد بشجاعة، أو بصفاقة، يحسد عليها تلك الذكريات التاريخية لعام ١٩٣٨مذكرا الدول الديمقراطية أنها عندما تنازلت لهتلر وألمانيا النازية عن تشيكوسلوفاكيا فى سياسة«**التهدئة**» أو الملاينة APEASMENT التى اتبعها رئيس الوزراء البريطانى تشمبرلين، فإنها أثارت شهية الديكتاتور لمزيد من التوسع والعدوان. وفى الوقت الراهن- كما قال- فإن الدول الغربية تعيد ارتكاب نفس الخطأ مرة أخرى عندما تعترف بالدولة الفلسطينية وعندما تضغط على إسرائيل للانسحاب من الأراضى العربية المحتلة مقابل المساندة خلال المرحلة المقبلة فى العمليات العسكرية التى تستهدف تنظيم القاعدة فى أفغانستان تحت قيادة أسامة بن لادن .

وربما لم يعرف تاريخ التبجح فى السياسة شيئا مثل ذلك الذى ذكره السفاح الإسرائيلى الذى يريد أن يأخذ بلاده والعالم معها إلى هاوية الدمار، فما أبعد الشقة والحال بين تشيكوسلوفاكيا وإسرائيل. فالأولى كانت خلال الفترة ما بين الحربين دولة صغيرة ووديعة فى وسط أوروبا، لاتملك الكثير من القوة العسكرية، وليس لديها إلا الكثير من الفن والجمال، وصناعة تتقدم لكى تخدم الحياة ولاتعرف الموت، ولم تعرف اعتداء أو سيطرة علي أحد. وعندما ادعى هتلر أن السلافيين يضطهدون الأقلية الألمانية كان يعلم تماما أن ذلك ليس صحيحا ، وكان يعلم-كما كانت الدول الغربية تعلم- أنه يستخدم ذلك من أجل التوسع إلى وسط وشرق أوروبا والوصول بعد ذلك إلى الاتحاد السوفيتى.

أما الثانية-إسرائيل-فلا يوجد لديها أي من ذلك الذى كان يميز تشيكوسلوفاكيا، فهى دولة ليست ضعيفة على الإطلاق، وبالتأكيد فهى ليست وديعة. ومن الناحية العسكرية فإنها تعد من القوى المعدودة فى العالم التى تمكنت خلال تاريخها من تحقيق تفوق على جيرانها سواء من الناحية التقليدية أو فوق التقليدية التى تشمل أسلحة الدمار الشامل. وفوق ذلك إسرائيل حصلت على مالم تحصل عليه دولة من



التأييد السياسى الذى لم يتح لها فقط فرصة الوجود، بل أتاح لها أيضا فرصة التوسع والاستيلاء على الأراضى العربية الواحدة تلو الأخرى. ولم يقتصر الأمر على ذلك،بل تولى الغرب تقديم المعونات المالية الهائلة سواء ما كان منها على شكل تعويضات ألمانية لم تعطها

ألمانيا لغيرها من الشعوب التى دمرتها، كما أنها سمحت لإسرائيل بتمثيل اليهود الذين عانوا من المحرقة الألمانية وقاسوا منها فى واحدة من مذابح التاريخ القاسية. وكان ذلك رغم أن الغالبية من اليهود لم يكن يعيشون داخل إسرائيل بل فى دول أخرى ولم يكن الأمر مجرد تعويضات بل امتد الأمر الي معونات صريحة لم يحدث فى التاريخ من قبل أن تم تقديمها لدولة من الدول حتى صارت من الدول المتقدمة فى العالم .

كل ذلك لانجد مثيلا له فى حالة تشيكوسلوفاكيا الضعيفة الوديعة ومن المؤكد كذلك أن العرب لايمثلون ألمانيا فى هذه المعادلة. والمدهش أن كثيرا من الإسرائيليين يشعرون بانزعاج شديد عندما يتم تشبيههم بالنازية واعتبار ذلك نوعا من المعاداة للسامية وجارحا لمشاعرهم ومعاناتهم تحت الاحتلال النازى ومع ذلك فإنهم لم يجدوا غضاضة كبيرة فى أن يكرر شارون كلماته الجارحة للعالم العربى والمسلمين عامة التى يرى أن تحالف أمريكا معهم أشبه بالصفقة التى تمت مع ألمانيا النازية. وربما كانت المشاهد الراهنة فى الأراضى الفلسطينية المحتلة تحكى القصة كلها، فالجحافل العسكرية الإسرائيلية لاتحتل بأحذيتها الثقيلة الأرض فقط، بل أنها تواصل غزواتها الوحشية للأراضى الواقعة تحت سيطرة السلطة الوطنية الفلسطينية مستخدمة أكثر أنواع الأسلحة العسكرية فى الترسانة الغربية تقدما. وبالتالى فإنه لم يحدث أن قامت طائرات الأباتشى الفلسطينية، أو طائرات ف-١٦أو الدبابات الثقيلة أو الخفيفة الفلسطينية بضرب تل أبيب أو المدن الإسرائيلية، وإنما الذى حدث هو العكس تماما وعلى مدى سنة كاملة قامت قوات شارون الغاشمة بمحاولة قصم ظهر الشعب الفلسطينى.

المسألة إذن أنه ليست إسرائيل هى تشيكوسلوفاكيا، أو العرب، والفلسطينيون خاصة، هم ألمانيا الجديدة، ومن المؤكد أن الغرب الآن ليس هو الغرب الذى تعامل مع أزمة عام١٩٣٨ . لقد تغير العالم كثيرا منذ ما قبل الحرب العالمية الثانية وعاش بعدها عصورا أخرى للحرب الباردة وما بعدها، وإذا كان العرب قد دفعوا ثمن تعويض الفلسطينيين عن الكارثة التى حلت بهم من جراء ذنوب لم يرتكبوها عندما وقع على عاتقهم تعويض اليهود عن المجازر التى ارتكبها آخرون كانت معاداة السامية جزءا أصيلا من تركيباتهم الفكرية والثقافية. ولعل ذلك تحديدا هو ما أثار الذعر لدى شارون، وحثه على الخروج على المألوف لانتقاد الغرب والولايات المتحدة تحديدا فى سابقة غير معروفة فى العلاقات الأمريكية الإسرائيلية

فالحقيقة التى يتصورها شارون ومن لف لفه من الساسة الإسرائيليون وهى أنه على الغرب أن يدفع للإسرائيليين دوما ثمن المعصية الأوروبية الكبرى ربما وصلت إلى قرب نهايتها. فبعد نصف قرن من إنشاء دولة إسرائيل بدا للغرب كله أن إنشاء دولة إسرائيل ربما يكون قد حل جزئيا المسألة اليهودية، ولكنه فى ذات الوقت خلق جرحا غائرا ومتقيحا بالصديد والدماء الفاسدة فى العلاقات بين الغرب والدول العربية والإسلامية مهما تعددت العلاقات الاقتصادية والتجارية والاستثمارية. وفى وقت مدت العولمة جسورها وطرقها وموانيها إلى العالم كله، فإنه بات من الصعب استبعاد اكثر من مليار من المسلمين تعذبت أرواحهم لما يجرى لإخوانهم فى فلسطين، ولما يجرى من أسر للمسجد الأقصى الواقع تحت الاحتلال لأربعة وثلاثين عاما .

ويبدو أن إسرائيل قد فقدت صلتها تماما بالواقع، فما حدث فى مؤتمر ديربان على سبيل المثال بات يؤكد أن إسرائيل قد فقدت جدارتها الأخلاقية ليس فى عيون الدول العربية والإسلامية والعالم الثالث، بل أيضا بين شعوب العالم المتقدم التى حرصت أن تصل رسالتها المستنكرة للسلوكيات الإسرائيلية فى منتدى الجمعيات الأهلية العالمية التى تمثل الشعوب بأكثر مما تفعل الحكومات. وجاءت الضربة الكارثية فى الحادى عشر من سبتمبر فى نيويورك وواشنطن لكى تفرض على أجندة العالم كل مشكلاته الأساسية التى طالما أقرت العالم دون حل وفى المقدمة منها القضية التى أفقدت العالم مناعته فى مواجهة ظواهر متعددة وفى المقدمة منها الإرهاب ويبدو أن ما سارت عليه الأمور اختلف تماما عما تصوره شارون فى بداية الحدث، فقد تخيل أن بمقدوره تحويل الواقع الدولى لصالح إسرائيل تماما من خلال عدة وسائل **أولها** أن ينجح فى ربط الحادث الإرهابى البشع بعمليات المقاومة التى يقوم بها الفلسطينيون **وثانيها** أن يبث من خلال الإعلام العالمى من جديد نظرية صراع الحضارات التى أبدعها هنتجنتون وفرحت بها جماعات أصولية إسلامية عديدة وبالتالى يضمن عداء مستحكما بين الغرب من جانب، والعرب والمسلمين من جانب آخر. **وثالثها** أن ينتهز الفرصة التى جاءت بانشغال العالم، والولايات المتحدة خاصة، بالكارثة التى حدثت والتحقيق فيها وتحديد رد الفعل بشأنها، بأن يسحق الانتفاضة الفلسطينية الباسلة.

ولكن السحر انقلب على الساحر، فمن الناحية الاستراتيجية البحتة بدا شارون وكأنه يخلق مواجهة غير قابلة للحل، أو للنصر، بالنسبة للولايات المتحدة، بل أنه كان يؤدى إلى خلق تناقضات داخلية عميقة فى بلدان غربية بات المسلمون يشكلون جزءا هاما من تركيبتها السكانية.

ولأن الولايات المتحدة كانت تعرف تماما تفاصيل ما يحدث فى الأراضى المحتلة نتيجة مشاركة وكالة المخابرات المركزية فى مراقبة الوضع الأمنى، فإنه لم يكن سهلا وصف منظمات المقاومة الفلسطينية بالارهاب خاصة بعد ان استنكرت جميعها حادث نيويورك وواشنطن . وأخيرا فإن المشاهد الوحشية القادمة من الضفة الغربية وغزة شهدت بوضوح أن شارون ليس من هؤلاء الإسرائيليين الذين يفهمون طبيعة العلاقة بين بلادهم والعالم الغربى، كما أنه لايمتلك الحساسية الكافية للتعامل مع لحظة مفعمة بالحزن من اجل الضحايا، والتحفز من أجل القصاص لهم. فما كان يهم شارون ليس أهداف الغرب الاستراتيجية للتعامل مع الإرهاب الذى اعتدى على الأراضى القارية الأمريكية، بل تحقيق انتصارات انتهازية فى لحظة عالمية مرتبكة .

والحقيقة، وربما كان ذلك هو الأهم من ذلك كله، أن أوضاع السياسة الدولية خلال الأزمات الكبرى سرعان ما تعبراساسيات توازنات القوي في العالم المرتبطة بالمساحة والسكان بأكثر مماتعبر عنها كتغيرات توازن القوي المحددة في التكنولوجيا . فالثابت أنه لم يكن هناك شئ تستطيع إسرائيل أن تقدمه للولايات المتحدة وحلفائها في هذه الازمة ، فما لديها من تكنولوجيا لايضارع بالتأكيد ما هو لدى واشنطن. وعندما قالت إسرائيل أنها ستفسح مجالها الجوى للطائرات الأمريكية كان ذلك مضحكا للغاية لأن هذا المجال من الصغر بحيث باتت إسرائيل ذاتها تحتاج للمجال الجوى التركى حتى تكمل عملياتها التدريبية. وعلى العكس مع ذلك فإن الدول العربية والإسلامية كان لديها الأرض لانطلاق العمليات الأمريكية فى باكستان، وهى التى يوجد لديها تسهيلات وحقوق مرور، وهى لديها المعلومات بحكم محاربتها الحقيقة للإرهاب طوال السنوات الماضية.

وربما كان لدى إسرائيل شيئ واحد تقدمه فى هذه الأزمة وهو الصمت كما فعلت فى حرب الخليج، وربما لو كانت حريصة على الدول الغربية والعالم الغربى ومقاومة الإرهاب لخلصت العالم من إرهاب الدولة الذى تقوم به، وحلت القضية الفلسطينية على أسس الشرعية الدولية. ولكن إسرائيل لم تفعل، وعلى العكس تصورت أنه بوسعها تأليب العالم الغربى وتأنيبه وتبكيته على القرارات الاستراتيجية التى اتخذها كما فعل شارون مستدعيا حقائق تاريخية مغلوطة وقلبها رأسا على عقب. وربما أن للرجل أن يحمل عصاه على كاهله ويرحل، فتاريخه كسفاح يطارده فى كل لحظة ولا يعطيه أية مصداقية فى التعامل مع الإرهاب، وحاضره القائم على الفشل والعنف يجعل منه عقبة فى طريق حل قضية الشرق الأوسط، وتكوين تحالف حقيقى فى مواجهة الإرهاب.


مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر : الاهرام

التاريخ : ١٥ اكتوبر ٢٠٠١

حديث الأزمة لايزال مستمرا..!

عندما اعلن الرئيس حسنى مبارك، بكلمات لا لبس فيها ان مصر تؤيد الإجراءات الأمريكية ضد الإرهاب الدولى تاييدا كاملا، كان معنى ذلك أن القيادة المصرية قد عرفت الأزمة العالمية الراهنة منذ بدايتها، عند قصف مركز التجارة العالمى فى نيويورك، على انها ناجمة عن عمل إرهابى لا يهدد الولايات المتحدة وحدها، وإنما البشرية كلها، مما يستدعى تعاونا دوليا لتحقيق النصر فى هذه المعركة، وكان ذلك حسما لكثير من الشكوك التى انتابت الكثيرين عما اذا كان ما حدث يمثل فصلا من فصول المواجهة بين الغرب من جانب، والعرب والمسلمين من جانب اخر، او بين المسيحية والإسلام باعتبارهما طرفى مواجهة فى حرب لم تنته منذ قرون طويلة، أو افتعالا امريكيا لكى يتم اصطياد دول عربية بعينها وإخضاع العالم العربى والإسلامى، والسيطرة على بترول بحر قزوين، وعلى اية حال فإن من كان لديهم شكوك حول التحقيقات الامريكية ومدى عدالتها، ومدى التلفيق فيها، فقد حسمها لهم اسامة بن لادن وصحبته، حينما اذاعوا رسالتهم التليفزيونية التى اقروا فيها، ليس فقط بما سبق من عمليات إرهابية، وإنما بما سوف يتم من عمليات فى المستقبل.

ولكن ذلك الإعلان عن تعريف جوهر الأزمة، لا يعنى أن الخلاف قد انتهى من ساحة الوطن حول طبيعة الموضوع، وبالتالى ماذا تفعل مصر إزاءه من إجراءات، صحيح ان الإعلام الحكومى فى التليفزيون اقتنع فى النهاية ومعه عدد من الصحف القومية، بالخط الذى اتبعته صحيفة «الأهرام» بقيادة الأستاذ إبراهيم نافع منذ البداية، إلا ان عددا من الصحف الحزبية والمستقلة، ومعها عدد من الفضائيات العربية لاتزال تردد بلا ملل التعريفات الدينية للازمة، رغم ما جرى من تطورات فى الساحة السياسية الأمريكية، فيما يتعلق بالإسلام وبالعرب والمسلمين، ورغم النداءات العديدة التى قدمها قادة وزعماء المسلمين فى الولايات المتحدة بضرورة تصدى القيادات الإسلامية الرشيدة لقوى التطرف والمغالاة، ومنع خطفهم للدين الحنيف، ورغم رفض القيادات الفلسطينية المقاتلة لعملية الربط التى حاول بن لادن بين القضية الفلسطينية وحادث قتل ستة آلاف إنسان ينتمون إلى ستين جنسية فى مركز التجارة العالمى على الأرض الامريكية، بل والاكثر من ذلك، رغم الفتوى التى قدمها عدد من قادة التيار الإسلامى المرموقين والتى اجازوا فيها القتال للجنود والضباط المسلمين فى الجيش الامريكى.

رغم كل ذلك، لايزال الالتباس ساريا بين الإرهاب والمقاومة، وما بين معاداة امريكا فيما يخص موقفها من الصراع العربى - الإسرائيلى، والتوافق معها فى قضايا كثيرة أخرى تخص المسلمين فى البلقان وأمن الخليج، والتعاون الاقتصادى الذى يجعل صحة وسلامة الاقتصاد الأمريكى مسألة ضرورية لسلامة الاقتصادات العربية والإسلامية، ومع هذا الالتباس، فإن عناصر عدم الاستقرار بدات فى الانتشار فى دول العالم الإسلامى المختلفة، ويظهر ذلك فى مصر خاصة فى الأوساط الطلابية والشبابية التى عبرت عن قلقها من خلال التظاهر والشعارات المنادية بالدفاع عن افغانستان، التى تبدو ممثلة للعالم الإسلامى كله، وكأن تنظيم القاعدة لم يطرق أراضيها، او ان أسامة بن لادن الذى قتل الكثيرين فى مصر، ليس هناك، او أن تنظيم طالبان الذى قدم أكثر الصور ظلامية عن الإسلام فى الحكم واغتصاب السلطة لم يعد موجودا.

إن هذه الحالة تعكس فشلا إعلاميا كبيرا من قبل الجهاز الإعلامى الهائل الذى لم يفشل فقط فى المنافسة مع الفضائيات العربية، وإنما فشل فى مهمته الأساسية وهى شرح المواقف السياسية للدولة ومصالحها العليا، وفتح نقاش موضوعى وهادىء حولها، تمثل فيه كل القوى السياسية فى البلاد، ولم يكن الفشل إعلاميا فقط بل كان سياسيا كذلك، فحزب الاغلبية اختفى تماما من الساحة فى هذه اللحظات العصيبة، ولم يكن له وجود سياسى من أى نوع فى النقابات والاتحادات ومناطق تجمع الشباب، وفوق ذلك فإنه لم يعقد جلسة حوار واحدة مع احزاب المعارضة للتعرف على ارائها، وتوضيح المعلومات التى حصلت عليها مصر وجعلتها تقتنع بالأدلة والبراهين الامريكية، ولأن القضية لن تنتهى فى القريب العاجل، كما ان مصر محملة بمصاعب اقتصادية واجتماعية جمة، تجمعت خلال الاعوام الثلاثة الماضية، كما ان مصالح - عددناها تفصيلا فى الأسبوع الماضى - تريد تعزيزها فى هذه الأزمة، فإن مصر لا تملك ترف ترك الأمور على ما هى عليه، وتركها تتدهور لكى تصل الى المستويات التى وصلت اليها فى باكستان أو إندونيسيا، فالحقيقة هى أن الفراغ الإعلامى والسياسى لا يمكن أن يبقى فراغا، فقد شمرت قوى كثيرة عن أذرعها لملء الفراغ وتقبل رسالة بن لادن المدمرة وتوزيعها باعتبارها صحيح الإسلام، وباعتبارها عنوان البطولة والدفاع عن الدين والملة.

وفى العادة، فإن هذه القوى تبدأ بالمناداة بتعريف الإرهاب، ولكنها لم تحاول مرة واحدة ان تقدم تعريفا له، وذلك حتى تضيع الحدود وتختلط الأمور بين الإرهاب والمقاومة، بل وحتى الجريمة المنظمة، وبالتالى تصبح كل الأعمال الإرهابية مبررة باعتبارها دفاعا عن فلسطين، او عن الدين، أو عن العدالة او عن المظلومين والفقراء، وفى غمار هذا التشكيك يجرى التجاهل التام للتطور الذى حدث فى القانون الدولى، فيما يخص موضوع الإرهاب وتحديد معانيه، وقد فطن العالم منذ وقت طويل لمحاولة التعامل القانونى مع ظاهرة الإرهاب، ليس من خلال وضع تعريف شامل وكامل ومانع لها، ولكن من خلال تجريم الحالات التى تعد ارهابا، وكانت أولى الاتفاقيات الدولية التى تتعامل مع الموضوع هى الاتفاقية التى تم التوصل اليها بواسطة الأمم المتحدة للتعامل مع الأعمال التى يقوم بها الأفراد على سطح الطائرات وتخل بسلامة الطيران المدنى ووقعت فى طوكيو فى ١٤ سبتمبر ١٩٦٣، وبعد سبع سنوات، وتحديدا فى ١٦ ديسمبر ١٩٧٠، تم التوصل الى الاتفاقية الدولية لمنع الاستيلاء غير القانونى على الطائرات فى لاهاى، وفى ٢٣ سبتمبر ١٩٧١ تم التوصل الى الاتفاقية الدولية الخاصة بمنع الأعمال غير القانونية التى تؤثر على سلامة الطيران فى مدينة مونتريال الكندية، وفى مدينة نيويورك تم التوصل فى ١٤ ديسمبر ١٩٧٣ إلى الاتفاقية الدولية لمنع وعقاب الجرائم ضد الأفراد المحميين دوليا بما فيهم الدبلوماسيون، وفى نفس المدينة وفى ١٧ ديسمبر ١٩٧٩، وقعت الاتفاقية الخاصة باختطاف الرهائن، وفى ٣ مارس ١٩٨٠ تم التوقيع فى فيينا على الاتفاقية الخاصة بحماية المواد النووية ، وفى ٢٤ مارس ١٩٨٨ فى مونتريال تم التوقيع على بروتوكول منع اعمال العنف غير القانونية فى المطارات التى تخدم النقل الجوى، لكى يكون مكملا لاتفاقية منع الأعمال الخاصة بتهديد سلامة الطيران المدنى، ثم تم التوقيع فى روما فى ١٠ مارس ١٩٨٨ على اتفاقية مشابهة خاصة بسلامة النقل البحرى، وعلى اتفاقية خاصة بسلامة المنصات البحرية الثابتة الموجودة فى الجرف القارى للدول، وفى نيويورك فى ١٥ ديسمبر ١٩٩٧ منع تفجير القنابل الإرهابية، وبعد ذلك بعامين وفى ٩ ديسمبر ١٩٩٩ تم التوقيع على اتفاقية منع تدويل الإرهاب.

معنى ذلك أن هناك ادبا قانونيا دوليا رفيعا تراكم على مدى العقود الاربعة الماضية، يتعلق بالموضوع، حتى ولو لم يذكره صراحة بالقول بكلمة «الإرهاب» أو «الاعمال الإرهابية»، وإنما حولها إلى جرائم محددة يمكن للقانون اتخاذ مواقف بشأنها، ومن واجبنا، ومن واجب القوى الدينية المستنيرة، أن تضيف لهذا التراكم، وان تجعله محددا لا تختلط فيه امور المقاومة مع الإرهاب، والاكثر من ذلك، ان تسعى لتحقيق توافق داخل النخبة حول أهداف المرحلة المقبلة، فمن الثابت ان دول العالم الرئيسية الكبرى - بما فيها أوروبا وروسيا والصين والهند - قد تسابقت للوقوف مع الولايات المتحدة، وعرضت عليها ٣٦ دولة أن تشارك معها مشاركة عسكرية فى الحرب ضد الإرهاب، ومن المؤكد ان كل هذه القوى تشترك فى التحالف الدولى كل منها لأسباب تخصها مثل مشكلة كشمير بالنسبة للهند، او سنكيانج بالنسبة للصين، او الشيشان بالنسبة لروسيا، ولكن الثابت أيضا انه قد تكون خوف عالمى من الإسلام والمسلمين، بعد ان نجح المتطرفون والمغالون من امثال اسامة بن لادن وصحبته فى تنظيم القاعدة، والمشاركون معه بالفكر والاعتقاد من القتلة فى الجزائر، فى تشويه صورة الإسلام وتحويله من دين عالمى ينتشر فى الأرض بالحكمة والموعظة الحسنة، ومثالية التقدم الروحى والمادى، إلى حالة عصابية متشددة ومتطرفة ومعادية للمراة والإنسانية، لقد ان أوان فك اسر الإسلام واستعادة وجهه الناصع، قبل أن يقودنا الإرهاب ويقود بلادنا وشبابنا إلى هاوية سحيقة، إن المعركة الآن لن تكون صداما بالسلاح، وإنما مواجهة بالمنطق بين العقول□

د. عبدالمنعم سعيد



مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاهرام العربى

التاريخ: ٢٠ اكتوبر ٢٠٠١

تعريف الإرهاب.....!

تناقشات هذه الأيام حول الأزمة الدولية الراهنة باتت مثيرة للغاية، فقد اكتشف كثرة من العرب والمصريين أهمية القانون والقانون الدولى على وجه التحديد. وبعد أن ينتهى المتحدث من مرافعته، أو الكاتب من مقاله، فإنه لابد أن يأخذ نفسا عميقا ويقول أو يكتب فى حكمة بالغة ، إنه لابد من تقديم تعريف دقيق للإرهاب حتى لا تختلط الأمور ويضيع حق المقاومة وسط الحديث عن العنف كما كان الأمر فى السابق أو عن الإرهاب كما هى الحال الآن. المدهش أن هذا الغرام المفاجىء بالقانون الدولى، والحب المنيف للدقة فى التعبير، لا تصحبه أبدا أية مبادرة من الكاتب أو المتحدث لتعريف الإرهاب، وعلى الأرجح فإنه سوف ينظر نظرة ماكرة كما لو أنه وضع الجميع فى مأزق استحالة وضع التعريف، مادامت الحال كذلك فإنه لا داعى للحديث عن الإرهاب الذى مادام غير قابل للتعريف فلابد أنه غير موجود أصلا! والمدهش أكثر أن كل من ينادى بالتعريف «الدقيق» للإرهاب يبدو وكأنه يراه ظاهرة لا تخصنا، ولم تحدث عندنا، ولم تقتل أحدا من أهلنا، وإنما هى محض موضوع غربى يستخدم كذريعة للعدوان على العرب والمسلمين.

والحقيقة أن التعريف ليس سهلا كما هى الحال فى كل التعريفات التى تخص الفعل الإنسانى وتتداخل فيه تقديرات الأمور، والفترة الزمنية التى تحدث فيها، والثقافة السياسية السائدة فى ظلها. وأذكر أنه فى عام 1954 عندما صدرت مجلة «البلاى بوى» الأمريكية ذات الصور العارية رفضت هيئة البريد نقلها إلى المشتركين فيها باعتبارها تمثل فعلا فاضحا، وكان رأى أصحاب المجلة أن الأمر ليس كذلك، بل إنه لا يختلف كثيرا عن الصور المنشورة فى المجلات الرياضية التى تنشر صورا لفتيات وفتيان فى ملابس السباحة. وهكذا صارت القضية هى تعريف «الفعل الفاضح» حينما انتقلت القضية من محكمة إلى أخرى حتى وصلت إلى المحكمة الدستورية العليا عام 1960 فحكمت بأن توزع هيئة البريد المجلة باعتبار ما تقدمه نوعا من حرية التعبير. وأيامها ذاع رأى للقاضى دوجلاس أن الفعل الفاضح يعرف عندما تتم رؤيته، وكان ذلك معناه أنه نظرا للصعوبة فى التحديد القيمى والنظرى لما يعد فعلا فاضحا فإنه من الأفضل تحديد الحالات التى يراها المجتمع فعلا فاضحا، فقد يتسامح المجتمع فى ارتداء لباس البحر على الشاطىء ولكن ليس فى الطريق العام.

وبذات الطريقة سارت الأمم المتحدة على طريق تعريف تعبير آخر لا يقل تعقيدا عن «الفعل الفاضح» وعن «الإرهاب» وهو «العدوان». وكان التعقيد راجعا إلى أن الدولة من الممكن أن تستخدم القوة المسلحة لأنها تعتقد أن دولة أخرى تستعد للعدوان عليها وهو ما يسمى بالحرب الوقائية، وكان السؤال هو: هل يعد الأمر «عدوانا» فى هذه الحالة أم أن الموضوع يدخل فى دائرة أخرى وهى حق الدفاع الشرعى عن النفس. كذلك هل يعد استخدام القوة المسلحة «عدوانا» إذا كان لاستعادة أراض تم الاستيلاء عليها أو تنازعت عليها دول لقرون أو لسنوات. وهكذا فإن الحالات الملتبسة عادة ما تجعل التعريف مشكلة كبرى، رغم تكرر الظاهرة نفسها فى الحياة العملية بأشكال شتى تجعل من تعريفها معضلة معقدة.

ولا تختلف الحال عندما يتعلق الأمر بالإرهاب الذى هو شكل من أشكال العنف المسلح مثله مثل الجريمة ومثل الحرب ومثل العدوان من جماعات أو دول ومثل المقاومة وعمليات التحرير. ومع ذلك فإن لكل ظاهرة من هذه الظواهر سمات خاصة بها تميزها عن غيرها وتعطيها تفردها، ولكن رغم ذلك فإن مساحات التماس والالتباس عديدة وينبغى تحديدها بقدر الإمكان. ورغم أن للإرهاب تاريخاً طويلاً فإنه انتقل حاليا إلى ذرى عالية لم يعرفها من قبل، فما حدث فى يوم 11 سبتمبر الماضى فى الولايات المتحدة كان عدد ضحاياه مماثلا تقريبا لعدد الضحايا المصريين فى حرب يونيو 1967 وكذلك لعددهم فى حرب كاملة أخرى هى حرب أكتوبر 1973 . ولا يقل أهمية عن ذلك أن التطورات التكنولوجية المعاصرة، فضلا عن العولمة ذاتها، أعطت قدرات خارقة للإرهابيين لإحداث التدمير الهائل الذى قد يماثل حربا كاملة بين شعوب وأمم. وربما كانت أحداث نيويورك وواشنطن مقدمة لعمليات أكبر تشمل استخدام أسلحة التدمير الشامل البيولوجية والكيماوية والنووية من قبل جماعات شتى فى العالم لها أهدافها فى إيقاع الأذى بجماعات بشرية أخرى فى مناطق العالم المختلفة.

وقد فطن العالم منذ وقت طويل لمحاولة التعامل القانونى مع ظاهرة الإرهاب ليس من خلال وضع تعريف شامل وكامل ومانع لها، ولكن من خلال تجريم الحالات التى تعد إرهابا. وكانت أولى الاتفاقيات الدولية التى تتعامل مع الموضوع هى الاتفاقية التى تم التوصل إليها بواسطة الأمم المتحدة للتعامل مع الأعمال التى يقوم بها الأفراد على سطح الطائرات وتخل بسلامة الطيران المدنى ووقعت فى طوكيو فى 14 سبتمبر 1963. وبعد سنوات، وتحديدا فى 16 ديسمبر 1970 تم التوصل إلى الاتفاقية الدولية لمنع الاستيلاء غير القانونى على الطائرات فى لاهاى. وفى 23 سبتمبر 1971 تم التوصل إلى الاتفاقية الدولية الخاصة بمنع الأعمال غير القانونية التى تؤثر على سلامة الطيران فى مدينة مونتريال الكندية. وفى مدينة نيويورك تم التوصل فى 14 ديسمبر 1973 إلى الاتفاقية الدولية لمنع وعقاب الجرائم ضد الأفراد المحميين دوليا بمن فيهم الدبلوماسيون. وفى نفس المدينة وفى 17 ديسمبر 1979 وقعت الاتفاقية الخاصة باختطاف الرهائن. وفى 3 مارس 1980 تم التوقيع فى فيينا على الاتفاقية الخاصة بحماية المواد النووية. وفى 24 مارس 1988 فى مونتريال تم التوقيع على بروتوكول منع أعمال العنف غير القانونية فى المطارات التى تخدم النقل الجوى لكى يكون مكملا لاتفاقية منع الأعمال الخاصة بتهديد سلامة الطيران المدنى. ثم تم التوقيع فى روما فى 10 مارس 1988 على اتفاقية مشابهة خاصة بسلامة النقل البحرى، وعلى اتفاقية خاصة بسلامة المنصات البحرية الثابتة الموجودة فى الجرف القارى للدول. وفى نيويورك فى 15 ديسمبر 1997 منع تفجير القنابل الإرهابية، وبعد ذلك بعامين وفى 9 ديسمبر 1999 تم التوقيع على اتفاقية منع تمويل الإرهاب.

معنى ذلك أن هناك أدبا قانونيا دوليا رفيعا تراكم على مدى العقود الأربعة الماضية يتعلق بالموضوع حتى ولو لم يذكره صراحة بالقول بكلمة «الإرهاب» أو «الأعمال الإرهابية» وإنما حولها إلى جرائم محددة يمكن للقانون اتخاذ مواقف بشأنها. وربما يحسن بالمنادين بتعريف الإرهاب الاطلاع عليها أولا فربما كان ذلك مفيدا لهم ولنا، فالإرهاب يمكن معرفته بسهولة عندما نراه.

البريد الإلكترونى: Amsaeed @ ahram.osg.eg

الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر : الاهرام
التاريخ : ٢٢ اكتوبر ٢٠٠١

العرب والمسلمون في الميزان العالمى

خلال الأسابيع القليلة الماضية، طرح فى الولايات المتحدة السؤال: لماذا يكره المسلمون أمريكا؟ وفى أحيان أخرى استبدلت كلمة «المسلمون» بكلمة «العالم»، وحدث ذلك رغم أن ٣٦ دولة عرضت على واشنطن المساهمة معها فى الحرب العسكرية ضد الإرهاب، بزيادة قدرها ست دول عما كان عليه تحالف حرب الخليج، ورغم أن ٤٤ دولة عرضت عليها تقديم مساعدات لوجستيكية مع حقوق لمرور القوات العسكرية بحرا أو جوا أو برا، ورغم عشرات الدول الأخرى التى قدمت دعما معلوماتيا وسياسيا ودبلوماسيا غير محدود، وكان الدافع للبحث الأمريكى الذى شمل دوائر الكونجرس، وأجهزة الإعلام ومراكز البحوث والدراسات، هو ما شاهدوه من مظاهرات معادية فى حواضر العالم الإسلامى المختلفة، وما قرأوه من مقالات فى صحافة الدول الإسلامية، وما استمعوا إليه فى إذاعات وتليفزيونات عواصم أمة الإسلام، فقد بدا لكثيرين فى الولايات المتحدة، أن لديهم حالة تبعث على التعاطف معهم، وواضحة وضوح شمس صباح الحادى عشر من سبتمبر الماضى، التى تم فيها مصرع ستة آلاف أمريكى خلال فترة لاتزيد على ساعة وأربعين دقيقة، ولاتزال جثث كثيرة منهم راقدة تحت الأنقاض حتى وقت كتابة السطور، وتنبعث منها روائح الكارثة مع غبارها.

وقد كان ممكنا للأمريكيين الاكتفاء بعبارات التعزية، التى تلقوها من حكومات الدول الإسلامية، وتفهم ان لكل دول العالم مصائبها وكوارثها، بل وحتى ان تنظر بجدية الى الحجة التى تقول إن سياستها الخارجية فى الشرق الأوسط، هى سبب الكارثة، فتسعى الى تعديلها من خلال الإعلان عن قبول قيام الدولة الفلسطينية، ولكن ما بدا للأمريكيين غريبا ومدهشا، هو ما شاهدوه وقراوه واستمعوا إليه، تعدى كل ذلك الى أنهم استحقوا ما حاق بهم لأنهم لا ينشرون العدل ولا يقاومون الظلم فى العالم، وأكثر من ذلك، فإن المظاهرات انطلقت فى جاكرتا والقاهرة وكراتشى رابطة على الراس علامات الاستشهاد، وواضعة على الوجه اقنعة «الكلو كلوكس كلان» العنصرية الشهيرة مساندة للسيد أسامة بن لادن ومن اعترف معه بالجريمة البشعة وتوعد باقى الأمريكيين، واليهود والنصارى، بالمزيد من العواصف الجوية التى لا تبقى ولا تذر من الأمريكيين ومن والاهم، كل ذلك بات على الأمريكيين أن يدرسوه ويتمعنوا فيه، وعلى الأرجح انهم سوف يستمعون فى خشوع الى كل الآيات القرآنية المقدسة التى ذكرها لهم الراجحون فى العلم، وفى المقدمة منها، ما حدد المبدأ الإسلامى فى استنكار ورفض وإدانة من قتل نفسا واحدة وساواها بمن قتل الناس جميعا، ولكنهم سوف يتساءلون عما إذا كان هذا يشمل الأمريكيين أيضا، واذا كان الحال كذلك كما يقضى الدين الحنيف، فلماذا سقطت حالة القتلى من ذاكرة الذين يكتبون ويتحدثون ويتظاهرون، وبعد ذلك سوف تلح أسئلة كثيرة بعضها يخص الولايات المتحدة، وبعضها يخص دول العالم الإسلامى المختلفة، وبعضها يخص العلاقة بين الطرفين التى ظنها الأمريكيون انها ، ولو أنها ليست سمنا على عسل - بسبب علاقة واشنطن مع إسرائيل، فإنها ولابد ليست سيئة بحكم التعاون فى جبهات أخرى كثيرة.



مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

قضية كبرى

ولكن ذلك - على أية حال - سوف تظل مشكلة أمريكية، فسواء كان العالم كله أم العالم الإسلامى فقط هو الذى يكره الولايات المتحدة، فإن الأمر قد بات واحدا من أهم القضايا الكبرى التى تلقى الاهتمام والمتابعة من المؤسسات الأمريكية المختلفة، وما يهمنا هنا أن نفعل ما فعله الأمريكيون فى البحث عما اذا كان العرب والمسلمون قد حافظوا على ما لهم من حب وتقدير فى العالم، أم أن ما جرى أخيرا خلال الأسابيع الأخيرة، قد بات يؤثر على علاقاتهم مع غير المسلمين وغير العرب فى الدنيا كلها، وليس سرا على أن عدد سكان الكرة الأرضية قد تعدى الآن ستة مليارات من البشر، منهم ما يزيد قليلا على مليار من المسلمين، منهم ٢٨٠ مليونا من العرب، أى أن العالم الإسلامى يشكل ما نسبته سدس البشرية، ويمتدون فى مساحة كبيرة ممتدة أفقيا من الجزر الإندونيسية شرقا قرب المحيط الهادى، وحتى المغرب غربا على المحيط الأطلنطى، ومن وسط آسيا وتركيا وألبانيا على القارة الأوروبية شمالا، وحتى نيجيريا فى القارة الإفريقية جنوبا.

ورغم هذا الامتداد الشاسع، والعدد الكبير، فإن العالم الإسلامى ليس كل سكان العالم، وليس كل الكرة الأرضية، وبالتأكيد فإنه ليس أكثر سكان العالم تقدما من الناحية التكنولوجية أو الاقتصادية أو السياسية، وفيما عدا النفط، فإن المسلمين يأخذون من العالم كل شىء آخر، شاملا فى ذلك أخيرا الجلباب العربى التقليدى وفوانيس رمضان التى يتم صناعتها فى الصين غير الإسلامية، ولذلك، فإن صلاح العلاقات بين العالم الإسلامى والعالم العربى خاصة، ببقية العالم مسألة حيوية وضرورية، سواء من حيث الحاجات المادية الأساسية، اللازمة للحياة المعاصرة، أو حتى فيما يتعلق بمباشرة الحياة العادية، ومن المعروف أن نحو ١٦٠ مليون مسلم أو سدس المسلمين يعيشون فى الهند، حيث يشكلون أقلية قوامها السدس أيضا، واذا ما أضيف لهم قرابة ١٤٠ مليونا آخرين فى باكستان، فإن ثلث عدد المسلمين موجودون فى منطقة يشغلها ملياران من البشر فى الهند والصين، وينتمون الى ديانات آسيوية متعددة فى المقدمة منها الهندوسية، والبوذية، والكونفوشية وغيرها، وبعد ذلك يحاط العالم الإسلامى شمالا وجنوبا بالعالم المسيحى بطوائفه المتنوعة بالامتداد الأفقى لمنطقة أو راسيا، والامتداد الجنوبى فى إفريقيا، وعبر الأوقيانوس فى استراليا ونيوزيلندا الى كتلة السكان الكبيرة فى جنوب وشمال أمريكا.

توتر العلاقات

مثل هذه الأوضاع الجيوسياسية والجيواستراتيجية، تحتم حسن العلاقات بين العالم الإسلامى من جانب، وبقية العالم من جانب آخر، والحقيقة أن نجاح المسلمين فى النفاذ الى مناطق العالم المختلفة، قد جاء أساسا بالحكمة والموعظة الحسنة، وأساليب التجارة والعمران، وخلال القرن العشرين كان أكثر الأديان السماوية قدرة على الانتشار فى أمريكا وأوروبا وإفريقيا، ولكن السنوات الأخيرة شهدت توترا للعلاقات بين العالم الإسلامى وبقية العالم بشكل على الأرجح أنه سوف يؤثر سلبا على أوضاع المسلمين والعرب، خاصة فى الدول غير الإسلامية المختلفة، وربما كان مفهوما أن تكون هذه العلاقات متوترة بين العالم الإسلامى والغرب بحكم التاريخ الاستعمارى من ناحية، وإيجاد إسرائيل وتأييدها من ناحية أخرى، ولكن ما هو غير مفهوم بالمرة أن يحدث - كما يحدث خلال الأزمة الراهنة - هذا التوتر والنفور من جانب دول وشعوب وأمم وقفت تقليديا مع الحقوق العربية والإسلامية، مثل الهند والصين وروسيا واليابان، وجمعتنا معها علاقات ومصالح وارتباطات آسيوية وإفريقية وعالم ثالثية، وكل هذه الدول لم تؤيد الولايات المتحدة فى هجومها على أفغانستان فقط، بل إنها استنكرت الواقع الأفغانى وما يجرى فيه، ونظرت بدهشة لما يجرى فى العالم الإسلامى ذاته فى التعامل مع حقائق الأزمة العالمية الراهنة، خاصة على جانب «الجماهير» والمثقفين والنخب قبل الحكومات.

وما ادهش هؤلاء هو وجود حالة من استعجال صراع الحضارات، ليس على طريقة صمويل هنتنجتون التى تضع العالم المسيحى البروتستانتى والكاثوليكى فى جانب فى مواجهة العالم الإسلامي والعالم الكونفوشى، والعالم المسيحى الأرثوذكسى فى جانب أخر، ولكن حالة صراع الحضارات على طريقة بعض مثقفى العالم الإسلامى فإنه صراع بين عالمها من جانب وبقية العالم من ناحية اخرى، ومن الناحية التاريخية، فقد كان مفهوما قلق العالم الإسلامى على أحوال الأقليات الإسلامية فى البلدان غير الإسلامية، وكان متوقعا أن تتحسن أحوال الأقليات مع التطور الديمقراطى والاقتصادى فى كل بلدان العالم، ولكن الجديد الذى جرى أن الأصوليات الإسلامية أو المتاسلمة، لجات الى السلاح والعمليات الإرهابية لكى تقوض أحوال المجتمعات التى تعيش فيها، وقد حدث ذلك فى ظل تبرير أحيانا، وتصفيق فى أحيان ثانية، وصمت فى احيان ثالثة، ولا مبالاة فى أحيان رابعة من نخب العالم الإسلامى، التى راحت تتقبل صيحات الجهاد ودعواته دون تدقيق، ليس فقط فى أفغانستان، وإنما فى الصين وروسيا والفلبين وإندونيسيا.

ومن ناحيتنا، فإن الفجوة الراهنة والجديرة بالبحث ليست تلك الواقعة فقط بين العالم الإسلامى والعالم الغربى، وإنما لا تقل اهمية عنها تلك الفجوة المتصاعدة مع بقية العالم والناجمة عن الاختطاف العنيف لعالم الإسلام والمسلمين من قبل جماعات سياسية متطرفة وعنيفة وغير مقدرة للروح الإنسانية، والأخطر من ذلك كله ان يقع المثقفون والنخب السياسية أسيرة لابتزازها وارهابها الدينى والمعنوى، فتبحث لها عن الأسباب والمبررات او تصمت عنها وعن دعواتها الجهادية ضد العالم كله، وللحديث بقية.

د. عبدالمنعم سعيد

المصدر : الاهرام الاقتصادى
التاريخ : ٢٢ اكتوبر ٢٠٠١



مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

فقه وفقهاء الأزمة العالمية الراهنة..!

عندما كنا نتعلم مادة الأزمات الدولية فى إطار العلوم السياسية كان واحدا من أهم خصائص ما يميز الأزمة الحقيقية عن تلك الزائفة أو التى لا تزيد عن كونها توترا فى العلاقات بين الدول أن الموقف المؤدى إليها يكون موقفا كاشفا عن تعقيدات وتركيبات لم يكن ينتبه له الكثيرون من أصحاب المصلحة فيها ، وخلال الأسابيع التى تلت تفجير الطائرات فى مركز التجارة العالمى وفى مبنى البنتاجون فلم تكن المصيبة فى وجود ستة آلاف من الضحايا، أو ضياع أربعين مليارا من الدولارات، أو حتى تحويل الركود فى الاقتصاد العالمى إلى كساد،بل أيضا ائتلاف قوى كثيرة فى الشرق والغرب ترغب فى تكييف وتعريف الأزمة على أنها حرب بين الإسلام والمسيحية وبين الغرب والمسلمين. وكان هذا التكييف والتعريف لايؤدى فقط الى ضياع الجانى والإرهابى الحقيقى الذى قام بالتفجيرات فى ضباب قضايا تاريخية وفلسفية، بل أيضا دفع العالم باتجاه مواجهة عظمى بين أبناء الإنسانية كلها.

هذا البعد على أية حال بات واحدا من ملامح الأزمة العالمية المميزة ، وظهر أن القوى المتطرفة فى الشرق والغرب ترغب فى الدفع به إلى المقدمة ، وأكثر من ذلك فقد حاول أسامة بن لادن ورفاقه فى الشريط الذى أذاعوه من قناة الجزيرة فى أعقاب بدء العمليات الحربية أن يلخصوا فى ذلك محتوى الموضوع ويجعلوا حادث القتل الجماعى لمواطنين من ستين جنسية على أنه جزء من النضال الدينى، وأعلنوا الحرب على اليهود والنصارى معا. ولكن الأزمة ـ كما هو الحال فى كل الأزمات الدولية العنيفة ـ لاتفضى بنفسها لمثل هذه التقسيمات البسيطة ، وفى ورشة عمل عقدت بعد أسبوع من حادث تفجير مركز التجارة العالمى حضر لها قسم العلوم السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة مع مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ذكر الأستاذ الدكتور محمد سليم العوا أن أقدم المرشدين والأئمة للضباط والجنود المسلمين فى الجيش الأمريكى محمد رشيد قد أرسل له يطلب الإفتاء فى موقف المسلمين الأمريكيين من الأزمة الراهنة. ولأول مرة عرفت الجماعة الحاضرة من أساتذة العلوم السياسية بعدا جديدا للأزمة لا أظن أنهم فكروا فيه من قبل، فلم يكن معلوما أن عدد المسلمين فى الجيش الأمريكى قد بلغ ١٥ألفا وهو يستعد لعمليات الهجوم على الإرهابيين وتنظيم القاعدة والطالبان فى إمارة أفغانستان الإسلامية تفاصيل الموضوع بعد ذلك نشرها الأستاذ

فهمي هويدي في مقال هام وتاريخي كذلك في صحيفة الشرق الأوسط تحت عنوان «**موقف العسكريين المسلمين في الجيش الأمريكي**» ، وعلمنا منه أن طلب الفتوى جاء إلى ثلاثة من العلماء الأجلاء هم الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي والمستشار طارق البشري والدكتور محمد سليم العوا وشاركهم في إعداد الرد الدكتور هيثم الخياط والأستاذ فهمي هويدي. ودون الدخول في تفاصيل القضية والتي يحسن فيها للقارئ الكريم العودة الى المقال الأصلي لأن خلاصة الموضوع جاء على الوجه التالي :

والخلاصة أنه لا بأس - إن شاء الله - على العسكريين المسلمين من المشاركة في القتال في المعارك المتوقعة ضد من «يظن» أنهم يمارسون الإرهاب أو يؤون الممارسين له ويتيحون لهم فرص التدريب والانطلاق من بلادهم، مع استصحاب النية الصحيحة على النحو الذي أوضحناه، دفعا لأي شبهة قد تلحق بهم في ولائهم لأوطانهم، ومنعا للضرر الغالب على الظن وقوعه، وإعمالا للقواعد الشرعية التي تنص على أن الضرورات تبيح المحظورات، وتوجب تحمل الضرر الأخف لدفع الضرر الأشد، والله تعالى أعلم وأحكم».

هذا الإفتاء بشرعية القتال ضد الإرهاب استنادا الى القاعدة القرآنية إن قتل نفس بغير حق كمن قتل الناس جميعا لعله يكون بداية لتكوين مدرسة فكرية وفقهية إسلامية تتعامل مع هذه القضايا المعقدة للعالم المعاصر . وبدلا من لعن العالم لأنه لا يقدم لنا تعريفا دقيقا للإرهاب ، فربما كان بوسع المدارس العربية المختلفة بما فيها المدرسة الدينية الإسلامية أن تقدم تعريفاتها الخاصة التي توضح الحق والباطل في هذه القضايا بالغة التعقيد والتي يفاجئنا بها العالم كل يوم.

وربما يوضح هذا التعقيد لو تخيلنا أن أسامة بن لادن أو أحدا من رفاقه أرسل الى ذات المجموعة من العارفين والفقهاء يطلب الفتوى في حق مقاومة القوات الأمريكية بما فيها حق ارتكاب عمليات عسكرية في الأراضي الأمريكية وأراضي حلفائها ضد المدنيين طالما أن القوات الامريكية تقوم بقصف مناطق مدنية . ومن الصعب في هذه الحالة تخيل أن يجيز الفقهاء الخمسة ذلك، فلا نعتقد حسب معارفنا الفقهية المتواضعة للغاية إعطاء رخصة شرعية للقتال لطرفي المواجهة استنادا الى قواعد فقهية مختلفة.

وبالطبع فإنه ليس متخيلا أن يقوم أسامة بن لادن أو أي من رفاقه بطلب هذه الفتوى، ليس فقط لأن آراءه ليست حميدة بالمرة في الفقهاء

الخمسة وإنما لأنه يعتقد أن أمير المؤمنين الملا محمد عمر ورفاقه هم الممثلون الحقيقيون للاسلام ، وهم الذين يعرفون صحيح الدين والملة.
ولكن القضية تبقى باقية أن الاجتهادواجب فى تلك الأمور العالمية التى باتت تفرض نفسها علينا ونفاجأ بها ونجد أنفسنا أحيانا أسرى أوضاع انفعالية،يحاول البعض استغلالها لخطف دين الإسلام وأسره فى معسكرات اعتقال إرهابية وفاشية بالتطرف تارة والمزايدة تارة أخرى وربما كان السيد يحيى باشا رئيس مجلس أمناء المجلس الأمريكى الإسلامى قد أصاب الحقيقة تماما عندما قال« **إن تعاليم الإسلام الحقيقية هى أبعد ما تكون عن العنف والإرهاب» وأضاف أنه« على أساتذة العقيدة الإسلامية الحقيقة أن ينزعوا الزعامة عن أولئك الزعماء الدينيين المضللين فى جبال أفغانستان. وأنا أعلم بأن هناك الكثير من الأساتذة الإسلاميين فى جميع أنحاء العالم الذين أدانوا هذه الأعمال الإرهابية ودعوا أتباعهم لإدانتها. وأعتقد أن على الجماهيرأن تستمع الى وتتبع تعاليم الزعماء الدينيين ذوى الجدارة الذين على اتصال بالعالم.**

ومن المعروف أن العرب والمسلمين الأمريكيين قد قاموا بجهد هائل فى هذه الأزمة رغم الضغوط الكبيرة الواقعة عليهم على الأقل فى الأسابيع الأولى منها، من خلال التبرع بالدم والتبرع للضحايا والتطوع للمشاركة فى أعمال جهات التحقيق وتطبيق القانون الأمريكي من خلال المعلومات ومعرفتهم باللغات من أجل القبض على الإرهابيين ومكافحة الإرهاب.

وإذا ما عدنا الى القضية الأصلية فإن تحديات عالم اليوم الفقهية كثيرة، ليس فقط فى مجالات زرع الأعضاء أو التعامل مع إشكاليات التنقل والزواج والطلاق فى العالم، وإنما أيضا من خلال التعامل مع قضاياه السياسية وتعريف حدود الأمور حتى يتبين الفارق مثلا ما بين الإرهاب والمقاومة . وعلى سبيل المثال فإن الاسلام أدان بشكل قاطع الارهاب واعتبره قتلا للناس جميعا، ولكنه من جانب آخر أجاز المقاومة التى هى أيضا شكل من أشكال ممارسة العنف المسلح، والقضية المطروحة على الاجتهاد الإسلامى هى وضع الحدود لهذا وذاك ، وهل يمكن اعتبار نسف مركز التجارى العالمى نوعا من المقاومة على ضوء مساندة الولايات المتحدة لإسرائيل، وإذا كانت الإجابة بالنفى فهل يجوز محاربة الذين قاموا بها باعتبارهم يمثلون فسادا فى الأرض عظيما.

وربما يفيدنا قليلا أن الفكر والفقه الدولى لايزال يواجه هذه المعضلة، وبدلا من معالجتها على أساس فكرى أونظرى فإنه أخذ فى التشريع لها

على أسس عملية من خلال اتفاقيات تتعامل مع حالات بعينها محددة ومعروفة السمات والخصائص وكانت أولى الاتفاقيات الدولية التى تتعامل مع الموضوع هى الاتفاقية التى تم التوصل إليها بواسطة الأمم المتحدة للتعامل مع الأعمال التى يقوم بها الأفراد على سطح الطائرات وتخل بسلامة الطيران المدنى ووقعت فى طوكيو فى ١٤سبتمبر ١٩٦٣. وبعد سبع سنوات، وتحديدا فى ١٦ديسمبر ١٩٧٠تم التوصل الى الاتفاقية الدولية لمنع الاستيلاء غير القانونى على الطائرات فى لاهاى. وفى ٢٣سبتمبر ١٩٧١تم التوصل الى الاتفاقية الدولية الخاصة بمنع الأعمال غير القانونية التى تؤثر على سلامة الطيران فى مدينة مونتريال الكندية. وفى مدينة نيويورك تم التوصل فى ١٤ديسمبر ١٩٧٣الى الاتفاقية الدولية لمنع وعقاب الجرائم ضد الأفراد المحميين دوليا بما فيهم الدبلوماسيون وفى نفس المدينة وفى ١٧ديسمبر ١٩٧٩وقعت الاتفاقية الخاصة باختطاف الرهائن وفى ٣مارس ١٩٨٠تم التوقيع فى فيينا على الاتفاقية الخاصة بحماية المواد النووية. وفى ٢٤مارس ١٩٨٨فى مونتريال تم التوقيع على بروتوكول منع أعمال العنف غير القانونية فى المطارات التى تخدم النقل الجوى لكى يكون مكملا لاتفاقية منع الأعمال الخاصة بتهديد سلامة الطيران المدنى. ثم تم التوقيع فى روما فى ١٠مارس١٩٨٨على اتفاقية مشابهة خاصة بسلامة النقل البحرى، وعلى اتفاقية خاصة بسلامة المنصات البحرية الثابتة الموجودة فى الجرف القارى للدول. وفى نيويورك فى ١٥ديسمبر ١٩٩٧منع تفجير القنابل الارهابية ، وبعد ذلك بعامين وفى ٩ ديسمبر ١٩٩٩ تم التوقيع على اتفاقية منع تمويل الإرهاب.

معنى ذلك أن هناك أدبا قانونيا دوليا رفيعا تراكم على مدى العقود الاربعة الماضية يتعلق بالموضوع حتى ولو لم يذكره صراحة بالقول بكلمة«**الإرهاب**» أو«**الأعمال الارهابية**» وإنما حولها الى جرائم محددة يمكن للقانون اتخاذ مواقف بشأنها. هنا فإن الفقه الإسلامى بات عليه واجب التعامل مع هذه الاتفاقيات، وربما يستنبط الحاجة الى اتفاقيات أخرى من المفيد للعالم توقيعها للتعامل مع ظاهرة الإرهاب والظواهر الأخرى المرتبطة بالعالم المعاصر انطلاقا من القواعد الشرعية والدينية .

فالحقيقة التى أفرزها حادث مركز التجارة العالمى أن الحق بات يختلط مع الباطل بشكل مخيف واستطاع القتلة والمجرمون أن يلبسوا لباس البطولة وإمارة المسلمين وربما لم يحدث أبدا أن تلطخت رايات الإسلام بالوحل بفعل أبنائه والمدعين فيه كما يحدث الآن . ولذلك فإن المسئولية كبيرة على الفقهاء وأهل العلم فقد عم ضلال فى الناس كبير.



مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر : الاهرام

التاريخ : ٢٩ اكتوبر ٢٠٠١

مرة أخرى العرب والمسلمون في الميزان العالمى

الأمم العظيمة وحدها هى التى لديها القدرة على مراجعة نفسها، وتقويم اعمالها، وإعادة النظر فى خططها، والانطلاق من ذلك الى تغيير احوالها، فلا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم.. ومن يلاحظ المشهد الأمريكى عن قرب الآن، سوف يجد حالة من النظر الى الذات، ودراسة أسباب الكارثة العظمى التى ألمت بالولايات المتحدة، والخطر الذى لايزال ماثلا أمامها، وبعد الحرب العالمية الثانية دخلت أوروبا فى هذه الحالة بالغة القسوة، من فحص تاريخها وقيمها، وخرجت منها بأول محاولة للهندسة الإنسانية للعلاقات بين دولها، قادت قبل نهاية القرن العشرين الى قيام الاتحاد الأوروبي، والأهم انتهاء ظاهرة الحرب بين الدول الداخلية فيه.

وخلال مؤتمر الحزب الشيوعى الصيني، المنعقد عام ١٩٧٨ خاض الصينيون فى عملية المراجعة والتقويم لأنفسهم، وكان ممكنا أن تكون النهاية هى حالة من تهنئة الذات، والتصفيق للمنجزات، والشعور الفخور بالاصطفاء بين بنى البشر بالمجد والسؤدد، وانتهى إلى برنامج عظيم للتقدم، يعرف الحدود والتخوم، والأزمان والمراحل، والأهم، كيف يزيدون من عدد الأصدقاء ويقللون من عدد الخصوم، ويرفعون الحلفاء ويخفضون الأعداء، وبعد عقدين من التجربة، والعمل الشاق، والعرق الغزير، والصمت المؤلم، أصبحت الصين على ما أصبحت عليه، وعندما انعقد لديها فى الأسبوع الماضى مؤتمر «الأبيك»، واستقر لها منذ شهور عقد الدورة الأوليمبية فى بكين عام ٢٠٠٨، كان ذلك اعترافا بأنها أصبحت من القوى العظمى فى العالم، وحدث ذلك ليس بسبب عددها، ولا بسبب القنابل النووية التى تمتلكها، ولكن بسبب ما تقدمه للبشرية من انتاج، وما تقدمه للإنسانية من إضافات فى الثقافة والعلم والتكنولوجيا.

فى كل هذه الحالات من المراجعة، وفى العالم الكثير غيرها، كان الفحص الأمين للذات ضروريا، والدراسة الصادقة للنفس لازمة، وبالتالى كانت نقطة الانطلاق الصحيحة، ليس عما فعل الآخرون من دول وأمم وحضارات العالم بالحالة المحددة لأمة أو شعب، وإنما ماذا فعلت هذه الأمة بنفسها، وماذا فعل الشعب لنفسه، أما اذا كانت نقطة البداية هى البحث عن الأسباب الخارجية لما آلت إليه الأمور، فإن القضية تنتهى الى لاشيء، أو لنوع مزمن من لطم الخدود، والى حالة مستقرة من نظريات المؤامرة الدائمة.

ولعله لا توجد جماعة بشرية فى حاجة إلى هذه المراجعة الآن، قدر العرب والمسلمين، فإزاء الأحداث الراهنة فى عالم اليوم فى الولايات المتحدة، وفى أفغانستان، لم يعد هناك مفر من مواجهة الحقيقة التى تقول إن العرب والمسلمين قد صاروا فى جانب، وبقية العالم فى جانب آخر، صحيح أن حكومات الدول العربية والإسلامية قد تسابقت إلى المشاركة فى الائتلاف أو التحالف الدولى لمقاومة الإرهاب، كل منها حسب قواتها، بل إن بعضها زاد على ذلك وأخرج الغالى والنفيس من الصور والمعلومات من أرشيفات الفترة الثورية العامرة بالمؤتمرات الشعبية العارمة، وحركات الثورة والفورة وقلب الدنيا رأسا على عقب، على طريقة السيد بن لادن، وحسن الترابى وصحبه من جماعات الجهاد والاجتهاد المسلحة المختلفة، ولكن القضية ليست الحكومات وإنما الجماعة البشرية العربية والإسلامية، التى باتت محملة بحالة هائلة من الغضب المدمر، أو هكذا تبدو للآخرين فى العالم من المظاهرات الزاعقة فى شوارع كراتشي، إلى التجمعات معصوبة الرأس الداعية للاستشهاد فى جاكرتا، حتى لابسى الأقنعة من الشباب المستعد للفداء فى جامعات القاهرة.

وربما يرى البعض أن كل ذلك لا يعبر عن آراء الأغلبية الصامتة، التى لم تشارك فى هذا التطرف، ولكن فى الحياة السياسية فإن الأغلبية الصامتة ما لم يتم قياسها أو التعبير عنها بشكل ما، فإن قيمتها فى الواقع العملي لاتخاذ القرار أو عدم اتخاذه لا يعنى الكثير، وربما يرى البعض الآخر أن كل ذلك ليس إلا رد فعل لعلامات التعصب الغربى ضد العرب والمسلمين، وهو ما قد يكون مفهوما فى ظل تاريخ طويل للعداء المتبادل، يعود به البعض إلى الغزو الهلينى لمصر والمشرق العربي، وربما يعود به آخرون إلى الغزو الروماني، أو فترة التوسع العربى الإسلامي، أو الحروب الصليبية، أو الوصول العثمانى إلى أسوار فيينا، أو الاحتلال الاستعمارى الذى انتهى بإنشاء دولة إسرائيل فى قلب العالم العربى والإسلامي، ولكن ليس مفهوما أن القضية لم تعد مع الغرب وحده، ولكن مع الشرق كذلك بكل أشكاله العرقية والدينية.

والحقيقة أن العالم الإفريقى ـ الآسيوي، والعالم الثالث عامة، قد تفهم قضية العالم العربي والإسلامى من قضية فلسطين، وضمن للعرب والمسلمين نوعا من الأغلبية الدائمة فى الأمم المتحدة والمحافل الدولية، حتى عندما بدا لدول كثيرة أن قضيتنا احتكرت المحافل الدولية على حساب قضايا الأقليات فى العالم، فبينما كان العالم العربى والإسلامى بالغ الحساسية إزاء قضايا الأقليات الموجودة فيه، ويرى المساس بها أو ذكرها نوعا من الدعوة الصهيونية والامبريالية للتقسيم والمساس بالتكافل الإقليمى للدولة العربية أو الإسلامية، فإن ذات العالم كان ينظر بترحاب للدعوات الانفصالية فى الجماعات الإسلامية التى رفعت رايات «الجهاد» فى الفلبين وروسيا والهند، وحتى فى إندونيسيا عندما جاءت جماعات أصولية تسعى إلى تفتيت الدولة وتدميرها، لقد أصبح العالم العربي والإسلامى ليس ذلك العالم الذي يقود النضال العالمي ضد الاستعمار، من خلال حركة التضامن الإفريقى والآسيوي، وحركة عدم الانحياز، أو يقود الكفاح العالمى ضد الفقر فى مجموعة الـ ٧٧ ومنظمة الأنكتاد، وإنما عالما غاضبا ومشبعا بتيارات أصولية ومتشددة لا يوقفها شيء فى غابات جنوب شرق آسيا، وجبال أفغانستان، وثلوج أرض الشيشان، ودروب جورجيا، ووديان أوزبكستان، وسفوح سينكيانج فى الصين.

وخلال السنوات العشر الأخيرة، أو ما بعد انتهاء الحرب الباردة، وبينما يحاول الهنود والصينيون وغيرهم أن يجدوا لأنفسهم مكانا تحت شمس العولمة العالمية، كان العالم العربي والإسلامى مستنكرا للموضوع كله، ينكره تارة، ويرى فى مقاومته فريضة تارة أخري، وحتى عندما خرجت إندونيسيا وماليزيا عن الصف الإسلامى الشائع، ودخلتا فى السباق العالمي، بدا هذا التحول قصيرا، وخرجت إندونيسيا سريعا وبقيت الثانية لا تعرف عما اذا كان هناك تناقض بين التقدم والإسلام، أو أن هناك من يرغب فى اقناعها بذلك مهما كان لا يوجد تناقض على الإطلاق، وتدريجيا ظهر أن العالم العربى والإسلامى يجرى اختطافه فكريا ومعنويا من قبل جماعات متطرفة وغاضبة على العالم كله، تحت رايات وبيارق الدعوة والجهاد، الذى يستخدم بسهولة شديدة وحسب موقف كل شخص أو جماعة.

وربما لم يمض وقت طويل على ذلك المشهد، الذى ذهبت فيه القيادات الدينية العربية والإسلامية «المعتدلة» إلى أفغانستان، لكى تقارع الحجة الدينية بالحجة الدينية الأخري، فيما يخص قضية التماثيل البوذية في باميان، وانتهت المقارعة بتدمير التماثيل وسط دهشة العالم البوذى الذى على الأرجح أنه وصل إلى الاعتقاد، إما أن المعتدلين العرب والإسلاميين لم يعد لهم وزن فى الساحة السياسية العربية والإسلامية، أو أن حججهم لم تكن بالقوة التى تسمح بانقاذ التماثيل، وربما كان ما أدهش البوذيين أكثر، أن الإسلاميين المعتدلين بعد عودتهم من عمليات المقارعة الفكرية، لم تكن آراؤهم تقوم على أن هذه التماثيل تنتمى إلى نسق من القيم الدينية واجبة الاحترام، وإنما هى أنه رغم وثنيتها ذات قيمة سياحية لا غبار من بقائها.

وهكذا كان الاعتدال الإسلامى قد تم اختطافه بجدارة، حتى من بين هؤلاء الذين ملأوا شوارع استوكهلم وروما وواشنطن وديار غربية وشرقية كثيرة، داعين لحوار الحضارات، وطارحين للنصوص الإسلامية السامية التى تعلى من شأن الحياة الإنسانية والحفاظ عليها، والتمييز ما بين كل وزارة وأخري، وما أن جاءت حادثة مركز التجارة العالمي، حتى انبرى المعتدلون للدفاع عمن قتل الناس جميعا، حتى بعد الاعترافات الكافية على مسمع من الدنيا وبصرها، وبدا أن قضية دفع تهمة الإرهاب عن الإسلام لفظيا بتكرار النصوص القرآنية، أهم من مقاومة الإرهاب ذاته، وبينما انبرى كل المعتدلين للهجوم على الولايات المتحدة، فإنهم لم يلقوا الكثير من البال للموقف الفقهى من السيد بن لادن ورفاقه.. وبدا أن الموضوع ليس هو الحق والأصول الدينية والفقهية للمسائل، وإنما الموضوع كله أين تقف قضية ما من الغرب ومن إسرائيل، وكان ذلك وجهة نظر عربية وإسلامية شائعة، ولكن العالم لم يكن على استعداد للقبول بها، فكان فى جانب، والعالم العربى والإسلامى فى جانب آخر، والحديث عن الأزمة لم ينته بعد!

د. عبدالمنعم سعيد



المصدر : الاهرام الاقتصادى
التاريخ : ٢٩ اكتوبر ٢٠٠١
مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

هل يمكن التنبؤ بمستقبل الشرق الأوسط؟



حالة الاضطراب والعنف وعدم اليقين التى تسود كل العالم والشرق الأوسط خاصة، كان على مجموعة من الباحثين والخبراء السياسيين الانسحاب قليلا إلى العاصمة البلجيكية بروكسل من أجل البحث عما يخبئه المستقبل . وربما قصة الاجتماع ذاتها كانت جديرة بالتأمل فالداعى لها أساسا هو مؤسسة ألمانية تقع فى طليعة المؤسسات الإعلامية فى العالم، وبالاكيد فإنها تقع فى طليعة المؤسسات الأوروبية، ومع ذلك فإنها خلقت مؤسسة خاصة للبحث فى الأوضاع الدولية بما فيها الشرق الأوسط. ومكان الاجتماع هو حاضرة الاتحاد الأوروبى التى باتت ربما دون رغبة منها شبه عاصمة لأوروبا تمتلىء بالمؤسسات الأوروبية الأمريكية الأكثر من خاصة، وبالذات فى أوقات الأزمات الدولية العظمى. وكان الاجتماع على أى الأحوال مقررا منذ فترة طويلة، وكان مخصصا للبحث فى حالة المنطقة بعد سنة من الانتفاضة الفلسطينية، فربما وجد المشاركون فكرة ملهمة تصلح لإصلاح الأحوال في إقليم استعصى طويلا على الصلاح. ولكن ما كان مقررا منذ فترة طويلة۔ لاتتعدى شهور فى الواقع - بات ليس هو الموضوع عندما حلت الساعة وجاءت التفجيرات العظمى فى مبنى مركز التجارة العالمى فى نيويورك ومبنى البنتاجون فى واشنطن.

وهكذا كان العالم قد انقلب تماما رأسا علي عقب عندما التقي خلال يومى١٥و١٦أكتوبر الجارى، وبالتأكيد فإن الألمان والأوروبيين كعادتهم حاولوا التمسك بالأجندة القديمة، والبحث فى حالة إعلان برشلونة ومدى نجاحه أو فشله. وكما هى العادة فى هذه الاجتماعات فقد عرف المشاركون أن إعلان برشلونة قد مات منذ وقت طويل، وفى نفس الوقت عرفوا أنه حى يرزق ويتمتع بالصحة والعافية! .وكان التقدير متوقفا على المثمن والمقدر، فلو أنه نظر الى السلة الثالثة من الإعلان والخاصة بالحقوق السياسية والاجتماعية لعرف أنه مع تواضع الأداء الديمقراطى فى الشرق الأوسط فإن الإعلان لم يزد عن كونه صيحة فى واد غير ذى زرع أما لو نظر الى السلة الثانية والخاصة بالتعاون الاقتصادى والتوصل الى منطقة للتجارة الحرة بين شمال وجنوب



البحر المتوسط مع حلول عام ٢٠١٠ فإن الإنجاز لا بأس ،وربما تتأخر المنطقة بضعة سنوات ولكن الاتفاقيات بشأنها بين الاتحاد وعدد من الدول فى الجنوب دخلت بالموضوع فى نقطة اللاعودة بل أن هناك بشائر للتعاون بين الدول العربية التى وقعت بالفعل اتفاقيات للمشاركة مع الاتحاد الأوروبى.

وهكذا فإنه إذا كان الجمال يتوقف على عين الناظر إليه، فهكذا الحال مع مصير إعلان برشلونة وبالنسبة لكاتب هذه السطور فقد كان الرأى أن أوروبا تحتاج إلى قدر كبير من التواضع وألا تتوقع أن إعلان برشلونة لن يقوم بتغيير الشرق الأوسط ودوله لأن ذلك هو مهمة شعوبه أساسا ولأن أوروبا لم تقدم الكثير الذى يصدق بها التوقعات الأوروبية.

على أى الأحوال فإن الأجندة الأصلية للاجتماع بدت ثقيلة الظل من جانب، ولكنها من جانب آخر أعطت له قدرا من الصيرورة والاستمرارية فالعالم لم يولد يوم الحادى عشر من سبتمبر الماضى ولكن كان هناك عالما قبله يحاول أن يعيد تشكيل الشرق الأوسط من جديد ولكن أحداث هذا اليوم الهام طرحت بقوة أن مسار التطور فى الشرق الأوسط ربما لن يكون من خلال بناء علاقات مؤسيسة فى داخلة وبينه وبين العالم الخارجي وإنما سوف يتقرر على موائد أخرى أو ساحات قتال أخرى تعرف بصراع الحضارات والثقافات وهو ما يعنى أن عملية برشلونة وغيرها من عمليات خاصة بالسلام أو خاصة ببناء العالم والشرق الأوسط لم يكون لها فائدة. ورغم وجود إجماع على أهمية ما جرى فى ذلك اليوم المشئوم فقد كان هناك اتفاق على أن حركة التطور سوف تظل مرتبطة بالعوامل الرئيسية الحاكمة فى تطور الأقاليم والمجتمعات وقدرتها على التحول إلى عمليات مؤسسية يكتب لها الدوام والاستمرار. أما صراع الحضارات الذى بشر به صموئيل هنتجنتون وطبقه أسامة بن لادن فإنه ربما يمثل التفصيل لدى قائمة من الجماعات السياسية فى الشمال والجنوب، ولكنها ليست الجماعات المقررة لحالة التطور. وقد طرح فى الاجتماع أن مستقبل الشرق الأوسط سوف يقرره العلاقة، والتوتر الحادث بين النمو السكانى من جانب وعملية العولمة من جانب آخر وحتى الجنوح الى الرموز الخاصة بالهوية تعود فى جوهرها الى هذه الحالة من التوتر بين العاملين والتناقض الحادث بينهما.

وفى خلال الحوار فإن القضية بدت أكثر تعقيدا من ذلك، فما كان شائعا عن أن الشرق الأوسط يمثل حالة من الانفجار السكانى لم يعد يمثل الحقيقة فقد نجحت دول كثيرة فى تنظيم النسل وبدا نموها السكانى معقولا خلال السنوات الأخيرة، وبينما كان مقررا أن يصل عدد سكان مصر مثلا الى ٧٠مليون نسمة مع حلول عام ٢٠٠٠، فإن عدد سكانها وصل الى ٦٦مليون نسمة أى أن مصر تمكنت من خلال سياسات واعية من توفير أعباء أربعة ملايين من المواطنين أو ما يساوى سكان مدينة كبرى مثل الأسكندرية أو مثل عدد سكان دولة الكويت أو

الإمارات العربية المتحدة بما فيها من مواطنين وغير مواطنين وينطبق هذا الحال على دول تركيا وإيران وتونس والجزائر. وليس معنى ذلك أن مشكلة الانفجار السكانى قد انتهت وإنما القول هنا أن التعامل معها قد بدأ بالفعل وأن نتائج إيجابية قد بدأت فى الظهور، ويمكن للشرق الأوسط أن يتعايش سكانيا مع المساحة التى يعيش فيها وهى تزيد قليلا على مساحة الولايات المتحدة بعدد من البشر يساوى ٣٠٠مليون نسمة وهو اكثر قليلا من سكان هذه الدولة.

هذا التطور يخلق وضعا جديدا للشرق الأوسط من الناحية السكانية أقل خطورة مما سبق، وإذا كان العالم العربى وحده كان يعيش فيه ١٠٠مليون نسمة عام١٩٦٥وأصبح فى عام ٢٠٠٠حوالى ٢٨٠مليون، فمعنى ذلك أن العالم العربى قد استوعب حوالى ١٨٠مليون نسمة خلال ٣٥عاما، وتشير كافة المؤشرات التعليمية والصحية إلى أنهم أفضل حالا من كل الأجيال السابقة ولكن هذه النقطة الإيجابية لا ينبغى لها أن تغفل نوعية النمو السكانى، فلا شك أن هناك تشوها حادثا فى التركيبة السكانية التى باتت تميل الى صغر السن، وهو ما يخلق ضغوطا جيلية وسياسية على المجتمع. والأخطر من ذلك أن انتشار التعليم لم يعن أبدا ارتفاع المستوى العلمى للدارسين والطلبة، فحقيقة أن استيعاب حوالى ٩٦٪ممن هم فى سن التعليم فى مصر مثلا لم يعن ارتفاع مستوى الوعى الاجتماعى، وبقدر ما ساهم فى الضغوط على أسواق التوظيف والعمل فإنه لم يقدم طوائف من العاملين القادرين على المبادرة والتوظيف الذاتى. وفى بعض بلدان الشرق الأوسط كانت المواد فى معظمها بعيدة عن الحياة العملية للطلاب ومشبعة بوجهات نظر غيبية كثيرة والخلاصة هنا أن الجانب السكانى من المعادلة أخذ فى الانضباط، وبات يتمتع بحيوية التغيير الاجتماعى، ومع ذلك فإن فيه الكثير الذى يخلق ميولا ثورية وانقلابية فى المجتمع بحكم التركيبة السكانية ونوعية التعليم اللذين يشكلان مزاجا قلقا وخصبا لعمليات التمرد الاجتماعى التى نلحظ بعضا منها فى الجماعات الأصولية.

على جانب متغير العولمة فربما باتت هناك حاجة كبيرة لمراجعة المفهوم ذاته، أو هكذا طرح خلال الحوار، فالدارج أن عمليات العولمة تفرض تحديات ضخمة على ثقافة وحالة المجتمعات التى تتعرض لها. ولكن ذلك لايحدث فى كل أحوال العولمة التى يمكن تصنيفها الى **حالتين**: **حالة** رخوة تتمكن فيها المجتمعات من ملامسة بعض مظاهر العولمة ، وربما تتحدث عنها وتتوجس منها ، ولكنها في الحقيقة لا تؤثر فيها الي حد بعيد . اما **الحالة الاخري** فهي صلبة تتمكن فيها عناصر العولمة من

تغيير البنية الداخلية للدول وتحولها الى حالة مدعمة ومعمقة للعولمة ليس فقط فى بلدها وإنما فى العالم كله، فتكون دولة منفتحة سياسيا واقتصاديا وفكريا وتكون دولة مشجعة لعمليات الاستثمار الأجنبى واستقبال رؤوس أموال أفكار العالم الخارجى وتطويعها داخليا ثم إعادة توزيعها على العالم مرة أخرى.

الشرق أوسط فى معظمه يعيش حالة عولمة رخوة فأهم صلاته مع العالم تقوم على النفط الذى هو سلعة تنتجها شركات أجنبية تعيش فى عزلة عن بقية المجتمع، ورغم تواجدها منذ بداية القرن الماضى فإنها لم تخلق حالة اجتماعية عالية لان عدد العاملين فيها محدود، وإذا ما تم استبعاد البترول فإن صادرات العالم العربى كله لاتزيد عن صادرات فنلندا، وربما يتحسن الأمر قليلا إذا ما أضيفت صادرات إسرائيل وتركيا ولكن كلاهما تمثل حالات جيوبولتيكية خاصة وإذا نظرنا إلى السياحة فإن نصيب الشرق الأوسط لايتعدى كثيرا ١٪من السياحة العالمية، وفى أغلبها سياحة المرة الواحدة التى لاتخلق علاقات مستديمة بين العالم والإقليم . وهكذا الحال لو نظرنا إلى أجهزة الاتصال التى قد تضيف إلى العولمة وقد تخصم منها، وإذا كان عدد المحطات الفضائية التليفزيونية العربية قد وصل الى الخمسين فإن أغلبها يستخدم لبث قيم تقليدية وهو ما يظهرفى أن أكثر سبل الثقافة العامة من كتب وخلافه يغلب عليها الطابع الماضوى والتراثى.

وربما كانت ثنائية السكان والعولمة ليست كافية للتنبؤ بالمستقبل فلاشك أن هناك عوامل هامة إضافية لها استقلاليتها الخاصة ويقع فى مقدمتها الصراع العربى - الاسرائيلى الذى يؤثر على المستقبل من زاويتين : **اولهما** الموارد التى يستهلكها ليس فقط من حيث الاموال وانما ايضا وربما كان الاهم من وقت وجهد صناع القرار على حساب الاوضاع الداخلية والتنمية. و**ثانيهما** أنه يؤثر على استيعاب النخبة لعمليات العولمة المختلفة التى تؤثر بشدة فى توجهات النخبة واجتهاداتها. و**اخيرا** لأن النفط يلعب دورا مهما فى المجتمعات العربية حيث لايزال مصدرا رئيسيا للدخل للدول النفطية بحكم الريع العائد عليها من بيعه، وفى الدول غير النفطية التى تحصل على قدر من الريع من عائد عمل مواطنيها فى الدول النفطية. **هذه العوامل الاربعة: السكان والعولمة والصراع العربى - الاسرائيلى والنفط**، هى التى سوف تحدد فى النهاية مستقبل الشرق الاوسط نحو التقدم أو نحو التخلف!



مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاهرام العربى

التاريخ: ٣ نوفمبر ٢٠٠١

عودة إلى «دليل المسلم الحزين»

فى عام 1983 صدر كتاب السفير حسين أحمد أمين «دليل المسلم الحزين إلى مقتضى السلوك فى القرن العشرين» لكى يحدث هزة فى الحياة الفكرية والثقافية. فالكتاب الذى لا تزيد عدد صفحاته على 167 صفحة طرق بشدة على جوانب مختلفة للتخلف فى العالم الإسلامى، ورأى أنها كلها نتيجة لبدع وتدخلات جاءت إلى الإسلام من خارجه مع تعاقب الأزمان والعصور، وإقحام الأمم التى دخلت الإسلام لتاريخها وعاداتها إلى صميم الدين. وحدث ذلك فى الكيفية التى كتبت بها سيرة النبى وسجلت بها أحاديثه، وما نجم عن التصوف من آثار سلبية، وما جرى من مكانة لأولياء الله الصالحين، والتبريرات السياسية والاجتماعية للفرق الإسلامية، وتدهور المكانة الفقهية والسياسية لرجال الدين. ويخلص الكتاب فى النهاية إلى أن حالة العالم الإسلامى لا تسر أحداً، وأن المسلم الحزين على أحوال الأمة عليه أن ينظر فى اتجاه التجديد والعمل على اقتحام العالم المعاصر والمشاركة فى بنائه بقدر من الأصالة.

كان وقت صدور الكتاب أيام كرب عظيم، فلم يكن قد مضى وقت طويل على اغتيال الرئيس السادات على يد راديكاليين «إسلاميين» فى لحظة غبراء أمام جنده فى العرض العسكرى، وكانت الآمال التى انصبت على الثورة «الإسلامية» فى إيران قد انتهت بقيام حرب ضروس مع العراق، وتوتر وأزمات مع كل العالم العربى والإسلامى، وكانت إسرائيل قد غزت لبنان، وكانت الثورة الفلسطينية تتبعثر بين المنافى والأوطان فى ساحة ممتدة من طرابلس فى شمال لبنان عند المشرق العربى حتى شاطىء الحمام فى شمال تونس عند المغرب العربى.

وسط هذا البلاء كان هناك «الحل الإسلامى» يطرح نفسه بشدة وإلحاح، وله فى الثورة والفورة، والتغيير والتحرير، وتركيب النفوس وتوظيف الأموال، وكان طبيعيا أن يطرح موضوع حال المسلمين على بساط البحث والتدبير. وكان كتاب «دليل المسلم الحزين» ضروريا لكى يفض الغشاوة ويرفع الغمامة عن أحوال أمة الإسلام التى لم تعد تسر لا عدوا ولا حبيبا كما هو شائع فى الحديث والمثل. وبعد عقدين تقريبا من صدور الطبعة الأولى، وحتى صدور الطبعة السادسة، مازال المسلم الحزين حزينا، ويبدو أن دليله إما فقد أو ضاع أو غمرته مياه الطوفان التى جاءت مع جماعات راديكالية جديدة تفوقت على الجماعات الثورية التى باتت قديمة فى التضحية والفداء. وكانت الحالة الإسلامية ذات العنفوان الشديد فى نهاية السبعينيات قد عانت من تواضع شديد فى الإنجاز الفعلى على أرض الواقع، فالتجربة الإيرانية ضاعت فى النهاية بين فشل المحافظين وقدرات الإصلاحيين، وفى السودان انتهت تجربة الترابى إلى أقل كثيرا من اللاشىء بعدما بات انفصال جنوب السودان مطلبا لقوى الشمال قبل الجنوب، وفى أفغانستان فقد بدا رعيل الثوار الإسلاميين من نوعية ربانى وحكمتيار وسياف غير قادرة على الحكم والإدارة باسم الإسلام، وفى الجزائر كانت التجربة كلها دامية وقاسية ليس فقط لأن العسكر انقضوا بعد انتخابات 1992 على جبهة الإنقاذ التى كانت تطويرا راديكاليا لحركة الإخوان المسلمين، بل أيضا لأن الجماعة الإسلامية المسلحة انقضت عليها هى الأخرى مقدمة «الحل الإسلامى» الجديد الذى يليق بأول القرن الواحد والعشرين. وباختصار فإن جماعة «الحل الإسلامى» التى تجمعت جموعها منذ منتصف السبعينيات وحاولت الوصول إلى السلطة من

خلال الثورة أو الانقلاب أو حتى صندوق الانتخابات ظهر أنها غير قادرة على حل مشاكل الزمن الحزين سواء وصلت إلى السلطة أم لم تصل.

ويبدو أن المسلم الحزين سوف يظل حزينا، ويحتاج أكثر من دليل في القرن الواحد والعشرين بأكثر مما كان عليه الوضع خلال القرن السابق، ليس فقط لأنه لم يستمع إلى الدليل القديم، ولكن لأنه حتى لم يدرس تجربة الحل السابق على مدى ربع قرن من المحاولة. والأخطر من ذلك كله أن الجماعات السياسية الإسلامية بدت قادرة تماما في كل مرة على توليد جماعات جديدة أقل معرفة بالإسلام وأكثر عنفا ليس فقط إزاء أعداء المسلمين، ولا حتى أعدائهم من المسلمين الذين لا يقبلون هيمنة تفسيرهم للدين على الحياة العامة، بل حتى على المشاركين معهم في الفكرة والاعتقاد والمفهوم العام للحياة.

وكما هي العادة تاريخيا فإن القضية الفلسطينية قدمت بتطوراتها لهذه اللحظة الانتقالية بين الأفكار السياسية الدينية وغير الدينية، وكانت الانتفاضة التي جاءت مع بداية القرن هي التي قدمت لنقل التغيرات الكمية الكثيرة لكي تصبح تغيرات كيفية ثقيلة وجدنا آثارها في عمليات القتل والتدمير الجماعية في واشنطن ونيويورك، وعمليات الهجوم الأمريكي على أفغانستان، وعمليات الغزو الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية المحررة في اتفاقيات أوسلو. وعندما تغيرت الدنيا وتغير العالم، فإنه كان طبيعيا أن نشهد حركات إسلامية جديدة تكون جماعة بن لادن عنوانا لها بينما انسحب تأثير وقول الجماعات القديمة، بل إن بعضا منها بات يخوض حربا أهلية في أمة الحل الإسلامي كما هي الحال في شمال أفغانستان. وربما كانت هذه هي اللحظة التي توجد فيها حاجة إلى العودة إلى «دليل المسلم الحزين» ومراجعته والإضافة إليه، فالقضية لم تعد فقط البدع والمداخلات التي تفسد الدين والحياة معا، وإنما أيضا البحث في أصول الفرق الجديدة الناجية من النار والتي ترفع كلها راية «الجهاد» دون تمييز. وبصراحة شديدة، ودون ادعاء معرفة فقهية عميقة، فإن هناك مشكلة لدى الحس السليم، والفطرة البشرية، مع شعار الجهاد الذي يرفعه السيد أبو سياف في جنوب الفلبين ضد السلطات في البلاد، وذلك الذي يرفعه المناضل بن لادن ضد اليهود والنصارى والأبراج العالية في العالم الغربي، والجماعة الإسلامية المسلحة في الجزائر ضد المواطنين الجزائريين، والرئيس صدام حسين ومن ناصر جهاده من وقت لآخر.

فهل بات مفهوم الجهاد مستباحا إلى هذه الدرجة بين المسلمين حتى يرفعه الجادون في الحق مع المغامرين والمجرمين، وإذا كانت كثرة من المفكرين تنادي بتعريف دقيق للإرهاب حتى لا تزيغ العقول والقلوب، ألا يصح أيضا أن يكون هناك تعريف للجهاد وأصوله يضاف إلى دليل المسلم الحزين لمواجهة ضرورات القرن الواحد والعشرين؟. ولقد سأل عدد من أنصار الإسلام السياسي في قناة الجزيرة خلال الأحداث الأخيرة عما إذا كانت الحكومة الباكستانية قد أخطأت عندما شاركت الولايات المتحدة المعركة، وطرحوا إمكانية استخدام القنابل الذرية أو التهديد بها لدفع الضغوط الأمريكية، فهل أصبحنا الآن في مواجهة حالة سياسية إسلامية جديدة يكون الجهاد فيها مبررا باستخدام السلاح النووي. فهل بات ممكنا إضافة هذا الفصل إلى الدليل قبل ضياع الوقت والفرصة؟!.

البريد الإلكتروني: amsaeed @ ahram.org.eg



مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر : الاهرام الاقتصادى

التاريخ : ٥ نوفمبر ٢٠٠١

عشر تأملات فى أحداث عالم اليوم

لن ينفك عدم التصديق يلح علينا بصدد الأحداث التى جرت فى الحادى عشر من سبتمبر الماضى بتفجير مركز التجارة العمالى فى نيوويورك ومبنى وزارة الدفاع الأمريكية فى واشنطن، فما جرى من وقتها وما تلاها من أحداث تضمنت شن الحرب على أفغانستان الفقيرة الضعيفة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية أو القوة العظمى الوحيدة فى العالم يبدو وكأنه حالة غير قابلة للتحليل والتقدير. وربما يكون ممكنا من خلال التأمل تأصيل الموضوع وجعل ظواهره الأساسية قابلة للحصر والمراجعة والرصد، بمعنى تحرير الوقائع الجهرية والبنائية وليس العارضة أو الوقتية حتى يمكن الإمساك بتلابيبها والتعرف على مكامنها.

التأمل الأول يقودنا إلى أننا لسنا إزاء حدث روتينى من أحداث العلاقات الدولية، وبالتأكيد فنحن لسنا إزاء حالة حرب معتادة بين دول، وضرب نيويورك وواشنطن ليس من قبيل الحرب التى كانت بين فرنسا وألمانيا، أو من نوعية تدمير الحلفاء لمدينة دريسدن الألمانية أو ننكيانج الصينية إبان الحرب العالمية الثانية. ولا العكس ممكن القبول، فضرب أفغانستان من قبل الولايات المتحدة ليس تماما مثل ضرب فيتنام من قبلها أيضا، فنحن لأول مرة لسنا إزاء صراع دولى وإنما صراع ظواهر، فأمريكا لا تدخل هذه الحرب كدولة وإلا كانت بحكم كل تاريخ العلاقات الدولية لكانت روسيا والصين قد عارضتاها ولم تتعاونا معها كما حادث الآن، وإنما تدخل الحرب باعتبارها ظاهرة للحداثة والدولة الواقعة تحت تهديد هائل. وأفغانستان هى الأخرى ليست دولة فى هذه الحرب، فأراضيها ليست موضع نزاع، وثرواتها - إذا كانت موجودة - ليست موضع مطالبة، وإنما هى تمثل ظاهرة الإرهاب. المعركة إذن سواء كانت فى نيويورك أو فى قندهار ليست معركة تقليدية أو روتينية أو معروفة، وإنما شئ جديد تماما على الإنسانية، وعلى الأرجح أنه

سوف يؤدى الى نتائج جديدة تماما وغير متوقعة بالمرة.

التأمل الثانى ان كل ما شاهدناه حتى الآن لايزال فى أولي مراحله البدائية، وربما لم يزل الإرهاب حتى الآن بعد اعتماده طرقا كثيرة فى القتل والتدمير على مستوى العالم لايزال فى العصر البرونزى. وإذا كان مركز التجارة العالمى ومبنى البنتاجون هما الأهداف الأولية، فإن قائمة الأهداف التالية سوف تكون أكثر تعقيدا وتدميرا فالعالم لديه مئات من محطات الطاقة النووية، وألوف من المطارات ومحطات السكك الحديدية، وقدر غير قابل للحصر من المصانع الكيمياوية ومناجم المواد المشعة، وكلها أهداف إرهابية تحقق بسهولة أكبر قدر من التدمير بعدد محدود من الأفراد. والأخطر أن حرب الخطابات لنشر مرض الجمرة الخبيثة الذى بدأ بالفعل فى الولايات المتحدة والأرجنتين وعدد من دول العالم هو أول السطور فى الحرب البيولوجية وأمامها بعد ذلك مقالات وكتب ومجلدات وموسوعات مجالها الثروة الزراعية العالمية وستة مليارات من البشر يصلحون جميعا ضحايا لنوايا مجنونة وقاسية.

التأمل الثالث إن ظهور الإرهاب البريدى بعد الإرهاب الطائر يشير الى أن منابع الإرهاب ليست واحدة، وربما يفيد التذكير بأنه سوف يكون هناك خطأ فادح لو اعتبرت الاتجاهات الإسلامية الأصولية وحدها هى التى تجنح الى الإرهاب. فالراجح أن العالم ممتلئ بنوعيات كثيرة أخرى منها العنصريون الذين لاتخلو دولة صناعية متقدمة منهم، وكلهم منزعجون للغاية من عمليات الاختلاط العرقى الذى تسببه العولمة. وهناك الفوضويون الذين يرون فى العولمة شرا مطلقا يهز المجتمعات الإنسانية المتقدمة منها والمتخلفة على السواء، بما تغيره من أساليب الإنتاج والتوزيع. وفى ذيل هؤلاء توجد الجماعات الإرهابية القديمة فى اليسار من أمثال جماعات الألوية الحمراء فى إيطاليا، والجيش الأحمر فى اليابان، وبادر ماينهوف فى ألمانيا والفهود السود فى الولايات المتحدة. ومع هؤلاء جميعا توجد جماعات الجريمة المنظمة خاصة تلك المرتبطة بالمخدرات وغسيل الأموال والتى تريد وضع الدولة والنظام العالمى موضع الدفاع.

التأمل الرابع أن المواجهة بين ظاهرة الإرهاب من جانب آخر، تكشف عن حجم التعرض والانكشاف الذى تعيشه الثانية أمام الأولى. فمع تعقيدها الشديد، فإن القدرة الانتشارية للتدمير عالية للغاية من مجال إلى اخر، ومن دولة الى أخرى بسرعة مذهلة. فتدمير مبنيين فى نيويورك لم يكن هو المشكلة رغم تكلفته العالية التى قد تصل إلى ٤٠مليار دولار، ولكن التكلفة الأكبر كانت عدة تريليونات من الدولارت سوف تتكلفها أمريكا والعالم من جراء الانكماش الاقتصادى العالمى. والأخطر أن الإرهاب لاينتصر فقط بالشلل والخسائر التى يوقعها، بل أيضا فإنه ينتصر مع مقاومته، فتقييد الحريات العامة، وتجاوز إجراءات التحقيق المتعارف عليها، وتقييد الحركة فى المطارات والموانئ الدولية يحقق للإرهاب ما يريده تحديدا وهو حالة مشوهة ومريضة من الأوضاع داخل الدولة وبينها وبين الدول الأخرى وربما كان ذلك تماما هو المقصود فى النهاية، فمع شلل الاقتصاد العالمى، فإن ملايين من

البشر المحبطة والمفلسة واليائسة سوف تندفع الى ساحة الإرهاب الذى يفتح أذرعته لها.

التأمل الخامس نتيجة ذلك كله فإن الإرهاب لم يعد مجرد نوع من الإزعاج الاستراتيجى الذى يليق فقط بأجهزة البوليس والأمن الداخلى وإنما صار تهديدا استراتيجيا دوليا كاملا من الطراز الأول فالقضية لم تعد واقعة تنتهى بتدمير سفارة أو باخرة أو مبنى فى الخبر أو دس الغاز السام فى نفق حتى ان عدد الضحايا ظل دائما فى حدود العشرات أو المئات وإنما صار الأمر فى حجم الحروب المحدودة التى تعد ضحاياها بالآلاف صحيح أنه لايمكن اعتبار الإرهاب نوعا من التهديد الخاص ببقاء الدولة ووجودها مثل الغزو الخارجي، ولكن المؤكد أنه قادر على جعل الحياة بالغة الصعوبة فهو لم يعد نوعا من جماعات المذاهب الدينية تدفع أعضاءها إلى الانتحار، أو تطالبهم بمهاجمة مبانى رسمية أو حتى من الإرهاب الذى له أهداف سياسية معينة مثل تحرير فلسطين، وإنما هو نوع من إثارة الرعب الجماعى من خلال القتل لجماعات كبيرة والتدمير الهائل لمفاصل كافية لتوديع مظاهر حضارية كاملة.

التأمل السادس أن الإرهاب الدولي لايرتبط بالفقر بالضرورة ، فمن المدهش انه في عالم الارهاب لانجد أفارقة من أكثر دول العالم فقرا، بل اننا لم نسمع قط عن إرهابى من بنجلاديش أو حتى من أفغانستان نفسها، فالفقير لا يوجد لديه من الإمكانات أو الطاقة ما يكفى للعمل من أجل تغيير العالم. فالشاهد أن الإرهابيون يأتون عادة من دول ليست الأكثر فقرا فى العالم ، بل انها على الأرجح من الدول متوسطة النمو، والتى عندما تعجز عن الانطلاق ببلدانها أو تجد فى ذلك مشقة كبرى، فتركن إلى اتهام العالم بأنه يقف أمام طريقها.

التأمل السابع أن حادث نيويورك الإرهابى وعملية الحرب على أفغانستان قد تكون عامل تغيير فى النظام الدولى، فربما لم يكن ممكنا بدء عملية التصفية النهائية للقضية الايرلندية من خلال قبول الجيش الجمهورى الإيرلندى لولا الذى حدث خلال الأسابيع الماضية.. وربما تغير ذات الأحداث الكثير من أنماط حياتنا التى لن تكون عادية أو روتينية بعد اليوم. ولكن مثل هذا التغيير لا ينبغى له أن ينسينا القدرة الهائلة لصراعات وأوضاع عالمية على البقاء، واستيعاب الأحداث الجديدة، وإعادة إفراز الواقع مرة أخرى على شاكلة ما كان عليه. ومن أمثلة ذلك الصراع العربي ـ الإسرائيلى والصراع فى كشمير، فبينما حاول العرب والاسرائيليون إعادة تكييف الواقع مرة أخرى لكى يناسب

مصالحهم السابقة على أحداث سبتمبر، فإن الهنود والباكستانيون ساروا على نفس الطريق.

وحتى فى إيران فإن المحافظين والإصلاحيين أعادوا تأكيد مواقفهم السابقة من خلال استيعاب المستجدات الراهنة، ولكن دون تأثير على الجوهر .

التأمل الثامن أن وضع الولايات المتحدة فى العالم ربما تغير بقدر ما لا يمكن التأكد من حجمه فى هذه المرحلة، ولكن الملاحظ أن الرغبة الأمريكية فى العمل المنفرد - اللهم إلا من خلال المشاركة بالمعلومات والتسهيلات - قد باتت أقل مما هو معتاد، وعلى العكس فإن مايشير إلى رغبة لتوسيع دائرة المشاركة العالمية فى مواجهة الظاهرة المعقدة. فرغم ما قد يبدو من اختلال توازن القوى الرهيب بين الولايات المتحدة وافغانستان او مابين امريكا وتنظيم القاعدة ، الا ان سيولة هذا الاخير ، وعدم احتوائه على مكون جغرافى صلب ، يجعل هذا الاختلال رقميا وورقيا اكثر منه حقيقيا ، وعندما لاتكون المهمة العسكرية ليست تحقيق النصر - الذى لانعرف على وجه التحديد ما هو من الناحية العملياتية - ولا ايقاع الهزيمة غير المعروف معناها مثل سابقتها ، ويصير الامر كله هو التخفيف من قدرة الشبكات الارهابية على الحركة والتأثير دون منعها كلية ، فإن الولايات المتحدة لاتريد ان تكون وحدها فى مواجهة هذه الحالة التعيسة .

التأمل التاسع ان الغموض فى الموقف لايشمل تعريف النصر والهزيمة فقط ، بل انه ايضا تحديد العدل المطلوب ، وليس معروفا على وجه الدقة كم من الافغان الطالبان سوف يكون كافيا لمعادلة القتلى فى مركز التجارة العالمى ؟! وماذا لو لم يكونوا من الطالبان او القاعدة او لم يشاهد اى منهم اسامة بن لادن مرة واحدة فى حياته ؟! والحقيقة الاوسع من ذلك ان الارضية الاخلاقية للموضوع كله مفقودة تماما من اول النذالة المطلقة لعمليات القتل الجماعى فى نيويورك ، وحتى حالة الهجوم غير المتكافئ من الولايات المتحدة على افغانستان ، اقوى دول العالم مع اضعفها ، واغناها مع افقرها !

التأمل العاشر ان الارهاب الجديد له صفة تعبيرية ، فهو ارهاب من اجل الارهاب ، فلا يتداخل معه رغبات سياسية او اجتماعية ، فلا توجد فدية من ارض او دولة او هدف سياسى او احتجاجى مطلوب ، ولذا لم تعد هناك اية حاجة لاعلان الحاجة لانها ببساطة غير موجودة ، فما هو مطلوب اقصى قدر من الرعب والخوف والارهاب والترويع ، لاشئ اقل ، فلا بطولة او قصة او اسطورة، وانما تدمير الحضارة البشرية كلها !!

الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر : الاهرام الاقتصادى
التاريخ : ٩ نوفمبر ٢٠٠١

القضية الفلسطينية فى زمن الحرب الافغانية

هل يمكن حل القضية الفلسطينية والتوصل الى تسوية للصراع العربي الاسرائيلى كله في وقت اشتعل فيه العالم نتيجة الاحداث التراجيدية الكبري التى نجمت عن تدمير مركز التجارة العالمى في نيويورك ومبنى وزارة الدفاع الامريكية فى واشنطن؟

ذلك هو السؤال الذي بات يشغل الكثيرين في الشرق الاوسط وخارجه، ومرجعه ان الازمات الدولية الكبرى عادة ما تكون بحكم التعريف شاملة للمخاطر والفرص. والمخاطر معروفة لانها تأتى مع احتدام صراع المصالح ونزوع الاطراف الى الاحتكام للقوة المسلحة لحل تناقضاتها، وعندما تصير الحرب اداة للحل فان من يعرف بدايتها لايعرف فى معظم الاحيان نهايتها. وهكذا يعرف تنظيم القاعدة وحماته من الطالبان فى افغانستان عندما قاموا بعمليتهم الشائنة فى الولايات المتحدة، كما تعرف ذلك ايضا امريكا بعد ان بدأت عملياتها العسكرية ضد افغانستان. اما الفرص فهي ناجمة من ان الارادات الهائلة التى تتجمع ساعة الازمة وتقود الي الحرب، يكون لديها الفرصة عادة لاتخاذ قرارات صعبة لم يكن ممكنا اتخاذها في الظروف العادية.

وفى وقت ازمة الارهاب العالمية الراهنة فرضت القضية الفلسطينية نفسها بالحاح منذ اللحظات الاولى ومهما كان النزوع للانكار انه لاتوجد هناك رابطة بين ازمة الشرق الاوسط وازمة الارهاب الدولي حتى لا تكون الاولى تبريرا للثانية الا ان احدا لم يعد يختلف على ان الاولي خلقت ارضية وواقعا محبطا وجديرا بخلق التشدد والتعصب. والاخطر من ذلك فان القضية باتت سلاحا ماضيا في يد الارهابيين والمتشددين وحتى القيادات الديكتاتورية واذا كان الرئيس العراقي صدام حسين قد استخدم حجة تحرير فلسطين لتبرير غزوه للكويت، فان السيد اسامة بن لادن لم يجد غضاضة اطلاقا هو وانصاره من المشاركين في تنظيم القاعدة ومن طالبان فى اشهار الافتئات على الحقوق الفلسطينية باعتباره مبررا لعملياته الارهابية ضد الولايات المتحدة والعالم اجمع.

والحقيقة ان القضية الفلسطينية وازمة الشرق الاوسط اصبحتا فى مواجهة طريق مسدود تماما عشية احداث الحادى عشر من سبتمبر الماضى، فقد انتهي تماما اي حديث عن مفاضات سورية - اسرائيلية منذ انهارت مفاوضات جنيف بين الرئيس الامريكى كلينتون والرئيس السورى حافظ الاسد في ربيع عام ٢٠٠٠ كذلك فقد انتهت المفاوضات الفلسطينية - الاسرائيلية تماما بعد اللقاء الاخير في طابا بداية العام الجارى، وبعدها تصاعدت الانتفاضة الفلسطينية ومعها قام الاسرائيليون بانتخاب

جدول رقم ١

هل توافق ام ترفض تقديم اسرائيل التنازلات التالية، فى اطار اتفاقية تسوية مع الفلسطينيين؟

السؤال	الموافقون٪	الرافضون٪
تبادل الارض مع الفلسطينيين	٤٤٪	٥٦٪
انشاء دولة فلسطينية على ٩٥٪ من الضفة الغربية وغزة، مع بقاء المستوطنات تحت السيطرة الاسرائيلية	٤٣٪	٥٧٪
نقل المناطق العربية المجاورة للقدس الى السيطرة الفلسطينية	٤١٪	٥٩٪
نقل سيطرة المسجد الاقصى الى الفلسطينيين، مع بقاء الحائط الغربى في يد اسرائيل	٣٣٪	٦٧٪
عودة عدد محدود من الفلسطينيين الى اسرائيل	٢٢٪	٧٨٪
تنازل اسرائيل عن السيطرة على الوادى الاردنى	١٨٪	٨٢٪

شارون وصحبه من غلاة المتطرفين، وفشلت كل المحاولات الاوروبية والامريكية والدولية من اجل وقف المواجهة والصراع والعودة الى مائدة المفاوضات حتى لتنفيذ بنود تقرير لجنة ميتشيل او حتى مبادرة جورج تينيت رئيس المخابرات المركزية الامريكية.

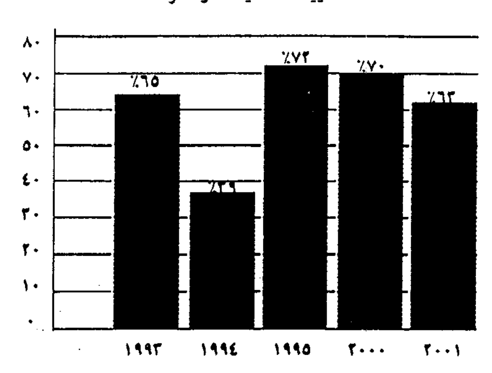
هذا الفشل كان وراءه حالة من الاستقطاب الحاد والتشدد ليس فقط بين حكومة السلطة الفلسطينية والحكومة الاسرائيلية وانما - وذلك ربما كان اكثر اهمية - بسبب تغير حاد في المواقف ازاء عملية السلام وميل اكثر الى التشدد في المواقف ازاء القضايا المختلفة. ومع ان نسبة تأييد الفلسطينيين لاتفاقية اوسلو كما يظهر من استطلاعات الرأي الفلسطينية لاتزال عالية وكان ٦٣٪ فى شهر يوليو الماضي «شكل ١» فإن نسبة التأييد للرئيس ياسر عرفات تراجعت كثيرا الى ٣٣٪ فقط من الشعب الفلسطيني بعد ان كانت قد وصلت الى ٧١٪ عام ١٩٩٦ عندما بدأ تنفيذ المرحلة الاولى من الاتفاقية الانتقالية «شكل ٢» ويظهر التشاؤم الفلسطيني مداه عندما يعتقد ١١٪ فقط من الفلسطينيين بامكانية عقد اتفاق دائم مع اسرائيل فى عهد شارون «شكل ٣» فى الوقت الذي يعتقد فيه ٧١٪ فى عام ٢٠٠١ ان العنف سوف يكون له عائد ايجابي على تحقيق الاهداف الفلسطينية بعد ان كانت هذه النسبة ٧٪ عام ٢٠٠٠ «شكل ٤» وبالتالى ارتفع عدد المؤيدين للعنف من ٥٢٪ الى ٨٦٪ خلال عام «شكل ٥»

ولا يختلف الامر كثيرا على الجانب الاسرائيلي، فلاتزال الاغلبية مؤيدة لعملية السلام بنسبة ٥٨٪ وان كان التأييد يقل كثيرا عما كان عليه الحال فى عامى ١٩٩٩ و ٢٠٠٠ عندما كانت النسبة ٧٠٪، بالاضافة الى تأييد السلام مع مصر ٨٥٪ والانسحاب الاسرائيلي من لبنان ٧٤٪ وفيما عدا ذلك فان الرأى العام الاسرائيلي يميل بشدة الى التشدد فى كل القضايا الخاصة بالمفاوضات. فكما هو واضح من جدول «١» فإن الاسرائيليين يرفضون بنسبة عالية كل ما ذاع عما يسمي بتفاهمات طابا التي تمت في شهر يناير الماضي بين السلطة الوطنية الفلسطينية وحكومة حزب العمل الاسرائيلية. هذه التفاهمات كانت قد دارت حول امكانية تبادل الاراضى بين الطرفين بحيث يحصل الفلسطينيون على اراض من اسرائيل تقابل الاراضي التي سيتنازلون عنها نتيجة وجود الكتلة الرئيسية للمستوطنات الاسرائيلية. وكذلك دارت حول انشاء دولة فلسطينية مع ترتيبات خاصة بالاوضاع فى القدس ومايخص مشكلة اللاجئين.

مايظهر هنا بوضوح كامل ان القاعدة الشعبية فى فلسطين واسرائيل اصبحت متباعدة عن بعضها البعض باكثر من اي وقت مضى، ومهما بقيت رغبة اساسية فى تحقيق السلام فانه لا يوجد ترجمة عملية لها فيما يتعلق بالمؤشرات الدالة على مصداقية هذا الموقف. وهنا يأتي بالتحديد اهمية الجهد الدولي الذي يستطيع ان

شكل رقم ١

التأييد لاتفاقيات أوسلو

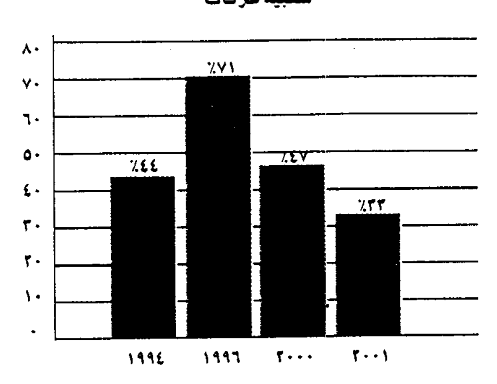


يفرض حلا علي الطرفين يتمشى مع القرارات الدولية من جانب والمتعلقة بضرورة الانسحاب الاسرائيلى من الاراضى العربية المحتلة فى عام ١٩٦٧ مقابل القبول باسرائيل والتعايش معها كاحدي دول المنطقة وضمن هذا الاتجاه جاء الاعلان الامريكي والبريطانى بضرورة ان يتضمن الحل لصراع الشرق الاوسط اقامة دولة فلسطينية، واعلان الملك عبدالله الثانى العاهل الاردنى ورئيس القمة العربية عن وجود سعى لاعلان عربى بضمان امن اسرائيل ووجودها في المنطقة حالة قبولها الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة.

وسواء كان الامر قائما من الولايات المتحدة او الاردن او بريطانيا فإن كل الاشارات تشير الي وجود اتجاه عالمي نحو البحث عن حل القضية التى استعصت على الحل طوال اكثر من نصف القرن الماضى، ولاتلبث ان تسبب للعالم من المشكلات المستعصية ماتقض مضاجع كثيرة. ولكن هذا الاتجاه على مايحتويه من توافق عام بين اعضاء الاسرة الدولية وحتى بين الدول الكبري الرئيسية فان هناك من العناصر مايحاول الحد منه والتراجع عنه، بل وحتى الفصل مابين الازمة العالمية الراهنة وقضية الشرق الاوسط برمتها. واول هذه العناصر ان الولايات المتحدة ومعها بريطانيا لايريدان ربطا مباشرا بين الازمتين حتي لا تبدو القضية الفلسطينية مبررة للثانية التي نشبت نتيجة ارهاب لا لبس فيه جرى على اراضى الولايات المتحدة . وثانيها ان فكرة «فرض السلام» من جانب القوى الكبري والمجتمع الدولي لاتزال تلقي مقاومة كبيرة داخل اسرائيل بالطبع وداخل الولايات المتحدة خاصة فى الكونجرس. وثالثها انه حتى الان لا توجد صياغة مقبولة لما ينبغى ان يكون عليه الحل، فرغم ما شاع ان تكون التفاهمات التي تم التوصل اليها فى طابا استنادا الى خطة الرئيس كلينتون هى الاساس للتسوية فانه لا يوجد اتفاق علي ماورد فيها وتدعي اسرائيل حتي بعدم وجودها كلية او ان وفدها في طابا لم يكن مفوضا من قبل الحكومة الاسرائيلية، وان التنازلات الاسرائيلية لم تكن أكثر من مبادرات فردية من قبل يوسى بيلين وزير العدل فى وزارة باراك السابقة. ورابعها ان قوى التطرف على الجانبين لاتزال فاعلة بقوة على الساحة السياسية والعسكرية بحيث نجحت في تحويل القضية الفلسطينية الي قضية للانتقام المتبادل، وبالتالى فقدت المقاومة الفلسطينية ارتباطها مع الهدف السياسى والاستراتيجي للتحرير. اما في اسرائيل فقد فقدت كل ماله علاقة بدولة ذات شرعية وباتت تتصرف كعصابة ارهابية لا يوجد لديها ماهو اكثر من الثأر لاخر قتيل اسرائيلى بأعداد مضاعفة من الفلسطينيين ، وخامسها اننا ازاء حالة ساخنة من التطورات الدولية، ومهما كان من اهلية للقضية الفلسطينية فإنها باتت واقعة وراء الحرب الافغانية والحرب ضد الارهاب فى الاهمية، ومن ثم فإنها باتت رهينة لتطورات حرب غامضة لها تعقيداتها الكثيرة المرتبطة بمنطقة وسط اسيا والقوقاز التى لا تقل اطلاقا من حيث التركيب والنزعات العنيفة عن الشرق الاوسط.

شكل رقم٢

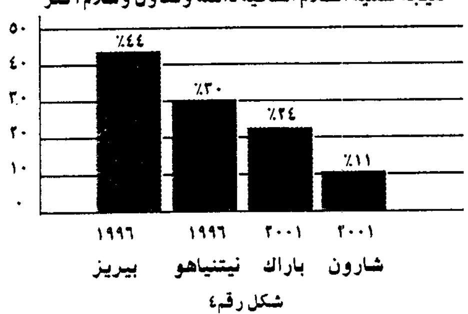
شعبية عرفات



المسألة إذن ليست سهلة على الاطلاق، وبقدر ما يوجد مايحفز على ضرورة تسوية القضية الفلسطينية انتهازا لفرصة الازمة العالمية الراهنة، فإن هناك عوامل اخرى لاتقل اهمية تحبط هذا المسعى بل وتسعى الي تقويضه. ان التوازن بين هذا وذاك سوف يتوقف علي قدرة اصحاب القضية علي تطوير الموقف الدولى نحو حلها، وربما يساعد دور الولايات المتحدة ان هناك عددا من المؤشرات التي تشير الى وجود اتجاهات ايجابية نسبيا لدي اليهود الامريكيين تساعد فى الدفع باتجاه الحل. فحينما عقد منتدى السياسة الاسرائيلية فى نيويورك استطلاعا للرأى العام بين اليهود الامريكيين مؤخرا وجد ان ٥٧٪ يؤيدون قيام دولة فلسطينية وقالت ٨٥٪ ان معالجة «**العنف**» في الشرق الاوسط سوف يساعد حملة الولايات المتحدة ضد الارهاب الدولى ، بينما طالب ٧٥٪ بأن تعمل الولايات المتحدة على تحقيق ذلك من خلال دور نشيط. واخيرا فان ثلثى العينة وافقت علي ان تقود الولايات المتحدة قوة مراقبة دولية لتخفيض العنف بين الفلسطينيين والاسرائيليين وهو موقف يتعارض تماما مع الرغبة الاسرائيلية في الانفراد بالشعب الفلسطيني . معنى ذلك ان هناك قدرات امريكية الآن، دون معارضة كبيرة من اللوبي اليهودى، لشن مبادرة جديدة للسلام في الشرق الاوسط. فهل تفعلها ادارة بوش وتنتهز الفرصة، ام تضيع الفرصة هذه المرة كما ضاعت عشرات الفرص قبلها؟!

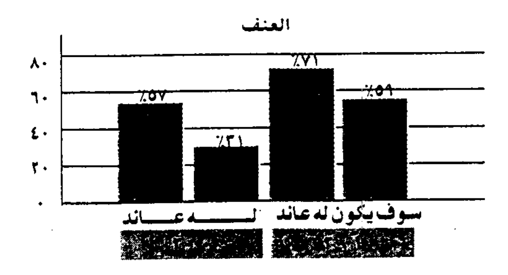
شكل رقم٣

نتيجة عملية السلام اتفاقية دائمة وتعاون وسلام أكثر



شكل رقم٤

العنف




مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاهرام العربى

التاريخ: ١٠ نوفمبر ٢٠٠١

الإرهاب فى عيون مصرية!

لوقت طويل كنت أعتقد أن هناك مسافة كبيرة بين النخبة الزاعقة فى الحياة العامة والأغلبية الساحقة من المصريين.. وعندما بدأ مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية فى الأهرام فى إجراء عدد من استطلاعات الرأى العام، إذا بهذه الحقيقة تتأكد من خلال قياسات علمية، وبعد الاطلاع على نتائج قياسات مشابهة فى بلدان عربية أخرى، إذا بهذه الحالة منتشرة فى كل البلدان العربية تقريباً. فالنخبة لديها أولوياتها وموضوعاتها واهتماماتها، وما تتحمس له وما تشمر بالبرودة إزاءه، وبقية الشعب له أولويات وموضوعات مختلفة، وكل ذلك رغم حديث النخبة الذى لا ينتهى عن التعبير عن نبض «الشعب»، و«الجماهير»، و«الناس».

وخلال الأزمة العالمية الراهنة التى بدأت منذ الحادى عشر من سبتمبر الماضى بتفجير مركز التجارة العالمى فى نيويورك، ومبنى وزارة الدفاع الأمريكية فى واشنطن، لم تكن الحال مختلفة كثيرا، وبينما اختصرت النخبة الموضوع. وبحماسة ملحوظة. فى أن تكون مع أو ضد الولايات المتحدة أو مع أو ضد طالبان، فإن من هم خارج طائفة المتحدثين على القنوات الفضائية والكتاب فى الصحف كان لهم رأى آخر. وربما كان هذا الرأى الآخر أكثر حكمة وأكثر سداداً لأنه لم يسقط من حساباته تجربته التاريخية الخاصة والقريبة مع الإرهاب، فالموضوع ليس عما إذا كان أسامة بن لادن قد فعلها فى نيويورك أم لا، أو عما إذا كانت الولايات المتحدة لها الحق فى ضرب أفغانستان أو لا، وإنما صار الموضوع هو كيف يؤثر ذلك علينا، والأهم على أولادنا.

وكان ما أثار الموضوع رسالة رقيقة من سيدة فاضلة وقعت باسم «مصرية» عبرت فيها عن قلقها بعد العمليات الإرهابية فى أمريكا عندما يذهب أولادها إلى السينما. فالقضية لم تعد على اتساعها المرتبط بالتوازن الكونى كما يحب المثقفون، أو حالات الثورة والفورة والنضال والنزال كما يفضل الثوريون من آخر الزمان، وإنما كيف يؤثر ذلك على المواطن العادى وعلى حياته اليومية وعلى أولاده وعلى دور السينما وعلى التنمية والسياحة وحركة السفر والترحال.

ولعل فى ذلك الكثير من الحكمة التى لا يدركها كثيرون، فقد حدثت غرائب كثيرة منذ بدأت الأحداث الأخيرة، كان فى مقدمتها أنه تم الإسقاط التام من الذاكرة ما حدث لنا خلال الربع قرن الأخير، وبالذات العشر سنوات الأخيرة من الإرهاب، بل وتم إسقاط ما يعلنه الإرهابيون أنفسهم فى جميع بقاع الأرض عما يريدونه من مصر وأهلها، ولكن أخطر ما جرى إسقاطه من الوعى العام الآفاق المرعبة للحركات الإرهابية التى دخلت عصوراً جديدة من العنف يصل إلى حد استخدام أسلحة الدمار الشامل كما برز فى عدد القتلى والجرحى، وحجم التأثير المادى والمعنوى. وربما لا يعرف الكثير من المعجبين بالسيد أسامة بن لادن وصحبه أن بلدانا كاملة قد تم تدميرها اقتصاديا بشكل كامل. فبدت كما لوكانت قد تم تدميرها بالقنابل الذرية نتيجة الأعمال الإرهابية الأخيرة. فدول البحر الكاريبى وغيرها من دول العالم الثالث التى تعتمد اعتماداً كلياً على السياحة عصفت بها هذه الأزمة عصفاً كاملاً وحولتها إلى حالة من الفقر الشامل.

وقد وصلنا بعض من ذلك بالفعل فى صورة السياحة المصرية التى دمرت تدميراً كاملاً، رغم أن عملية بن لادن وصحبه حدثت فى الولايات المتحدة، فوجدت الفنادق والمناطق الأثرية نفسها خاوية على عروشها، ومعها انهارت

بيوت ومصالح أكثر من مليون من العاملين فى هذا القطاع المهم. ولكن القضية ليست فقط آثار الضربة الإرهابية الأخيرة، بل ما هو متوقع أن يحدث من ضربات فى المستقبل بفعل العمليات الإرهابية المضادة للعمليات العسكرية الأمريكية فى أفغانستان. ومن الواضح حتى الآن أن الموضوع ليس فقط صناعة السياحة والطيران والقطاعات المتصلة بها، ولكنها أيضا تمتد إلى جميع القطاعات الداخلة فى عمليات الاعتماد المتبادلة العالمية. وهو ما ظهر بالفعل فى انهيار أسعار النفط والتجارة العالمية بفعل ارتفاع التأمين على النقل البحرى والجوى والتى جعلت أسعار السلع قاسية على المستهلك.

ومع ذلك، وأيا كانت الخسائر المادية، فإنه لا يوجد ما يماثل حياة البشر والأفراد واطمئنانهم النفسى والمعنوى على مستقبلهم ومستقبل أولادهم بل والحركة البسيطة مثل الذهاب للدراسة أو للترفيه فى النوادى ودور السينما. إن تخيل امتداد حملة جرائم الجمرة الخبيثة إلى مصر أو غيرها من الدول من خلال الأساليب البسيطة مثل الخطابات والطرود، وربما فى المستقبل التسرب إلى مياه الشرب أو من أنابيب الغاز يخلق حالة من الرعب التى يسعى الارهاب إلى إنزالها بالناس. إن هذه الحالة على وجه التحديد هى ما ينبغى مقاومتها، لأنها عادة المدخل الذى تسعى من خلاله كل القوى الفاشية، ومن يناصرها من قوى فكرية وسياسية إلى تحقيق الانقلاب فى حياة البشر، وتحويلهم إلى مجتمعات متخلفة وبدائية على شاكلة تلك التى صنعوها فى أفغانستان.

وربما كان ما فعلته القارئة الكريمة عندما سمحت لأولادها بالذهاب إلى السينما فى النهاية هو الصواب بعينه، وإلا تحولت حياتنا إلى جحيم لا يطاق.

ولكن المسألة لها أيضا جانب آخر، وهو أن مجتمعاتنا قد فقدت قدرا من مناعتها الطبيعية لمقاومة الإرهاب والتى تكونت خلال السنوات الصعبة للتسعينيات، وبات الخلط المتعمد لقضية الإرهاب مع القضية الفلسطينية نوعاً من تحييد إرادة المقاومة لدى المجتمع، بل وتحويلها إلى جنود طيعة فى يد الإرهاب نفسه تدافع عنه وتصفق له باعتباره نوعاً من المقاومة للإمبريالية والصهيونية. إننا نحتاج بشدة لاسترداد هذه المناعة قبل فوات الأوان، وقبل أن تتحول قوى الإرهاب إلى آفاق أوسع وأكثر خطورة للعمليات الإرهابية ربما لم يستعد لها المجتمع، أو يتدرب على مواجهتها، أو حتى يعترف بوجودها.

لقد تعودنا على أن تستفز الطاقات الخلاقة فى المجتمع وقدراته على المقاومة عندما يتعرض لنوعيات مختلفة من التهديد، وخلال التسعينيات حدث ذلك تماما عندما تصدى للهجمات الإرهابية التى انهالت عليه تحت دعاوى شتى.

وأيامها كان هناك من بشر بالدولة الجديدة، وكان هناك من حاول إثنائنا عن المقاومة بالقول إنه لا توجد أدلة كافية، أو أنه لابد من الحوار مع الإرهابيين، أو من قال بضرورة إصلاح الأحوال الاجتماعية والسياسية والاقتصادية تحت طلقات الإرهاب. ولكن المجتمع الذى مضى فى مقاومته دفع ثمناً فادحاً وواجباً، ولذا بات من الضرورى أن نتعلم من الدرس، وهذه المرة لا ينبغى أن نؤخذ على غرة، فالظروف صعبة بالفعل، وكانت كذلك بالفعل حتى قبل الأحداث الأخيرة.

حماك الله يا سيدتى وحمى أولادك من كل سوء!

البريد الإلكترونى: amsaeed @ ahram.org.eg

أعراض صينية..!!

سوف يظل العالم يتساءل لوقت طويل عما جرى في الدنيا منذ احداث الحادى عشر من سبتمبر الماضى فى الولايات المتحدة، وربما لن نعرف أبدا القصة كاملة، ليس فقط لأن الذين فعلوها ضاعوا مع الرماد، ولكن لأن توابع الاحداث على مسرح الكون، تسارعت الى الدرجة التى شحب فيها الحدث الأصلى، وربما يعنينا كثيرا فى الاقتراب مما كان، ان نستعيد أكثر السيناريوهات جنونا وأدعى للخوف والذعر، التى تحدث فى المفاعلات النووية والمعروفة بانصهار قلب المفاعل Meltdown، وهو ماحدث نتيجة عمليات متتابعة تعرف لدى الفنيين باسم «الاعراض الصينية»، هذه العمليات قوامها فشل عمليات التبريد التى تجرى لعمليات الانشطار المولدة للطاقة، بحيث لا تصل أبدا الى ما يتجاوز أعلى درجات الحرارة المعروفة لانصهار مادة الهافنيام، وهى اربعة آلاف درجة فهرنهايت، وبعدها تحدث الكارثة الكبرى وينصهر المفاعل وينفجر، ويتسرب الاشعاع النووى، ويهلك الزرع والضرع، وحتى الآن لم يعرف البشر هذه النوعية من الكوارث، وإن كانوا قد اقتربوا منها، كما حدث فى حادث جزيرة الثرى مايلز بالولايات المتحدة، وشيرنوبيل فى الاتحاد السوفيتى السابق، أو - وهذا احتمال آخر - أن عمليات التفاعل زادت فى كثافتها وحرارتها أية قدرة متوافرة لتبريد قلب المفاعل.

فى الحادى عشر من سبتمبر الماضى، جرى شىء من هذا للعالم الذى يمكن تصوره كمفاعل نووى كبير تجرى فيه الاف، إن لم يكن ملايين، من عمليات الانشطار والاندماج الاقتصادى والاجتماعى والثقافى، مع كل لحظة تمر من عمر البشرية، وخلال السنوات العشر الأخيرة، وربما قبل ذلك بعقد أو عقدين، بدأت أكبر عملية عرفها الإنسان للتفاعل من خلال ما عرفناه بعد ذلك باسم «العولمة» التى اوصلت حجم العمليات التى تجرى فى أسواق المال يوميا، ما تعدى تريليون دولار، وجعلت شركات عملاقة تبيع وتستثمر بأكثر من الناتج القومى الإجمالى لدول كبيرة، وأتاحت حجما من الاتصالات عبر التليفون والتليفزيون والكمبيوتر، والمواصلات بسبب الطائرات، احتاجت البشرية لآلاف الأعوام لكى تعرف مثلها، كل ذلك كان يجرى بسرعة، وفى وقت من الأوقات بدا الأمر وكأنه سيول كاسحة لايقف أمامها عائق أو مانع، أو عواصف هادرة لاتعرف سدا أو حاجزا، ورغم اللغط الكثير فى الكتابات والندوات والمؤتمرات حول مظالم العهد الجديد، وحول ما يجرى داخله من إشكاليات، فقد كان الانشطار والاندماج يجرى بسرعة الضوء، ويتغير الكون والعالم والدنيا فى كل ثانية، بعمليات خارقة وباهرة نتيجة الطاقة الاقتصادية الخرافية المتولدة عن عمليات التبادل والاستثمار والاتصال فى العالم.

وربما كانت أول مرة ظهرت «الاعراض الصينية» فى النظام العالمى فى صيف عام ١٩٩٧، فكانت فى مدينة بانجوك التايلاندية، عندما انهارت أسواق المال فجأة، ومعها عملة البلاد التى صارت بين ليلة وضحاها لا تساوى شيئا، واندفع الناس لسحب أرصدتهم من البنوك، بعد أن أصبحت لا تساوى شيئا، ومن بعدها استوت السوق كلها على الأرض، ولم تمض أيام إلا وكانت الحادثة نفسها تجرى بالنص ووفق نفس السيناريو فى ماليزيا، ومن بعده كان قلب المفاعل الاقتصادى العالمى مندفعا نحو الانصهار، عندما تكرر الأمر فى إندونيسيا وكوريا الجنوبية، وامتد الى روسيا كلها ومن بعدها أمريكا الجنوبية، وطال الأمر بعضا من دول الشرق الأوسط. كانت عمليات الانصهار تجرى بسرعة مخيفة ويضيف الى سرعتها حركات المضاربين، ومن كان فى قلوبهم خوف ومرض، وبدت الدنيا كلها مقبلة على أكبر كارثة اقتصادية فى تاريخها، تجعل ما جرى من كساد فى عام ١٩٢٩ أشبه بنزهة بحرية، ولكن ذلك لم يحدث، ونجحت مؤسسات النظام العالمى وفى المقدمة منها الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبى والبنك الدولى وصندوق النقد الدولى، ومنظمة التجارة العالمية الوليدة، وعشرات من الجمعيات العالمية غير الحكومية، من تكوين أكبر تحالف دولى أنفق عشرات إن لم يكن مئات المليارات من الدولارات لتسكين الأوضاع، أو تبريدها، بحيث تعود الحرارة فى قلب المفاعل الى معدلاتها الطبيعية بعد عامين من بداية الأعراض الخطيرة.

وما أن بدأ العالم فى التقاط أنفاسه، وأخذ فى تهنئة نفسه على المعجزة التى حدثت، حتى جاءت الضربة لقلب المفاعل هذه المرة من الجو، وفى شكل طائرات محملة بأطنان من الوقود، ولا توجد هنا مبالغة كبيرة فى القول إن الولايات المتحدة هى قلب المفاعل النووى العالمى، ولا حتى فى القول إن مدينة نيويورك ومبنى مركز التجارة العالمى هما قلب القلب من المفاعل، فالدولة العظمى الوحيدة الباقية فى الدنيا هى مركز النظام العالمى وبؤرة أعصابه الحساسة، وناتجها المحلى الإجمالى يساوى عشرة تريليونات من الدولارات، تمثل ٢٨٪ من الناتج العالمى، وهى قائدة حلف الأطلنطى بأذرعه الكثيرة والطويلة، ولها فى البحار والمحيطات أساطيل سبعة، وفى الفضاء القريب والسحيق أكبر عدد من الأقمار والمركبات، وتمثل لهجتها الانجليزية ٨٠٪ من الحركة على شبكات الانترنت، وعندما يتعلق قلب كل ذلك للانصهار وتظهر الاعراض الصينية عليه، فإن الكرة الارضية بأسرها تصبح معرضة لأسوأ كارثة اقتصادية وأمنية عرفها العصر الحديث.

ولعل هذا هو ما حدث فعلا، وعندما بدأت أعمدة الصلب الخاصة ببرجى مركز التجارة العالمى فى الانصهار الفعلى، وأخذت معها عند الانهيار أرواح ستة آلاف من البشر ينتمون الى ستين دولة فى العالم، ومعهم ستة وأربعون مكتبا تنتمى الى ما يماثل عددها من الأمم، فإن العالم كله أخذ فى مواجهة موجات هائلة من الحرارة، فمع انصهار قلب المفاعل بدأت مجموعة من التداعيات الهائلة مع انبعاث الحرارة والاشعاعات المميتة الى بقية الكون، وربما كان أولها العلاقة بين الحضارات فى العالم، وخاصة ما بين الحضارة الإسلامية وباقى حضارات العالم الأخرى، ومهما قيل من أسباب لما جرى، أو تم استدعاء العمليات المتطرفة لأديان سماوية أخرى، أو ورد ما هو منطقى من أن المتطرفين ينتمون لكل الملل والأديان فى العالم، فإن الحقيقة المرة هى أن الهجوم على مركز التجارة - انتحارا ونحرا - جاء من قبل مجموعة ينتمون الى دين واحد، أو هكذا تبدو الأمور على السطح للعامة قبل الخاصة، وللسواد الأعظم من الناس قبل المفكرين وأصحاب الرأى.

أما الآثار الاقتصادية لانصهار قلب المفاعل الاقتصادى فى العالم، فإنه يصعب حسابها الآن، وعلى سبيل المثال فإن العالم كان يعرف أن أسلحة الدمار الشامل تنقسم الى ثلاثة أنواع: نووية وكيماوية وبيولوجية، كلها قادرة على تدمير كم هائل من الموارد، وعدد كبير للغاية من البشر، ولكننا الآن نعرف أن هناك نوعا جديدا من أسلحة الدمار الشامل لا يشتمل على هذه الأنواع المتعارف عليها، ولم تكن القضية فى هذا اليوم ما تم تدميره من منشآت، أو تم قتله من البشر، وهو هائل خلال فترة زمنية قصيرة، وإنما كانت القضية الآثار الاقتصادية المرعبة لهذه الأحداث على اقتصاد أمريكا والعالم كله، التى لا تقل إطلاقا عن استخدام أسلحة الدمار الشامل، ومن الثابت أن عددا من دول العالم التى تعتمد على السياحة اعتمادا مطلقا، وجدت نفسها مفلسة تماما ويعانى مواطنوها المجاعة القاتلة. وفى دول البحر الكاريبى - على سبيل المثال - والتى لايوجد لديها أكثر من الشمس والبحر والسائحين، وجدت نفسها وقد انخفضت حالتها المالية الى ما هو أقل من الصفر.

وهكذا اندفعت كميات هائلة من الحرارة والإشعاعات والأعراض الصينية الى النظام الدولى، وعندما تداعت دول العالم كلها الى جانب الولايات المتحدة، لم يكن ذلك تعاطفا مع نتائج عملية إرهابية كبيرة، وإنما كان ذلك لأن الكل يعرف أن احتراق قلب المفاعل سوف تكون له نتائج كارثية على الجميع، وفيما عدا جماعة نشيطة وزاعقة وكثيرة الصياح فى العالم العربى والإسلامى، فإن بقية العالم فهمت النتائج الخطيرة لانصهار المفاعل العالمى، ومن ثم تداعت لمعالجة الوضع والتحالف مع الولايات المتحدة للتعامل مع الكارثة، وربما بدا الأمر مدهشا لكثيرين لدينا، أن تتدافع باكستان والهند، والصين وروسيا، وأوروبا وأمريكا الجنوبية، من أجل مساندة الولايات المتحدة، وربما جرى تفسيرها على أنها نوع من الخنوع أو البحث عن مصالح ضيقة، أو حتى لانتهاز الفرصة لتوريط أمريكا فى المستنقع الأفغانى، ولكن الثابت هو أن هذه المساندة جاءت لأن الانصهار الكامل لقلب المفاعل، سوف يدمر الدنيا كلها بالأحقاد الدينية تارة، وبالفاقة الاقتصادية تارة أخرى.

د. عبدالمنعم سعيد

تأملات أخرى فى أحداث عالم اليوم..!

في مقال الاسبوع الماضي اوردنا عشرة تأملات فى تلك الأحداث التى تتابعت منذ تفجير مركز التجارة العالمى فى نيويورك ومبنى البنتاجون او وزارة الدفاع الامريكية فى واشنطن . ولأن الأحداث كثيرة ومتتابعة ومدهشة في ذات الوقت، فإن وفرة كاملة فى التأملات التى تتعلق بها لا تكف عن الورود على الخاطرو الالحاح عليه، فلم يكن العالم ساكنا عندما فتح عيناه على مشهد طائرات التفجير، ورغم انه لم يغلقها بعد فان الحالة بدت كما لو كانت مابين النوم والحقيقة ومابين الحلم والعلم، والكابوس واليقظة وكنت اظن اننى الوحيد الذى يعيش في هذه الحالة ولكن مذيعا امريكيا فى محطة فوكس التليفزيونية كان يجرى حديثا معى قال انه يستيقظ كل يوم ويقول لنفسه ان ما حدث حدث بالفعل وان عليه ان يعيش ويتعامل مع هذه الحقيقة ، ولكنه لايزال يحتاج الى هذا القول كل صباح .

وبالتاكيد لم يكن العالم ساكنا قبل الحادى عشر من سبتمبر فقد كانت **العولمة** تجرى على قدم وساق طوال الاعوام السابقة، وذاع صيتها كثيرا بعد انتهاء الحرب الباردة تتعرض لبعض المتاعب ظهرت في درجة من التباطؤ الاقتصادي وانخفاض قيمة اسهم شركات التكنولوجيا الكبرى التي كانت لها منعة هائلة طوال العقد السابق. ولكن هذا التباطؤ لم يكن مثيرا لانزعاج احد، فقد كان العالم قد خرج مظفرا من ازمة اقتصادية طاحنة جرت في الاقتصاديات الاسيوية وهددت الاقتصاد العالمي كله بانهيار كامل ، ومع ذلك ولأن الاقتصاد الامريكى كان لايزال قويا فقد تمكن من اخراج النظام الاقتصادي العالمى من النفق المظلم بسرعة. ولكن تباطؤ الاقتصاد الامريكى مع عام ٢٠٠١ لم يكن مما يبعث علي الذعر، فبعد عقد من النمو المتواصل بدأ التباطؤ منطقيا والتصحيح ربما يكون مطلوبا لاسباب كثيرة يعرفها اهل الاختصاص. ولذلك فإن العالم كان يسير فى مساره « **الطبيعى** » ولم يكن مدهشا تماما سلوك الادارة



الامريكية الجديدة التى جاءت الى السلطة ومعها فائض اقتصادي هائل، وتفوق تكنولوجي ملحوظ ، فلم تجد ما تثير به العالم سوى ان تقوم بالسعى الى بناء حائط دفاعى للصواريخ البالستية لم يكن هناك احد اخر فى الدنيا كلها متحمسا له بما فيهم حلفاء امريكا الاقربون وحتى المتحمسون منهم كانوا يعرفون ان هناك عقبات قانونية هائلة تقف امام هذا المشروع.

ولكن ذلك كله كان مقدورا عليه فالنقاش كان دائرا بين امريكا واوروبا حول حائط الصواريخ وبين امريكا وروسيا المنزعجة التى لسبب ما بدا ان هناك استلطافا بين رئيسها فلاديمير بوتين والرئيس الامريكي الجديد جورج بوش. وكان هذا النقاش كفيل بالتوصل الي حل، اما بتخفيض حائط الصواريخ، او بتعديل الاتفاقية التى تمنع بناء هذا الحائط والموقعة بين واشنطن وموسكو عام ١٩٧٢ اى فى زمن الحرب الباردة. اما المعضلة الاقتصادية فلم تكن من الحدة التى تسبب انزعاج احد وكان متصورا ان عمليات تخفيض الضرائب على الامريكيين سوف تمثل حافزا يؤدي الي انتعاش الاقتصاد الامريكي الذي لم يكن قد وصل الى درجة الانكماش بعد. صحيح انه كان هناك بعض المتاعب الاضافية فى الشرق الاوسط وعملية السلام المتعثرة فيه وفى اسيا الوسطى وافغانستان التى لا يكف الناس فيها عن الحرب. وفى ايرلندا المتعذر السلام فيها لان الجيش الجمهورى الايرلندى رفض تسليم سلاحه وحتى في مقدونيا التى تفجرت فيها مشاكل الالبان مرة اخرى. الا ان كل ذلك كان مقدورا عليه بالعمل والجهد والتأجيل اذا ماتعذرت الامور وابى الاطراف السعى الجدى الى حل.

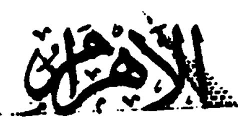
كان العالم مزعجا قليلا، ولكنه لم يكن فيه ماهو غير مألوف متعارف عليه من متاعب لا يخل منه زمن وعصر حتى جاء يوم الحادى عشر من سبتمبر لكى يعيد النظر فى امور كثيرة. على سبيل المثال فان العالم كان يعرف ان اسلحة الدمار الشامل تنقسم الى ثلاثة انواع: نووية وكيمياوية وبيولوجية كلها قادرة على تدمير كم هائل من الموارد وعدد كبير للغاية من البشر.

ولكننا الان نعرف ان هناك نوعا جديدا من اسلحة الدمار الشامل لايشتمل على هذه الانواع المتعارف عليها ولم تكن القضية في هذا اليوم ماتم تدميره من منشآت، او تم قتله من البشر وهو هائل خلال فترة زمنية قصيرة وانما كانت القضية الاثار الاقتصادية المرعبة لهذه الاحداث على اقتصاد امريكا والعالم كله التى لا تقل اطلاقا عن استخدام اسلحة الدمار الشامل ومن الثابت ان عددا من دول العالم التى تعتمد على السياحة اعتمادا مطلقا وجدت نفسها مفلسة تماما ويعاني مواطنوها من المجاعة القاتلة. وفي دول البحر الكاريبى - على سبيل المثال - والتى لا يوجد لديها اكثر من الشمس والبحر والسائحين وجدت نفسها وقد انخفضت حالتها المادية الى ماهو اقل من الصفر.

الاخطر من ذلك ان عملية التدمير هذه لم تعتمد على الدول، وانما على منظمات او شبكات غير معروفة العنوان او الهوية او لها حتى مركز واحد لصناعة القرار. لقد قام التنظيم الدولي، والعلاقات الدولية كلها على اساس من ان وحدتها الاساسية هي الدولة التي هي تنظيم اجتماعي يمكن التأثير فيه من خلال عملية «الردع» الذي تبنى الدول من اجله اجهزتها الدفاعية فتشعر الاطراف الاخرى ان هناك ثمنا فادحا لمحاولات العدوان. ولكن احداث الحادى عشر من سبتمبر وما تلاها من مواجهة في افغانستان لاتشير الى ان الولايات المتحدة والعالم تواجه دولة يمكن ردعها او تخويفها او التأثير بوسائل شتى للتوفيق والاغراء والضغط فى مركز صنع قرارها وانما تجرى المواجهة مع شبكات عنكبوتية تدور حول فكرة غير قابلة للالم او العقاب او الحرمان. وهى مثل وحش خرافي قادم من عصور سحيقة ليس له حدود او افاق يمكن اختراقها او الالتفاف حولها. واذا أكان ذلك يفسر الهدوء غير العادى الذي يلف السيد اسامة بن لادن ورفاقه . فإنه لا يفسر الكثير بعد ذلك سوى اننا امام علاقات جديدة لا تزال فى دور الاكتشاف.

فقد كان الفكر الليبرالى فى العموم مرحبا بالعولمة الاقتصادية والثقافية باعتبارها تمثل اتساعا هائلا للسوق الاقتصادى الثقافى، واعتبر ان التنظيمات الاجتماعية غير الدولة مثل المنظمات غير الحكومية والشركات متعددة الجنسيات تمثل اركان النظام العالمى الجديد الذي يوفر طاقات ديمقراطية تقوم على المشاركة والانتاج الوافر. وبشكل ماكان الفكر الليبرالي متشككا في الدولة خاصة في العالم الثالث ورآها محتوى القهر والاستبداد ، ومن ثم بدت التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية الجديدة بمثابة محاولة لاختراق الحجاب الكثيف للدولة. ولكن ما مكن من انشاء وشيوع الوحدات الاجتماعية من غير الدولة كان هو ذاته الذى أوجد اشكالا شريرة منها باتت عصية علي التعامل وهدفها الاساسى هو هدم النظام العالمى بوحدات الدولة فيه وغير الدولة كذلك.

وهكذا فان تنظيم القاعدة وكثيرا من القواعد الاخرى للارهاب بأشكالها المتعددة الاصولية والايدلوجية غير المتقيدة بحدود الدولة ونظمها بل وقابليتها للتأثير بات هو النموذج لطرف جديد فى العلاقات الدولية وصلت اهميته الي درجة التصادم مع الدولة العظمى الوحيدة الباقية فى العالم. هذا الطرف الجديد له قواعده اولا قواعده الخاصة فى العمل، فهو ليس قابلا فقط «للردع» بل هو ايضا، وذلك هو الاخطر فهو لا يعرف العلاقة بين سبب ما ونتائج استخدام سلاح بعينه. وعلى سبيل المثال فان الاسلحة



النووية لم يتم استخدامها منذ تم استخدامها لاول مرة فى هيروشيما ونجازاكى من قبل اى من الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى رغم هزيمة الاولى من فيتنام والثانية فى افغانستان. وكان سبب عدم الاستخدام هذا يعود الى انه لا توجد نتيجة سياسية او اقتصادية او استراتيجية تبرر او تجعل مقبولا استخدام اسلحة الدمار الشامل وماتؤدى اليه من دمار لا يمكن تصوره. هذه الرابطة بين السبب والنتيجة لا يوجد مثيل لها فى الجماعات الارهابية سواء كانت القاعدة او غيرها لانها بطبيعتها المتناثرة لاتعرف الالم ولايوجد لديها رأى عام يقبل ويرفض ويحاسب، ولا يوجد لديها رأس يمكن اخافته او تدميره او تحويله من جهة الى اخرى.

ماذا يفعل هؤلاء بعد ان فضوا احتكار الدولة لاسلحة الدمار الشامل، وماذا يفعلون بهذه الاسلحة، وهم لا يوجد لديهم مشاركة فى النظام الاقتصادى العالمى . القضية خطيرة لأن التنظيم الدولي كله قام على اساس من فكرة الدولة ورقابتها وتنظيمها واتفاقاتها، وعندما طاحت عقول الدول ودخلت سباقات مدمرة للتسلح، تدخل العقل الانسانى واوجد اطارات للتفاوض، واطارات اخرى لتقييد التسلح، وتنظيم السباق فيه اذا كان ضروريا، بل وحجبه عن هؤلاء الذين فى عقولهم مس. وماجرى من تقييد تكنولوجيات الصواريخ، او المواد الخاصة بصناعة الاسلحة الكيماوية او النووية تم فقط من خلال اتفاقيات بين الدول ومن اجل دول اما وقد بات الحال الآن لا يتم بين دول او حول دول فإن القضية باتت معقدة حقا ومثيرة للخوف.

إن القضية الآن هى ما الذى يفعله كل ذلك بمصر، ومن المدهش انه خلال عقد كامل لم يكف المثقفون المصريون والعرب عن مناقشة امور «النظام العالمى» الجديد بقدر من الانكار تارة، والاستنكار تارة اخرى، والاتهام تارة ثالثة. ولكن بعد ان استكمل هذا النظام اركانه بظهور عناصر الشر فيه. فإن احدا لم يعد على استعداد لمناقشته والتوقى من شره. بل ان الارجح هو ان كثرة ظنت ان زمن الانتقام الرهيب قد حل، ان انفجار الارض وما عليها هى امور تخص غيرنا، وما علينا الا الصمت والانتظار فإذا الحق يسود، والعدالة تعود، وينكسر الطغيان، ويسود الانسان، ما ذكرناه لا يؤدى الى أى من ذلك، وعلى الأرجح فإننا سنكون اول من يدفع الثمن مالم نشمر عن أذرعتنا ونبدأ فى فهم ما يجرى واتخاذ الاجراءات اللازمة لمواجهته.



مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر : الاهرام العربى

التاريخ : ١٧ نوفمبر ٢٠٠١

فى حكاية ركوب القطارات وأشياء أخرى مهمة!

منذ نشبت الأزمة العالمية الراهنة والتى بدأت فى الحادى عشر من سبتمبر الماضى قضت الظروف بمشاركتى فى عدد من الندوات وورش العمل والمناقشات فى عدد من المدن والعواصم الأوروبية كان منها بروكسل وجنيف واسطنبول وأخيرا لشبونة، وفى كل سفر كان لابد من المرور على مدن أخرى كان منها أثينا وفرانكفورت وأمستردام ولندن. وبالطبع فقد كانت أحداث العالم هى محور كل المناقشات والحوارات، بل كانت هى التى تحتل كل مساحات الصحف وساعات التليفزيون، خاصة أن التطورات كانت تنتقل من مرحلة إلى أخرى بسيولة، وحرارة عجيبة. وهكذا كان متاحا بقوة المقارنة مع نفس الأحاديث والحوارات التى كانت تجرى فى مصر والعالم العربى، والتى وجدت نفسى فيها مع آخرين من خلال اجتماعات كثيرة أضافت إليها الفضائيات التليفزيونية العربية طعما حريفا خاصا.

وعلى سبيل المثال لفت نظرى نقاش حاد ومستمر على مدى الشهرين الماضيين عما إذا كان على مصر أن تركب قطار التحالف الدولى ضد الارهاب أم لا؟ ولا أدرى شخصيا من كان أول من شبه الموضوع بركوب القطار، ولكن ما يهمنا أن التشبيه أصبح ذائعاً للغاية حتى أنه لا ينتهى برنامج من البرامج «الحوارية» إلا ويكون قد أثار موضوع اللحاق بحركة السكك الحديدية العالمية. ولما كان قد مضى بالفعل شهران على تكوين التحالف الدولى وممارسته لعمله من خلال أساليب شتى كان منها الهجوم العسكرى على أفغانستان، بالإضافة إلى إجراءات أخرى عديدة تخص تحضير هذا البلد لمرحلة ما بعد طالبان، ومطاردة الارهابيين فى العالم، ومتابعة حركة الأموال الارهابية، فلم يكن مفهوما أبدا أين يقف المتحاورون العرب وأين تجرى نقاشاتهم وبرامجهم الحوارية، وهل تجرى على الرصيف من خارج القطار، أم أن المشاركين لا يزالون خارج المحطة كلية؟!.

الثابت لدينا، ولدى التحالف الدولى، أن معظم البلدان العربية والإسلامية قد ركبت القطار بالفعل، وأخذت مكانها بين من يتبادلون المعلومات، ومن يخصصون المخابرات، ومن يقدمون حقوق المرور للسفن والطائرات الحربية الذاهبة إلى ميادين القتال، ومن حتى يقدمون القواعد العسكرية التى يدار من بعضها العمليات الحربية. وفى دولة إسلامية واحدة عضو فى منظمة المؤتمر الإسلامى هى تركيا كانت مصممة على المشاركة بالقوات العسكرية حتى لا تتخلف عن الأعضاء البارزين فى التحالف والجالسين على المقاعد الأمامية. من هنا لم يعد مفهوما على الإطلاق لماذا يثير المتحاورون دوما قضية ركوب القطار مادامت دولهم قد ركبت القطار بالفعل منذ وقت طويل، وكلهم باتوا يطالبون بثمن ركوب القطار من خلال حل القضية الفلسطينية أو بالحصول على الشرعية كما هى الحال فى بعض البلاد التى كانت مارقة، او من خلال الحصول على تعويضات «كاش» عن الخسائر الاقتصادية الناجمة عن الحالة العالمية المستعصية.

هنا فإن ما يجرى فى العالم العربى من أحاديث يبدو صعبا على الفهم فى المدن والعواصم الخارجية التى يظهر الموضوع لها وكأنه ضوضاء مزعجة من بعض الركاب الذين قرروا استكمال الحديث والشجار عن جدوى ركوب القطار وهم فى داخله، وهو يقطع بسرعة الصوت والضوء عشرات المحطات التاريخية. والحقيقة أن الحيرة الغربية إزاء ذلك لا تستمر طويلا، فعلى الأرجح أن هناك من سيقول لهم إنهم العرب، يتحدثون شيئا ويفعلون شيئا آخر، ومن يهمس فى آذانهم أن فى



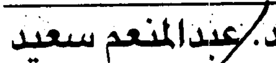
أمة العرب ينفصل الحكام والدول عن النخبة والممسكين بناصية الثرثرة، ومن يريهم بالدليل القاطع أن النخبة لها طرقها فى تجاهل الواقع حتى لا ترى القطار المتحرك متحركا فتخاله ثابتا فى مكانه لا يتحرك ولا يصل إلى هدف.

وباختصار شديد سوف يقال عن العرب ما يقال عنهم فى كل مرة عندما يتغير العالم ويقلب رأسا على عقب. فهم كانوا ضد القطبية الثنائية عندما كانت هى النظام الدولى السائد، ومن بين أمم الأرض جميعا كانوا هم وحدهم الذين يعتقدون باتفاق القطبين عليهم. وطالما وافق السوفيت والأمريكيون على الاعتراف بإسرائيل فلم يعد العالم يعرف شيئاً عن القطبية الثنائية وربما حتى عن الحرب الباردة، وأصبح وجود حلف الأطلنطى أو حلف وارسو مسألة استعراضية لشغل بال الدنيا والناس. وبعد أن انتهت الحرب الباردة فى نظر العالم فإنها لم تكن كذلك بالنسبة لأهل العروبة لأنه لم تكن هناك لدى البعض حرب باردة لكى تنتهى من الأصل، أما إذا كانت موجودة فقد بقيت على حالها لأن الأحوال لا تتغير ما لم يتم تحرير فلسطين. وهكذا جرى إنكار العولمة والكوكبة واعتبرها الكثيرون فى النخبة والصفوة وأهل الفضائيات التليفزيونية نوعا من النصب الدولى المعتبر، ومسألة كلها تهدف إلى تمرير الشرق أوسطية والمتوسطية والسلام المكروه. والآن فإن الصورة ليست مختلفة على الإطلاق، ولدى بعضنا فإن حادثة الحادى عشر من سبتمبر لم تحدث، وإذا كانت قد حدثت فهى لم تحدث للدولة العظمى الأولى فى العالم. وإذا كانت قد حدثت للدولة العظمى الأولى فى العالم فإن ذلك لا يعنى الكثير طالما أنه لم يتم تعريف الارهاب بعد. وإذا كان قد تم تعريف الارهاب من خلال اثنتى عشرة اتفاقية دولية. كما أشرنا فى هذا المكان من قبل. فإن ذلك لا يخصنا وإنما يخص العالم الذى تركب قطاره بينما نتناقش عما إذا كان واجبا ركوب القطار أم لا، ونشترك فى تحالفه الدولى ضد الارهاب بينما نتصارع حول فوائد المشاركة.

وهكذا فإن العالم كله يعيش فى جانب، بينما العرب ومعهم أحيانا بعض من المسلمين يعيشون فى عالم آخر، وبينما يوجد على الجانب الأول توافق إستراتيجى أساسى بين قوى المجتمع السياسية حول ما يجب عمله ويجعل هذه الدولة أو تلك جزءا من حركة الدنيا الاقتصادية والسياسية والثقافية، نجد الثانية تسير مع العالم بجسدها، ولكنها تفقده بروحها. وتكون النتيجة مرة للغاية فلا أحد يثق فى المتراوحين والمتأرجحين والذين لا يعرفون عما إذا كانوا داخل أو خارج القطار. وفى كل المدن والعواصم التى زرتها كان موقف العرب الذائع من الإرهاب يبدو كما لو كان نوعا من التبرير، ونوعا من الانقسام والانشطار عن بقية الدنيا. وإزاء ذلك يأتى رد فعل طبيعى تقوم بعضه على إحياء ودعم نظرية صراع الحضارات، ولكن الصراع لن يكون بين المسيحية البروتستانتية والكاثوليكية من جانب والإسلام والكونفوشية والأرثوذكسية من جانب آخر، وإنما بين كل هؤلاء والعرب. ويقوم بعضه الآخر على تحليلات نفسية ساذجة عن «الحالة العربية» البارعة فى مشاعر الاضطهاد، أما البعض الثالث فتبدو المسألة أبسط بكثير فمن حق العرب ومثقفيهم أن يبقوا خارج القطار ولكن المهم ألا يقذفوه بالطوب.

الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاهرام
التاريخ: ١٩ نوفمبر ٢٠٠١

مصر وأزمة ١١ سبتمبر ٢٠٠١



د. عبدالمنعم سعيد

فى صباح يوم الثلاثاء الأسود الحادي عشر من سبتمبر الماضى دخلت مصر إلى أولى أزمات القرن الواحد والعشرين الكبرى وهى مثقلة بأزمتين :الأولى داخلية اقتصادية نجمت عن مجموعة من السياسات التوسعية غير الحكيمة وأدت فى النهاية إلى الضغط على الموازنة العامة والعملة المصرية ومعدل النمو وفى النهاية قادت إلى أوضاع انكماشية فاقمت بالضرورة الركود الاقتصادى ومعدلات البطالة .والثانية إقليمية نجمت عن انهيار عملية السلام تقريبا بعد صعود شارون إلى السلطة فى إسرائيل واتباعه لسياسة بربرية قوامها العنف وسحق الإرادة الفلسطينية ودفع الفلسطينيين إلى الهجرة من بلادهم .وترتب على ذلك نتائج اقتصادية سلبية حيث بدت منطقة الشرق الأوسط كلها فى عيون الاستثمار العالمى منطقة عدم استقرار لا يأمن فيها استثمار أو مال ومع الاستثمار ذهبت السياحة والسائحين إلى أماكن أخرى فى العالم لا تعرف المواجهة والعمليات الانتحارية والغزو بالدبابات لأراضى تواضع المجتمع الدولى على أنها باتت محررة.

وعندما انفجرت الأزمة العالمية مع تفجيرات أبراج مركز التجارة العالمية فى نيويورك وما تبعها من تفجيرات وأحداث وجدت مصر نفسها وسط أزمة إضافية أكثر قسوة من الأزمتين السابقتين .ومهما كانت التكاليف الأولية على الاقتصاد المصرى ما بين تفجير البرجين وانهيار طالبان فى مدينة قندهار فإن ذلك لا يزيد عن كونه فاتورة أولية مباشرة لا يدخل فيها ما هو غير مباشر وما هو مستمر مع استمرار الحرب ضد الإرهاب وما هو معروف من التكلفة الفادحة للفرصة الضائعة .وكان موقع مصر هاما فى الأزمة لأنها أولا لها مكانتها الإقليمية والدولية والعربية والإسلامية التى لا يختلف عليها أحد وانتظرت الدول العظمى والكبرى منها أن تقود كما قادت دولا وجموعا كما حدث إبان التحالف الدولى فى حرب الخليج الثانية .وثانيا لأن مصر كانت فى الصفوف الأولى لمقاومة الإرهاب منذ عقد كامل وكان لها رؤاها المنذرة التى قدمها الرئيس حسنى مبارك والتى أدرك المجتمع الدولى فجأة أن الاستماع إليها كان كفيلا بتجنيب العالم الأزمة الراهنة.

ولقد قاد الرئيس مبارك بحكمته السفينة ببراعة حين عرف الأزمة بأنها مواجهة مع الإرهاب وعندما أيد التحالف الدولى والإجراءات الأمريكية من أجل القبض على المشتبه فى ارتكابهم جرائم نيويورك وواشنطن وعندما قدم العون المادي والمعلوماتي والأمني للقوات المشاركة فى الحرب فى أفغانستان دون توريط القوات المصرية ذاتها فى المعارك .وبينما كانت دول كثيرة فى العالم- كبيرة وصغيرة- تتاجر برغبتها فى المشاركة بقواتها العسكرية فى الحرب فى محاولة لإرضاء الولايات المتحدة أو لتحقيق مصالح صغيرة فإن مصر كان موقفها واضحا منذ اللحظة الأولى حول المدى الذى تستطيع الذهاب إليه .ولكن وبقدر ما كان ذلك مقدرا فى العالم فإن الضوضاء الصادرة من مصر كانت كبيرة وكم كان مدهشا لكثيرين فى الدنيا ذلك النقاش الحاد السائد فى مصر لأسابيع طويلة حول ركوب قطار التحالف الدولى من عدمه رغم أن مصر كانت فى القطار بالفعل منذ اللحظة الأولى بل لعلها كانت أول من حاول تحريك القطار منذ سنوات طويلة.

هذه الضوضاء النابعة من صراخ جماعات سياسية حول الحرب ضد الإسلام وضد العرب والمسلمين وحالة الافتتان المبالغ به فجأة بمجموعة من السفاحين والقتلة والمنتمين إلى العصور الوسطى شكل ضررا للقيادة المصرية فى التحالف. وبصراحة فإن مصر خرجت من الجولة الأولى فى الحرب ضد الإرهاب بعد هزيمة طالبان فى أفغانستان بدون نفس العائد الذى حققته بعد مشاركتها فى التحالف الدولي خلال حرب الخليج الثانية .وكان ذلك راجعا لأن النخبة المصرية لم تنجح فى تحقيق توافق وطنى حول تعريف الأزمة وحول التعامل معها بل وحتى التقدير الصحيح للظروف المصرية الخاصة .وبشكل ما فإن مصر بدت من الخارج وكأنها فى منطقة حرب سواء كانت الحرب فى فلسطين أو فى أفغانستان .ورغم أن مصر لم تنعم بقدر ما تنعم به الآن من سلام داخلى وخارجى فقد بات عليها أن تدفع فى التأمين على النقل البحري والجوي والسياحة ما تدفعه الدول المتحاربة .وباختصار كانت مصر تدفع ثمن حرب لا تحارب فيها لأن الكلمات كانت منفلتة والشعارات حادة والهياج في الذروة والتمنيات بهزيمة التحالف الدولى غلابة .وربما كان هذا الأمر معتادا فى أزمات عالمية سابقة فقد انقسمت النخبة وحتى الرأى العام إزاء الحرب فى الخليج والحرب في البوسنة والحرب في كوسوفو وقد حدث ذلك سواء كانت الحرب لإنقاذ المسلمين أو لهزيمة المتطرفين الإرهابيين منهم.

ولكن ما كان ممكنا فى الماضى لم يعد ممكنا فى الحاضر الذى أصبحت فيه الكلمات والعبارات والمشاهد تنتقل بسرعة الضوء من بلد إلى بلد ويوجد هناك دوما من له مصلحة فى نقلها نقلا أمينا أو غير أمين. وحينما زارت الولايات المتحدة وفود غير حكومية مصرية من منتدى مصر الاقتصادى الدولى وغرفة التجارة الأمريكية المصرية ومجلس الشئون الخارجية المصرية لشرح وجهة النظر المصرية ودعم العلاقات الأمريكية المصرية القوية بالفعل كانت الترجمات للإعلام المصرى حاضرة .ولم تكن المشكلة فى نقد السياسة الأمريكية لأن هناك من ينتقدها حتى فى الولايات المتحدة ولكن المشكلة بدت فيما بدا تشفيا أحيانا وما بدا دفاعا عن الإرهاب تحت شعارات شتى من جانب أخر وما بدا محاولة لدفع الأمور دفعا لكي تكون مواجهة بين الغرب والعرب والمسيحية والإسلام وهو ما كانت واشنطن تحاول تجنبه بكل الطرق .وكم كانت المفارقة هائلة عندما كانت القاهرة تسعى عن طريق وزير اقتصادها فى واشنطن لكى تحول المعونات الاقتصادية العينية إلى معونات نقدية مباشرة تساعد الخزانة والعملة المصرية فى لحظات العسر الراهنة وفى الوقت نفسه خرج إعلامي كبير لكي يتحدث بصوت متهدج عن وزارة المستعمرات الأمريكية التى تسعى لاستعمار العالم .وهنا فإن الحيرة فى واشنطن كانت واضحة ما بين الاستجابة للطلب المصرى وعما إذا كان ذلك يعد استعمارا أو عدم الاستجابة له وسوف يعد من قبل العائدين من سفينة الماضى نوعا أخر من الاستعمار.

ولكن لحسن الحظ فإن الصورة عن مصر لا يشكلها الإعلام وحده وبالتأكيد نوع معين من الإعلام وإنما تشكلها القيادة المصرية الحكيمة والشعب المصري الذى استعصى تماما على محاولات التهييج والاستثارة وشعارات "تظاهروا تصحوا" التى رفعها البعض بإصرار عجيب .ولعل ذلك يشكل قاعدة هامة للتعامل مع الأوضاع الصعبة الراهنة التى تفاقمت فيها ثلاث أزمات داخلية وإقليمية وعالمية فوق بعضها البعض وبات من الضرورى معها أن تسير الأمور فى مصر بطريقة مختلفة عما كانت عليها في الماضي .وربما كانت المهمة الأولى الملقاة على عاتقنا هى الخروج بمصر من الإدراك العالمى إنها فى منطقة حرب فمصر حررت أراضيها وانتصرت على الإرهاب ورغم انها سوف تقدم العون والمساندة للفلسطينيين وسوريا من أجل تحرير أراضيهم المحتلة وللولايات المتحدة والتحالف الدولى ضد الإرهاب إلا أنها ذاتها ليست أرضا لهذه الحروب .إن ذلك يشكل مهمة استراتيجية من الدرجة الأولى وتحتاج لجهود سياسية وإعلامية خاصة ومن نوع فريد يقع فى المقدمة منها التركيز على قضية البناء الداخلى ومتطلباته فى علاقات مصر الدولية.

إن الوقت لم يعد فيه متسع كبير والأزمات تتراكم الواحدة بعد الأخرى ولا أحد يعرف على وجه التحديد إلى اين سوف تسير الأزمة الراهنة ومتى تنتهي الحرب ضد الإرهاب واين، كما أن أحدا لا يعرف متى تنتهى المواجهة الفلسطينية الإسرائيلية. وهناك قوى خارجية متربصة بمصر وتريد إفساد دورها الدولى ومكانتها الإقليمية وهناك قوى داخلية تنتظر اللحظة التى تتزامن فيها الأزمات الاقتصادية مع الأزمات السياسية الداخلية والخارجية لكى تهدد الاستقرار الداخلي .ولذا فإن التغيير مطلوب فى المضمون والأساليب وفى مقال قادم سوف ننتقل من التعميم إلى التفصيل.



مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر : الاهرام العربى

التاريخ : ٢٤ نوفمبر ٢٠٠١

أسامة بن لادن وطالبان وآخرون

هناك أحداث عالمية تبدو صغيرة ويستغرق الاهتمام بها أياماً وبعدها ينصرف العالم إلى حكايات أخرى قد تكون أكثر أو أقل أهمية، ولكنها فى مجموعها تشكل اتجاها ما قد يكون منذرا، وقد يكون مبشرا. وعندما ثارت الأزمة بين طالبان وبقية العالم حول تماثيل بوذا العملاقة فى باميان، بدا الأمر وكأن الحركة الأصولية قد بدأت فى التغاضى عن حدود كثيرة، والدوس على أصابع أقدام أكثر بثقل وغلظة. وفى شهر أغسطس الماضى عندما قامت الحركة باعتقال أعضاء فى منظمات الإغاثة الدولية واتهامهم بتهمة التبشير بالمسيحية، ورفضها لكل النداءات والرجاءات الدولية، بدا أن طالبان، ومعها أفغانستان تنحدران نحو مواجهة مع العالم لا يعرف أحد متى تحل كالقدر الحتمى والقضاء النافذ. وبعد شهر تقريبا من هذه الواقعة الأخيرة كانت الصخرة الأفغانية قد توهجت ونزلت نارا ولهبا على نيويورك وواشنطن، ويبرز من جوف الجحيم وجه أسامة بن لادن حاملا معه شعارات وإعلانات وبيارق حركة وصلت إلى ذروة القدرة الشريرة ولم يبق بعدها إلا عملية السقوط إلى سفح السفوح.

وربما كانت المسافة الزمنية الفاصلة بين القبض على رجال الإغاثة الدولية والإفراج عنهم بعد تحرير كابول تمثل فصلا من فصول رواية تراجيدية تجد مثالا لها فى كل الروايات التى تتمرد فيها قوى ثورية على الكون وتتخيل أنها يمكنها أن تعيد تشكيله وفق رؤى تبدو لها مثالية تنشر النور والعدل بإفراط مثير.

وفى العادة فإن هذه القوى تكون لديها أحاسيس مبالغ فيها بالقوة نابعة من رؤيتها التى تراها مثالية، وفى معظم الأحيان فإنها تتصور النظام الذى عليها مجابهته على أنها قوى متآكلة وضعيفة ومتهالكة ولن تتحمل ضربة أو ضربتين إلا وتسقط تماماً. وتبدو قصص الثورات العالمية كلها تسير على هذا المنوال، وفى كل مرة تفرز من جوف الظلمات بطلا أو أبطالاً يلمعون كالشهب فى سماء التاريخ يخبطون رؤوسهم فى حوائط الزمان لعلها تتغير وتعيد تركيب نفسها من جديد.

وفى الثورة الفرنسية كان نابليون نجم النجوم الذى سلمت نفسها له أو نجح هو فى الاستحواذ عليها، ولكنه فى النهاية قادها إلى «ووترلو» وينتهى هو فى سانت هيلانه. ويعود النظام الأوروبى - الذى كان آنذاك هو النظام العالمى - إلى عنفوانه. ويتكرر الأمر بحذافيره مع الثورة البلشفية والتى مجدت لينين ومن بعده ستالين كما لم تمجد ثورة قادتها من قبل، وبينما ارتفع نجم الأول إلى مرتبة الآلهة كان الثانى ينزل فى مكانة القديسين، وبعد سبعة عقود أو نحوها من التجربة كانت التماثيل تنهار وسط دوى مخيف، والنجوم تخفى أضواءها حتى لا يبقى منها ما ينهر. ولم يختلف الأمر مع المحاولة الألمانية النازية، وإذا كانت الثورة الفرنسية تؤكد على الحرية والمساواة، والبلشفية على العدالة، فإن هتلر وأقرانه قادوا العالم إلى أسوأ دراميانه فى الحرب العالمية الثانية لكى يجعلوا الدنيا تعمل بكفاءة أكبر بسيادة أعراق تميزت وتفوقت. ولكن السقوط للنجوم والتجربة كان مدويا بدوره، وربما لم نسمع السقوط على نفس الشاكلة مع الثورة الإيرانية فى طهران، ولكن نجمها آية الله روح الله خمينى كان عليه أن يتذوق السم بعد معركة لم يعرف متى يتوقف فيها وأوراقه لاتزال رابحة.

الثورة الأفغانية كان فيها بعض من كل هذا مصبوغة بتجربة أكثر شعوب العالم فقرا وتخلفا، وربما لهذا السبب تحديدا لم تكن تعرف ما هى مقبلة عليه. وعندما ظهر على شاشات التليفزيون أفرادها راكبين للخيل كفرسان قادمين من جوف الماضى لمواجهة أكثر الإمبراطوريات تقدما فى التاريخ، ولا يحملون معهم إلا أسلحة الكلاشينكوف، كانت النتيجة معروفة سلفاً لمعظم العالم اللهم إلا جماعات فى العالم العربى والإسلامى كان لها مع كل ثورة قصة ومع كل بطل رواية. وهذه المرة فقد كانت الثورة هى طالبان القادمة من أكثر ظلمات التاريخ الإسلامى ظلاما، أما البطل فقد كان أسامة بن لادن المليونير الذى لفظ الثروة ليقيم الثورة التى تعيد العالم إلى القرن السابع الميلادى كما تصوره هو وأقرانه.

وإذا كانت كل الثورات الأخرى قد تخيلت حقا أو كذبا أنها تدفع العالم إلى الأمام، فإن ثورة أفغانستان ونجومها كانوا على يقين أن العالم يحتاج بشدة إلى الرجوع إلى الخلف.

ومع ذلك. ولعل ذلك هو المدهش حقا، إن الذين صفقوا لطالبان وأسامة بن لادن وصحبه من الجهاديين والمجاهدين والمجتهدين، كانوا هم ذاتهم الذين صفقوا لبطل آخر هو صدام حسين رغم بعد الشقة بين البطلين اللذين إذا اجتمعا فى بلد واحد كان واحد منهما ثائرا على الآخر. وكما لم يستمع أحد منهم لما يقوله هذا أو ذاك، فإن البطل فى بلادنا هو الذى يزأر بمعاداة أمريكا أو إسرائيل، فإذا فعل حصل على الرخصة التى يذل بها شعبه وأمته فيخصى الرجال ويخفى النساء، ويسحق الأقليات فى معركة العودة إلى العصر الحجرى.

ومما يثير التأمل أكثر كيف تسير مسيرة الإعجاب فهى عادة ما تكون وليدة عمل شائن كغزو الكويت أو ضرب مركز التجارة العالمى فى نيويورك، ومن بعدها يسير السيناريو وفق قواعده المتعارف عليها، فتوضع نهاية النظام العالمى ويولد نظام جديد، وبعدها يقال إن ما تبقى من النظام لن يقدر على المواجهة، فإذا ما فعل يجرى التبشير بتكرار ما جرى فى فيتنام، وينتظر الجميع الحرب البرية، ومن بعدها يصبح الكل خبراء فى القانون الدولى ومعاملة المدنيين الذين صمتوا على ذبحهم من قبل فى مزار الشريف وفى الكويت والجزائر.

وعندما نصل إلى الفصل الأخير يضاف إلى كتاب الأمة فصل آخر، وعندما يتدافع الجمع فى أفغانستان لحلاقة الذقن التى هى واحدة من أبسط حقوق الإنسان، أو لسماع الموسيقى مع اليوم الأول «للتحرير» الجديد، فإن أحدا لا يبدو على استعداد للمراجعة. ولا تبدو القصة قابلة للاكتمال دون معرفة ما الذى جرى لبن لادن، وقد انتظر كثيرون مصير ثورة مشابهة فى أمريكا الجنوبية خلال الستينيات حتى نعرف ما الذى جرى تحديدا لتشى جيفارا، وعندما تم اغتياله فى بوليفيا فإن البطل بدا جزءاً من ملحمة ضاع نبلها مع رياح آلام الاشتراكية التى لم تقدم إنساناً أو تقيم عدلا. وفى كل مرة من المرات السابقة كان النظام يمضى فى طريقه، وبالتأكيد فإنه تعلم الكثير من ثوار فرنسا، وعرف ما هو أكثر من البلاشفة حتى تستوى الرأسمالية على العرش، وحتى ثوار العالم الثالث بعد ثورتهم المجهضة قدموا تنبيها مهما لإمكانية توسيع السوق. فهل كان لدى الثورة الأفغانية وحركة الطالبان وأسامة بن لادن ما يضيفونه لحركة التاريخ؟



مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر : الاهرام الاقتصادى

التاريخ : ٢٦ نوفمبر ٢٠٠١

انتصار «العولمة» على «ضد العولمة» ...!



هل يعد انهيار **طالبان** فى افغانستان وانتصار الولايات المتحدة فى الحرب نوعا من الانتصار للعولمة التى بدت هى موضوع الحرب ؟ هذا التفسير كثيرا ما تردد خلال الاسابيع الماضية منذ حدثت تفجيرات مركز التجارة العالمى فى نيويورك وواشنطن حينما تم فهمها علي أنها نوع من الثورة علي النظام العالمى وحركة العولمة من قبل المظلومين والفقراء ، وخلال الاسابيع الماضية فقد بدا أن **الثورة** قد نجحت عندما أشاعت حالة من التراجع الاقتصادى الكونى فوق التباطؤ الاقتصادى الذى كان موجودا بالفعل وكان جوهر هذا التراجع هو النكوص فى عمليات التبادل التجارى والاستثمار الخارجى ووقعت كل قنوات **العولمة** تحت طائلة اللحظة فكانت شبكة الاتصالات العالمية وفى مقدمتها الانترنت موضوع الاتهام وباتت حركة السفر والانتقال للبشر موقع المراقبة والتشدد واصبحت وسائل الاتصال ذاتها بما فيها من طائرات وسفن ووسائل انتقال سريعة وبطيئة نوعا من النعوش المتنقلة التى تولد نشوة التواصل والانتقال وإنما رعشة الخوف من المجهول وبدا أن حالة نفسية جديدة قد تولدت علي مستوى الكون عندما أصبح الانسان ملتصقا بوطنه إن لم يكن بأسرته المباشرة أكثر من أى وقت مضى وباختصار كانت البشرية تنمكش علي نفسها الي أقوام وأديان وأوطان، بدلا من تلك العملية الجبارة للتواصل والانتقال وتحويل الكرة الارضية الي وطن واحد .

وفى كثير من الكتابات التى برزت مباشرة بعد عمليات التفجير فى الولايات المتحدة تكررت فكرة أن ضرب مركز التجارة العالمى كان بمعنى ما ضربة للعولمة كلها فقد كان يحتوى علي ٤٦ مكتبا تمثيليا لدول من دول العالم وفى لحظة الانفجار الرهيبة كان بين جنباته بشر ينتمون الي ٨٠ جنسية وعينة ممثلة لكل أديان واعراق العالم وفى الايام التالية للانفجارات كانت مشاهد الانهيار فى اسواق المال العالمية ووقوف الطائرات بلا عمل أو طيران علي الممرات فى المطارات العالمية بل حتى الافلاس المباشر لشركات طيران عملاقة مثل **سويس اير** دلالة ليس علي **عولمة** جريحة وإنما **عولمة** تسير نحو الموت وعندما بدأت كل دولة من دول العالم تعيد النظر فى قوانينها الداخلية ذات العلاقة بالهجرة والجنسية والدخول والخروج منها بل وعندما بدأت الطوابير تطول فى المطارات من اجل التفتيش والبحث والتنقيب كان واضحا



ليس فقط أن العالم لم يعد كما هو بل ان مسيرته التاريخية المظفرة نحو عالم واحد قد انتابتها سكتة قلبية حادة . وبالتأكيد فانه عندما بدأت الضربات الجوية الامريكية علي افغانستان وبدا أن حربا جديدة

أصبحت هى عنوان السياسة العالمية فان ذكريات عالم يقوم على التعاون والعزة الاقتصادية بدا لأسابيع ينتمى إلى ذكريات ماض ولى وراح.

ولكن أصالة الظواهر لاتثبت إلا فى مواجهة المحن وبقدر ما كان الاختبار قاسيا ومشهده مؤلما سواء كان فى نيويورك أو قندهار فإن رد **العولمة** بعد شهرين من الحادث أظهر قدرتها علي الخروج من الرماد والميلاد من جديد **فأولا** ظهر أن العالم لم يكن متحدا من قبل كما اتحد فى مواجهة الارهاب فبعد فترة قصيرة كانت هناك ٣٦ دولة علي استعداد للمشاركة فى العمل العسكرى ضد قواعد ارهاب **القاعدة** فى افغانستان وكانت هناك ٤٤ دولة علي استعداد لتقديم حقوق عسكرية لمرور القوات وتسهيلات لوجستية أما بقية دول العالم فقد قدمت قدر الطاقة من المساعدة بالمعلومات ومتابعة المصادر المالية للارهابيين **وثانيا** وفيما عدا جماعات قليلة فى العالم العربى والاسلامى فان شعوب العالم كلها كانت مؤيدة للمقاومة ضد الارهاب ولم يكن هناك تفسير لتلك الحالة من التأييد الكبير من قبل دول مثل الصين وروسيا إلا أن اعتبارات العولمة الجيو اقتصادية قد تغلبت علي اعتبارات الخصوصية ذات الاعتبارات الجيوبولتيكية وحتى بالنسبة للجماعات الدينية والقومية الأصولية فى العالم الاسلامى التى حولت التأكيد من جديد علي فكرة **صراع الحضارات** فقد نجحت فى البداية فى اطلاق عدد من المظاهرات ولكن فى أسابيع انتهى كل ذلك واختفى رغم أن الصيحات والمحاولات لم تتوقف ولعله كان مدهشا للغاية أن القضية الفلسطينية التى حاول اسامة بن لادن وصحبه فى افغانستان وخارجها استغلالها كشعار مضاد للعولمة وجدت أن القيادة الفلسطينية المسئولة ترفض هذا الاستغلال وتضع نفسها فى صف التحالف الدولي لأنها تعتقد ببساطة أن فرصة الحصول علي الحقوق الفلسطينية فى ظل العولمة سوف تكون أكبر بكثير منها فى حالة انتصار القوى المضادة لها **وثالثا** فانه بعد شهر تقريبا من الذهول الاقتصادي العالمى فقد ظهر أن الزخم وراء حركة الاقتصاد العالمى أكبر من أن توقفه ضربة كتلك التى حدثت فى نيويورك وبعد بضعة اسابيع من التراجع بدأت أسواق المال العالمية الكبرى فى الانتعاش مرة أخرى ووقت كتابة هذا المقال كان مؤشر داو جونز فى نيويورك يشير إلى العودة الي المستوى الذى كان عليه قبل الحادى عشر من سبتمبر الدامى .

ورابعا ولعل ذلك يشكل أهم العلامات علي الضربة المضادة للعولمة فقد كان انعقاد مؤتمر منظمة التجارة العالمية فى الدوحة بقطر ، وكان

لهذا الانعقاد أكثر من معنى فقد انعقد المؤتمر رغم تصاعد الدعوة الي الغائه بسبب الظروف العالمية الراهنة وحالة الحرب فى افغانستان وكان ذلك اشارة الى التصميم علي الحفاظ علي جوهر القضية المتحارب عليها فى العالم فاذا كانت العولمة هى الهدف فان انعقاد مؤتمر ابرز رموزها خلال السنوات الماضية وهى منظمة التجارة العالمية يمثل ضربة مضادة قوية لاشك فيها وجاء انعقاد المؤتمر فى عاصمة عربية هى الدوحة وفى بلد اسلامى يشغل حاليا رئاسة منظمة المؤتمر الاسلامى وعلي مسافة ليست بعيدة من مواطن ميلاد اسامة بن لادن فى المملكة العربية السعودية المجاورة لكى يدل على أنه مهما تنوعت الثقافات فان اقترابها من العولمة واحد .

ولعله من المدهش للغاية أن ينجح مؤتمر الدوحة فى دولة عربية اسلامية من دول العالم الثالث فى التوصل الي توافق دولى علي البيان الختامى بينما فشل ذلك تماما من قبل فى مؤتمر سياتل فى قلب العالم المتقدم ولايمكن تفسير ذلك بغياب القوى المضادة للعولمة التى دمرت شوارع المدينة الجميلة على الباسفيك فقد كان صوتها حاضرا بقوة فى المؤتمر سواء من خلال مؤتمرها الذى عقدته لمناهضة العولمة فى بيروت أو من خلال سفنها الواقفة فى المياه الاقليمية القطرية .

هذا النجاح الذى تم بالتوافق علي البيان النهائى ليس بالامر الهين فهو من ناحية استأنف مسيرة العولمة التجارية مرة أخرى والتى كانت قد اصيبت بنكسة كبيرة فى مدينة سياتل ومن ناحية أخرى شكلت استجابة للتحدي العالمى الراهن المتمثل فى أزمة عالمية أمنية كثيرا ما تدفع الدول للانكماش علي نفسها .

ومن ناحية ثالثة فانها اعادت الامور الى نصابها من حيث أنها أعادت الي ساحة التفاوض بين الدول مجموعة كبيرة من الخلافات التى تشكل كلها عقبات فى وجه التجارة الدولية فليس صحيحا مايثيره كثيرون من أعداء العولمة من أن الخلافات بين الدول الفقيرة والدول الغنية بل وبين الدول الغنية ذاتها تعد دلالة علي فشل العولمة وعدم إمكانية تحقيقها بعدالة بين الدول فالحقيقة هى أن وجود منظمة التجارة العالمية كان هدفه الاساسى هو التغلب علي هذه الخلافات من خلال عملية منظمة للتنازلات المتبادلة تتم اساسا علي مائدة التفاوض وليس من ورائها ومن خلال عمليات للضرب الاقتصادى التى تقوم بها كل دولة ازاء الدول الاخرى . ان الهدف الاساسى من أية عملية تفاوضية هو ادراك كل طرف لمصالح الدول والاطراف الاخ رى ومن ثم السعى والعمل من اجل توافقها.

إن هذه العملية بدورها عملية طويلة للغاية وربما لايماثلها فى القدر

والوقت إلا ما يحدث بالفعل داخل الدول المختلفة ، فعملية التوصل الي قانون عادة ماتتطلب عملية تفاوض اجتماعية طويلة تتم بعضها عبر أجهزة الاعلام وبعضها الاخر فى المجالس التشريعية وبعضها الثالث من خلال التعبيرات السياسية فى المجتمع التى تأخذ شكل الاحزاب أو النقابات أو الجمعيات المدنية بشكل عام وربما كان قانون الايجارات للأراضى الزراعية وقانون ايجارات المساكن يمثل مثالا واضحا علي ذلك داخل دولة واحدة فقد اقتضى الامر نوعا من التفاوض الاجتماعى استمر لسنوات حتى صدر قانون ايجارات الاراضى الزراعية وتم تطبيقه بعد فترة سماح قدرها ثلاث سنوات لتوفيق الاوضاع أما قانون ايجارات المساكن فلايزال فى دور التفاوض الاجتماعى الذى سمح ببعض الاصلاحات الجزئية منها إطلاق حرية التأجير للمساكن الجديدة وتعديل ايجارات المحلات وفق جدول زمنى ونسب معينة .

شيئا من هذا يحدث علي الساحة الدولية فالقضية ليست وجود الخلافات بين الدول النامية والدول المتقدمة حول الملكية الفكرية أو بين الدول المتقدمة حول سياسات دعم المحاصيل الزراعية ولا الخلافات بين الجميع حول موضوع الادوية والبيئة وإنما القضية هى جلوس الجميع علي مائدة مفاوضات واحدة والتعامل مع كل هذه القضايا بجدية تامة اذا ما حدث ذلك ودون خروج أحد عن الموضوع أو استخدام القوة المسلحة أو الصراع الاجتماعى الدولي كما حاولت بعض القوى السياسية فى مصر بصدد قانون ايجارات الارض الزراعية فان الامر يقضي فى معظم الاحوال سلسلة من الحلول الوسط وتجزئة الحل عبر مراحل زمنية طويلة بعد دعم المتضرر ومساعدته على اللحاق والمشاركة مع الآخرين .

وبهذا المعنى فقد نجح مؤتمر الدوحة واعاد العولمة الي مسارها مرة اخرى رغم الظروف العالمية الصعبة ومع ذلك فربما لايزال من الصعب الحديث عن انتصار العولمة ليس فقط لأن الحرب ضدها لاتزال جارية ولم تنته بعد حتى بعد تراجع أحوال جماعة طالبان فى أفغانستان ولكن المهمة الاساسية للعملية لايزال أمامها الكثير لانجازها فالمهمة هى ادراج الغالبية الساحقة من البشر فى العملية الانتاجية والاستهلاكية استنادا الي بنية حضارية قابلة للثقافات المتنوعة وقد باتت هذه المهمة مغرضة لتحد كبير منذ أحداث الحادى عشر من سبتمبر الماضى من حيث أنها أفضت الي كثير من التغيير داخل الدول وبينها ، وعلينا أن ننتظر نتائج ذلك لفترة أبعد من الفترة القليلة السابقة رغم اثبات العولمة قدرتها علي البقاء والاستمرار وربما لن يكون الانتظار طويلا !

الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر : الاهرام الاقتصادى
التاريخ : ٣ ديسمبر ٢٠٠١

نكسة كبيرة للحضارة الإنسانية

إذا كان مقال الأسبوع الماضى قد أشار الى وجود مؤشرات على انتصار العولمة على القوى المضادة لها، فإنه لا يمكن إغفال ان الحضارة الإنسانية كلها قد تعرضت لنكسة كبيرة سواء انتصرت العولمة أم لم تنتصر من جراء أحداث الحادى عشر من سبتمبر الماضى وماتليها من تداعيات. والمقصود هنا بالحضارة الإنسانية مجموعة القيم المشتركة للبشر والتى تطورت عبر القرون لكى تعلى من قدر الانسان وحريته مهما كان عرقه أو دينه أو لونه أو مكانه على الكرة الارضية. وقد يظن الكثيرون أن هذه القيم «الإنسانية» كانت موجودة منذ وقت طويل لأن الديانات السماوية دعت اليها، ولكن الحقيقة أن هذه الدعوة لم تمنع محاولات بعض البشر من تدمير الآخرين، أو إخضاعهم للسلطة الغاشمة للدولة، أو لحاكم، أو لمستعمر، بل إن جزءا لايستهان به من التاريخ البشرى، أو مايقرب من خمسة آلاف عام مضت، وهناك بعض البشر عبيد للبعض الآخر، يباعون ويشترون في الأسواق، تماما كالسلع والبضائع.

وخلال نفس الفترة فإن سيطرة شعب على آخر كانت من الأمور العادية التي تحدث كل يوم، وفى بعض الأحوال كانت تحدث حالات من الإبادة الجماعية كما حدث خلال الحرب العالمية الثانية تجاه الروس واليهود والغجر، بينما تصعد امبراطوريات على حساب الأخرى. وكانت مسألة الموت الجماعى لجماعات بشرية نتيجة الفقر والجوع والمجاعة، أو الطاعون، أو أى نوع من الأمراض من القضايا التي لا يهتم بها أحد، فذلك كان يعد لدي البشرية من الأمور «**الطبيعية**» التى قررتها قوانين «**الطبيعة**».

وخلال الفترة الغالبة من التاريخ البشرى كان البشر عامة يحاكمون من خلال قوانين محلية، بعضها كان قبليا، والآخر عشائريا، وحتى عندما قامت الدولة «**القومية**» وأقامت القوانين، فإنها جعلت ذلك دوما خاصا بمواطنيها، وفى بلاد أخرى لم تعرف فكرة المواطنة، يخص رعاياها. ورغم دعوات كثيرة للمصلحين وأصحاب النيات الطيبة فإن النظر إلى الإنسان كمواطن فى كوكب الأرض له نفس الحقوق والواجبات بغض النظر عن أى من صفاته الشخصية مثل اللون أو الدين أو العرق تأخر حتى القرن التاسع عشر فبعد الثورة الأمريكية

والثورة الفرنسية وانتشار الأفكار الليبرالية فإن أشكالا للقانون الدولى أخذت في التشكل البطئ ، ومع التطور الذى حدث في القانون الدولى في وقت السلم وفى وقت الحرب ، وظهور المنظمات الدولية كعصبة الامم والامم المتحدة ومحكمة العدل الدولية، فإن جسدا كاملا للقانون على مستوي العالم أخذ فى التشكل.

ورغم ذلك فإن مسيرة القانون لكى يكون شبيها بذلك القائم داخل الدول لم تحدث نتيجة تمسك الدول بسيادتها، ووجود التفاوت الضخم في أوزان الدول التى ابتعدت بذاتها عن تطبيقات القانون او حتي اللجوء الى المنظمة العالمية لمعالجة صراعاتها الدولية مثلما فعلت الولايات المتحدة فى فيتنام.

ومع ذلك فان العقد الأخير على وجه التحديد عرف تطورا كبيرا وقفزة واسعة فى عولمة القيم الإنسانية عامة والقانونية خاصة، وكان ذلك راجعا لكثافة العولمة الاقتصادية، والأهم الاتصالية التى جعلت المعرفة بأحداث العالم تتم في التو واللحظة وتخلق اهتماما عالميا يدعو إلى العمل السياسى، ورغم وجود مايسمى بالقانون الدولي الإنسانى منذ فترة طويلة للتعامل مع مجرمى الحرب والمتهمين بإبادة الجنس البشرى، إلا أنه لم يحدث أنه صار له من الفعالية والقابلية للتطبيق كما حدث خلال العقد المنصرم . وكانت النتيجة الطبيعية لذلك هو إنشاء المحكمة الدولية الجنائية الدولية التى جاءت الموافقة عليها من قبل المجتمع الدولى ممثلة لقفزة حضارية كبرى لاتقل إطلاقا عما حدث فى القرن التاسع عشر من إلغاء كامل للعبودية على النطاق العالمى. ولم يتم تشكيل هذه المحكمة فجأة ، وانما جاءت استنادا إلى تطور طبيعى عندما سبقها تشكيل المحكمة الدولية لمحاكمة مجرمى الحرب فى يوجوسلافيا ومثيلتها التى خصت أعمال القتل والإبادة الجماعية وجرائم الحرب فى رواندا وبوروندى.

إن هذا الجسد المتراكم للقانون الدولى الإنسانى، وما أشاعه من ضرورة احترام حقوق الإنسان، كان كسبا للحضارة كلها، ولم يكن يقلق منه ويتوجس إلا الطغاة والمستبدون الذين هدد القانون هيمنتهم المطلقة على مصائر رعاياهم. وبدأ القرن الحادي والعشرون وكأنه سوف يكون في النهاية قرن إقرار المواطنة البشرية لكوكب الارض، يتمتع فيه المواطنون بحقوق متساوية فى كافة أرجائها. وبفعل العولمة الاقتصادية تكون لهم حقوق العمل والتملك والتمتع بالهوية الثقافية فى أركان الدنيا المعمورة، وربما خارجها ايضا. أو هكذا على الاقل كانت الصورة التي سعى اليها العالم، بل بات هناك مجال لمزيد من الأحلام الإضافية ممثلة في محاولة الاستئصال الجماعى للفقر، فعملية الإنتاج الضخمة باتت تحتاج إلى أسواق واسعة بأكثر مما تتمكن الدول المتقدمة من توفيرها ، وبالتالى أصبح ضروريا العمل من أجل إدخال أعداد غفيرة من الفقراء إلى ساحة الإنتاج والاستهلاك العالمية.

كل ذلك تعرض لضربة موجعة، ونكسة بالغة بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر الماضي ، وكأنه مع انهيار البرجين فى مركز التجارة العالمى بجزيرة مانهاتن في نيويورك، تعرضت الحضارة البشرية كلها

لعملية انهيار مفاجئ. وبالتأكيد كان للحدث خسائر بشرية ومادية كبيرة، ولكن ربما على المدى الطويل فربما تكون الخسارة الأعمق هي ما جرى للقيم الإنسانية. **وربما نستطيع أن نتبين مقدار الخسارة والنكسة التى تعرضت لها الحضارة البشرية من حالة الفرح والسرور أحيانا، والشماتة أحيانا ثانية، من التعبيرات التى يستخدمها أنصار الأفكار الأصولية والشمولية والمتطرفة عامة في وصف ماجرى في الولايات المتحدة من إصدار عدد من القوانين المقيدة للحريات على أنه رجوع بالولايات المتحدة إلى مستويات العالم الثالث**. وبشكل يكاد يكون متطابقا فى كل المقالات والكتابات والأحاديث التليفزيونية نجد مع قدر غير قليل السرور والتماع العيون أنه لم يعد يحق للولايات المتحدة أن تتباهى علينا بعد الآن وتعايرنا بتخلفنا واستبدادنا، وكأن موضوع الحرية وحقوق الإنسان لايخص سوى أمريكا والغرب، وجاءت الفرصة لكى تتساوى الرءوس فى الظلم.

إن هؤلاء جميعا لم يدركوا بعد حجم الضرر الذي سوف يقع على بلادهم نتيجة الإجراءات والقوانين الأخيرة فى الولايات المتحدة والخاصة بإجراءات التحقيق والمراقبة والمحاكمة التى تعود بالولايات المتحدة إلى المرحلة المكارثية ، أوماهو قريب منها. فالقانون الطبيعي والإنسانى في العادة تم تطويره لحماية الإنسان من الأقوياء والأغنياء والأكثر قدرة بشكل عام، وبالتالى فإن الضحية الأولى لأية تغييرات فى القانون الدولى الإنسانى، أو في القوانين المتعلقة بالحريات فى الولايات المتحدة والدول الغربية فإنه سوف يضر بالأساس الدول الفقيرة ودول العالم الثالث فى العموم، والعرب والمسلمين بوجه خاص. **فمن ناحية فقد ارتفع برقع الحياء عن الطغاة والمستبدين فى العالم الثالث**، وكما رأينا من كتابات ممثليهم فإن الطريق قد بات مفتوحا أمامهم لمزيد من القهر لمواطنيهم طالما أنهم يقومون بدورهم في حماية الدول المتقدمة من الإرهاب.

والحقيقة أن الزعيم اليوجوسلافي ميلوسيفيتش لو كان قد ارتكب جرائمه ضد مسلمى البوسنة وكوسوفو الآن وليس فى العقد الماضى لربما ما اهتم أحد من الجماعة الدولية.

ومن ناحية ثانية فإن مخالفات القانون الخاص بقواعد الحروب ومعاملة المدنيين أثناء القتال، وكلها موجودة في العالم الثالث، زادت زيادة هائلة خلال الأسابيع الاخيرة. من يراقب الحرب الافغانية وماجرى فيها من فظائع قامت بها قوات طالبان أولا، ثم لحقتها قوات تحالف الشمال بعمليات مخزية لقتل الأسرى قتلا جماعيا، فسوف يجد من الصمت العالمى على هذه الفظائع مايظهر قدر النكسة التى تعرضت لها الحضارة الإنسانية. وربما كانت أهم نتائج أحداث الحادى عشر من

سبتمبر أنها حفرت خندقا ضخما بين عالمين أحدهما يتمتع بقوانين الحضارة وهو يقع أساسا في الغرب ومن يتفاعل معه اقتصاديا وسياسيا فى الصين وروسيا والهند واليابان، أما الآخر «**البربرى**» فإنه لايصح أن يتمتع بمنتجاتهم القانونية ، بل والمادية ايضا ، طالما أنه لا يعترف بها أو يتحمس لها فى المقام الاول. وربما لم تكن هناك مصادفة كبيرة عندما جرى التوسع في نشر وإذاعة الأخبار والصور حول الفظائع التى ارتكبتها طالبان وقوات التحالف الشمالى ضد المدنيين والاسرى، طالما أن كليهما ينتمى الى حضارة إسلامية واحدة !!

ومن ناحية ثالثة، وربما تكون هذه أخطرها على المدي الطويل، فإن صدور القوانين الجديدة الخاصة بالمحاكم العسكرية، وإجراءات المراقبة وغيرها، بل والدعوات المتتالية الآن من اجل استخدام التعذيب لاستخلاص الاعترافات، كلها موجهة نحو جماعات عرقية بعينها، ربما يكون ذلك مقدمة لأن يكتفى العالم المتقدم بذاته أخلاقيا وسياسيا واقتصاديا. أما المهمشون بالفعل من دول العالم الثالث ، والذين لايشاركون بالكثير فى إنتاج العالم واستهلاكه، فإنه لاتوجد هنا حاجة للتعامل معهم بنفس القيم. إذا كانت الهند والصين ، وكلاهما يمثلا القدر الأعظم من البشرية وأسواقها الصاعدة ، يباركان الحركة الغربية، بل إنهما يزايدان عليها فى إجراءات الدخول والخروج، والقبض والتحقيق، فإن ما تبقي من العالم الثالث يمكن ضربها او تركها لمصيرها.

واذا كانت هناك مشكلة فى النفط والمواد الأولية فإنه يمكن الحصول عليها بالقوة المسلحة.

لهذا كله فلا ينبغى أن يفرح الفارحون بما أصدرته الولايات المتحدة من قوانين، أو حتى يفركون أيديهم استبشارا بأن الولايات المتحدة قد صارت دولة من دول العالم الثالث، فالقضية أكبر لأنها فى جوهرها نكسة كبرى للحضارة الإنسانية كلها سببتها عمليات التفجير فى الحادى عشر من سبتمبر

هذه العمليات فجرت معها طاقات هائلة للخوف وانعدام الأمان التى ساعتها تطلق نوبات من الاجراءات التي تعيد البشرية كلها خطوات إلى الوراء. ولذلك فإن القضية الجوهرية خلال الشهور- إن لم تكن السنوات المقبلة القادمة - سوف تكون عودة الأمان مرة أخرى إلى الكوكب ، فربما ساعتها سوف يكون ممكنا أن تستأنف الحضارة الإنسانية مسيرتها التى قطعها الارهابيون.



المصدر: الاهرام العربي
التاريخ: ٦ ديسمبر ٢٠٠١
مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

خمسون عاما فى الرمال المتحركة

عنوان المقال هو العنوان الذى اختاره السيد محسن العينى رئيس وزراء اليمن الأسبق لمذكراته وألحقه بعنوان فرعى هو «قصتى مع بناء الدولة الحديثة فى اليمن»، لكن القصة أكبر من ذلك فمن خلالها نتعرف على نصف قرن من العلاقات العربية - العربية، والأكثر أهمية على تفاعلات الثورة والثوار العرب التى كانت أشبه بالرمال المتحركة التى تجرف الإنسان وتبتلعه فى جوفها الناعم للغاية. حدث هذا فى الكتاب الذى يحذرنا مؤلفه منذ البداية من أنه ليس قصة الحركة الوطنية اليمنية، ولا قصة الثورة والجمهورية، ولا قصة القديم والجديد فى اليمن، ولا قصة العلاقات بين جنوب اليمن وشماله، ولا قصة الشباب والمشايخ والضباط ولا قصة العلاقات اليمنية - السعودية أو المصرية، ولا قصة علاقات اليمن بدول الشرق أو الغرب أو المنظمات الدولية، ولا شأن لها بقضية الوحدة العربية، أو حرب الخليج وما أسفر عنها. فهى لا تزيد ولا تنقص، كما يقول السياسى العربى الكبير على كونها «نصف قرن فى حياة مواطن» شهد أحداثا ملتهبة.

هذا التحذير جاء كنوع من التحفظ الذى يحتاط به المؤلف لما قد ينجم عن قراءة مؤلفه الذى أصدرته دار النهار اللبنانية، فهو من الصفحة الأولى يبدو متشائما من نتاج عمله المهم الذى قدمه كنوع من تسجيل المواقف، ربما إرضاء لنفسه، إنه قال كلمته ومشى، وربما إرضاء للتاريخ الذى قد يأتى فيه من هو على استعداد لاستخلاص دروس تجربة ثرية. وسواء كان الأمر هذا أم ذاك، فإن الحاضر لا يوجد فيه ما يدعو للامتنان سوى أن الله قد أكرمه «فحماه من الاعتقال والسجن والتعذيب والامتهان»، وهو يأتى إليه مترددا فى الكتابة «لأن كثيرين لا يقرأون، والذين يقرأون يحبون أن يقرأوا ما يوافق هواهم، وإذا قرأوا شيئاً آخر، فليسوا على استعداد للتفكير فيه، وتفهمه، والتسامح مع كاتبه».

ومع ذلك فإن الكتاب يستحق القراءة خاصة فى هذه الأيام التى يستعيد فيها كثيرون كل مفردات عصور «الرمال المتحركة» ويعيدون إنتاجها فى طول الوطن العربى وعرضه وبحماسة ظاهرة. فقد كان الرجل فى قلب الأحداث وعين العاصفة التى مرت بالمنطقة ولاتزال تلقى بأثقالها على أحوالنا الحاضرة، وجاء إليها من تجربة إنسانية اكتسبت تفردها من روايته لها، رغم أنها على الأغلب كانت متكررة لدى جيل كامل من ثوار العرب الذين انتفضوا بحثا عن التغيير لأوطانهم والوطن العربى وربما العالم بأسره. ولكن رئيس الوزراء الذى تقلد كل الوظائف السياسية والدبلوماسية الكبرى فى اليمن أتى إلى رواية الأحداث بتواضع كبير غير مألوف فى الروايات الثورية، فهو يقول لنا منذ البداية، وحتى لا يظن به أحد الظنون «إنها قصة من لا يزعم أنه مناضل أو زعيم... سياسى أو دبلوماسى»!

هذا التواضع لا ينبغى له أن يفاجئ أحدا، فلمن أتيحت لهم فرصة التعرف إلى السيد محسن العينى، حتى ولو لفترة قصيرة، وجد فيه هذه الصفة يضاف إليها قدر عظيم من السماحة والقبول وقصر الكلام والنفاذ إلى أصول المسائل، وهى صفات ليست متداولة بكثرة بين السياسيين العرب من هذا الجيل الذى كان على موعد مع القدر. ولكن التواضع ربما كان له سبب آخر، فمن يقرأ الكتاب بإمعان سوف يجده موجها إلى الجيل الحالى من الثوريين العرب مقدما التجربة بعين الذى يعلم أن علاقة الجيل



بالقراءة لها حدود معلومة، وعلى الأرجح أنه يندفع فى اتجاه الرمال المتحركة معصوب العينين، لكن الواجب «نحو أبنائنا» والشرف والأمانة التاريخية تقتضى قول الكلمة، فرغم «كل التظاهرات والانقلابات والثورات والتضحيات، فإن واقعنا اليمنى والعربى سيء. سيء باعتراف الجميع. من المسئول عن هذا؟».

كان هذا هو السؤال، وكانت تلك هى المسألة التى لا يواجهها مؤلفنا مباشرة، ولكنه يترك الأحداث تجيب عنها وبغزارة شديدة فى المعلومات والتفاصيل منذ ولادته فى بداية الثلاثينيات فى قرية الحمامى قرب صنعاء حيث كانت حياة الفقر والتخلف والظلم ثم مسيرة طويلة امتدت حتى التسعينيات كانت كأنها مسيرتان، الأولى مسيرة الثورة على الواقع فى إطار الفكر القومى العربى البعثى، والثانية مسيرة العلم والاطلاع على الواقع اليمنى والعربى والعالمى، وما بينهما من توتر لا يخفى على القارىء الذى يقرأ ويتفهم، وربما يصل إلى النتيجة التى يبدو أن المؤلف كان متخوفا كثيرا من وصول القراء إليها فأراد منذ البداية العفو والمغفرة. ولكن ضرورة الصدق لها أحكامها، والقصة فى النهاية «قصة مواطن عادى» صعد من السفح إلى القمة وما أن وصلها لم يجد فيها إلا خراب التخلف والاستبداد.

نظريا كان الرجل مع كل المبادىء الثورية للفكر القومى العربى، ولكنه عمليا من موقع السياسى كان عليه التعامل مع واقع معقد، وفى الحالة اليمنية كان قبليا متخلفا بأكثر من كل حدود التخلف فى بقية الأمة ذات الرسالة الخالدة، وما بين النظرية والتطبيق كان على العينى دوما أن ينحاز إلى ما هو عملى ومنجز ومنتج، ولكنه كان عليه فى ذات الوقت سواء كان فى القاهرة أم دمشق أم صنعاء أن يتعامل مع مزايدة كبرى على الواقع متسلحة بأفكار نظرية تتصل بالعاصمة التى يوجد فيها. وفى حالة مصر التى كان عليها تقديم العون للثورة اليمنية كان على الرجل أن يواجه حالة من البيروقراطية الثورية المفارقة تماما للواقع اليمنى، لكنه فى الوقت الذى ينتقد فيه ذلك برفق لا يخلو من الأسى والشجن، فإنه يقع فى ذات المحظور الذى وقع فيه كثير من الثوار العرب إزاء القاهرة التى انبهروا بها وبما فيها من طاقات وإمكانات وظنوا أن وضعها تحت تصرف الأمة سوف ينقذها ويقودها إلى تحقيق كل أهدافها دون تعرف كاف على أعماق مصر كلها وما تحتاجه هى ذاتها من إمكانات وطاقات حتى تخرج من تخلفها الخاص.

ويتدهور الأسى والشجن لكى يصل إلى حالة من الحزن العميق عندما يكتشف الرجل القادم من اليمن قبل كل شىء آخر، أن اندراجه فى حزب البعث كان كافيا لإبعاده عن القاهرة، فالرئيس الخالد كان على استعداد على حد قوله لكى يضع يده فى يد بن جوريون ولا يضعها فى يد بعثى. وبالتأكيد أن ذلك كان تعبيرا عن الغضب والمرارة وليس تعبيرا عن الحقيقة، ولكنه كان كاشفا لمحسن العينى أن حدة الفراقة بين الثوريين العرب كانت كبيرة وعميقة وكافية لإجهاض التجربة كلها.

وكان ذلك إجابة عن السؤال، ولكنه ليس الإجابة الوحيدة على أية حال!!



د. عبد المنعم سعيد



المصدر : الاهرام العربى

التاريخ : ١٥ ديسمبر ٢٠٠١

مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

لمن يهمه الأمر...!

فى أوقات الأزمات الكبرى تتعلق الأنظار دائما بما هو حادث إلى الدرجة التى قد يتم فيها إغفال أمور أخرى لا تقل أهمية من حيث آثارها المستقبلية.

والآن فإن كل الأنظار المصرية والعربية لاتزال معلقة بالأحداث الجارية فى أفغانستان وفلسطين، لكن تطورات إستراتيجية كبرى سوف تجرى بالقرب منا، ولا تجد من يهتم بها، ويتعرف على ما ترتبه من نتائج. ففى الأول من يناير القادم سوف يبدأ التنفيذ والتطبيق فى اثنتى عشرة دولة أوروبية لفكرة العملة الموحدة «اليورو»، وبالتالى سوف تسقط من ذاكرة التاريخ عملات عريقة مثل الفرنك الفرنسى، والمارك الألمانى، والجيلدر الهولندى، بالإضافة إلى قائمة أخرى من العملات الأقل عراقة مثل الليرة الإيطالية، والبيزيتا الأسبانية، والدراخمة اليونانية. وفى ذات التاريخ سوف يبدأ الإعداد لضم أول مجموعة من الدول فى وسط وشرق أوروبا، وعددها أربع دول من بين اثنتى عشرة دولة من المقرر انضمامها خلال السنوات المقبلة حتى عام 2006 إلى الخمس عشرة دولة أعضاء حاليا فى الاتحاد الأوروبى.

إن هذه التطورات سوف تشكل انقلابا إستراتيجيا غير مسبوق فى منطقة البحر الأبيض المتوسط، وفى العلاقات بين شمال البحر وجنوبه، ولأول مرة فى التاريخ سوف تكون هناك سلطة مركزية واحدة للقرار الاقتصادى فى القارة الأوروبية بأكملها. ويحدث ذلك فى الوقت الذى تنمو فيه فعاليات توحيد السياسات الخارجية والدفاعية للدول الأعضاء، رغم أن ذلك قد لا يعنى بالضرورة تكوين دولة فيدرالية أوروبية فى المدى القريب، لكن الشاهد على الأحداث هو أن أوروبا وقد وصلت إلى هذه الدرجة من الاندماج، لن تكون بعيدة فى تصرفاتها عن سلوكيات الدولة الفيدرالية الواحدة.

إن ذلك لا يعنى انقلابا إستراتيجيا فقط عندما تختل موازين القوى فوق اختلالها الحالى، بل إنها - على الأرجح - سوف تؤدى إلى إضعاف القدرات التنافسية للسلع والبضائع والخدمات العربية، واحتمال تحويل الموارد التى يوفرها الاتحاد الأوروبى إلى دول الجنوب من خلال برنامج المشاركة المعروف ببرنامج إعلان برشلونة. وربما كان الأهم من تحويل الموارد هو تحويل الاهتمام بقضايا الجنوب إلى قضايا وسط وشرق أوروبا، خاصة مع الروابط الأمريكية العميقة لهذه الدول ورغبتها فى الالتحاق بحلف الأطلنطى، ومن ثم يوجد تحيز أمريكى وإسرائيلى لديها فى النظر إلى قضايا الشرق الأوسط.

لكن أيا كانت الآثار الإستراتيجية للأوضاع الأوروبية الجديدة، فإن مراقبة هذه الأحداث ووضعها فى مسارها التاريخى، هو الذى يعطيها معناها وثقلها فى اللحظة الراهنة وفى المستقبل. وبالتأكيد فإن المثابرة فى النموذج الأوروبى كانت هى التى تقف وراء النجاح الذى تم بانتهاء الحرب الباردة حينما ظهر النظام الشيوعى، وتجربته فى الاندماج الاقتصادى عن طريق منظمة «الكوميكون»، عقيم وعاجز عن التطور، ومن ثم كانت النتيجة فى النهاية هى امتداد تجربة غرب أوروبا إلى شرقها أيضا، وعندما يندفع ما يقرب من 50 مليار دولار من عملات اليورو المعدنية، أو ما يكفى لبناء 24 برجا مماثلا لبرج إيفل الحالى، ومعها ما يقابل 14 مليارا من أوراق البنكنوت - أو ما يكفى للذهاب والعودة إلى القمر ثلاث مرات - إلى نوافذ التوزيع والتبادل فى الدول الاثنتى عشرة، فإننا سوف نصبح أمام تجربة للهندسة الإنسانية السياسية والإستراتيجية لم يسبق لها مثيل.

هذه الخطوة لم تأت من فراغ، وإنما كان وراءها تاريخ طويل يعود إلى أكثر من

أربعة عقود عندما تم توقيع اتفاقية روما لإقامة السوق الأوروبية المشتركة فى 22 مارس 1957 التى دخلت إلى دور التنفيذ مع الأول من يناير 1958، وبعد اثنى عشر عاما كانت التجربة التى تضم ست دول فقط قد انتهت من إنشاء منطقة التجارة الحرة بين الدول الأعضاء، ثم الاتحاد الجمركى بينها. وفى عام 1970، ومع الهزات التى اعترت الدولار الأمريكى، وعلاقته بالذهب، وبالتالى العملات الأوروبية وقدرتها على تحقيق الاستقرار فى التبادلات بين الدول الأوروبية، كان الإصلاح ضروريا فى الاتجاه الذى يعمق الاندماج والتكامل بين الدول الأعضاء، وخلال العقود الثلاثة التالية كانت تتم عمليتان متوازيتان فى أوروبا، الأولى توسيع الجماعة الأوروبية كما بات يطلق عليها، فانضم إليها تسع دول، والثانية تعميقها بحيث تنتقل إلى مرحلة السوق المشتركة ثم مرحلة الاتحادالأوروبى، والتى من أبرز إنجازاتها الأخيرة إنشاء البنك المركزى الأوروبى، والعملة الأوروبية الموحدة.

هذه العملة بدأ الطريق إليها منذ أول السبعينيات، عندما بدأ فى عام 1972 ربط العملات الأوروبية مع بعضها البعض، بحيث يسمح لها بالتذبذب فى حدود ضيقة فيما عرف بنظام «الحية»، وفى عام 1978 تطور النظام مرة أخرى بإنشاء النظام النقدى الأوروبى الذى قام على ربط العملات الأوروبية بعملة حسابية جديدة هى وحدة النقد الأوروبى «إيكو» والتى تتحرك إزاءها عملات الدول الأعضاء ضمن حدود معينة بعدها تتدخل البنوك المركزية بالشراء والبيع لإحداث التوازن فى السوق المالية، وحتى يمكن تحقيق ذلك كان على الدول المشتركة أن تضع 20% من احتياطى الذهب، و20% من احتياطى الدولار الأمريكى الموجود لديها فى صندوق خاص هو صندوق التعاون النقدى الأوروبى، وتتسلم بدلا منها وحدات العملة الأوروبية حتى تستخدمها فى التدخل للحفاظ على سعر العملة، وفى الوقت نفسه تقوم الدول المشتركة بالاقتراض من بعضها البعض، والتعاون المالى فيما بينها من أجل الحفاظ على استقرار سعر التبادل، بحيث يمكن القضاء على المضاربين فى أسعار العملات.

هذا النظام أدى إلى التمهيد للمرحلة الحالية، وسمح بتحقيق الاستقرار فى عملات دول كانت تتعرض لذبذبات مخيفة، خاصة بالنسبة لليرة الإيطالية والبيزيتا الأسبانية، والدراخمة اليونانية، ومع التسعينيات بات من الممكن الانتقال إلى المرحلة الأخيرة، وهى مرحلة «اليورو» واستخدامه كعملة للتداول كما سوف يحدث فى الساعة الأولى من عام 2002، ورغم أن هذه التطورات كانت دوما تتم بدوافع اقتصادية، إلا أن الدوافع السياسية كانت دوما حاضرة، أولا بفعل المنافسة الحادثة بسبب الحرب الباردة، والخوف الأوروبى من الاتحاد السوفيتى، والشيوعية بشكل عام، وثانيا: بعد انتهاء الحرب الباردة من أجل زيادة القدرة التنافسية الأوروبية فى عملية العولمة. صحيح أن النزعات القومية كانت تظهر أحيانا بقوة عندما رأى البعض فى أوروبا أن العملات تمثل أحد رموز السيادة، بل الدعاية للدولة وتاريخها بما هو موجود على عملتها من صور ورموز.

وكان الحل سهلا للغاية، فقد طبعت عملة «اليورو» بطريقة تكفل وجها يمثل حضارة وتاريخ دولة عضو فى الاتحاد، بينما يمثل الوجه الآخر الاتحاد الأوروبى، وبالطبع يتم استخدام العملة فى كل الدول المشاركة. حل بسيط وعبقرى من يتعلم منه؟!

الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاهرام الاقتصادى
التاريخ: ١٧ ديسمبر ٢٠٠١

التحديات التى لا يتنبه لها أحد: توسيع الاتحاد الاوروبى

مهما قيل عن التغيرات التي افرزتها احداث الحادى عشر من سبتمبر علي النظام العالمي، فانه لاينبغي المبالغة فى درجة «الجدة» في العلاقات بين الدول وقد سبق ان تمت الاشارة في هذا المكان لاستمرار مسيرة «العولمة» التى باتت الاسم الرسمى لمجموعة التغيرات التى جرت منذ انتهاء الحرب الباردة، وان اجتماع مؤتمر منظمة التجارة العالمية فى مدينة الدوحة بقطر، وانعقاد المؤتمر الخاص بقادة دول منظمة «الابيك»

«التعاون الاقتصادي بين دول اسيا والباسيفيك» كانا يشيران الي انه مهما جرى فى مركز التجارة العالمى في مدينة نيويورك وماجري بعدها فى افغانستان لن يوقف المسيرة التاريخية نحو الاندماج الاقتصاد العالمى. وكان ما اظهرته هذه الاحداث، ليس الرجوع عما كان النظام العالمي سائرا فيه، او حتى انحرافه عن مساره، وانما الاشارة

الى درجة التعقيد والتركيب الواردة عليه، ومدى استعداد القوى المضادة للعولمة فى السعى الي تدميره حتى ولو استخدمت في ذلك ادوات عالمية بدورها. فربما لم يعد ما يشغل بال «العولمة» في العالم ليس فقط ماتثيره من اوضاع العلاقة بين الفقر والغنى في العالم، وانما ماتثيره من تحديات العلاقات بين كتل من الدول قادرة علي الاندماج ودول اخرى مفككة ان لم تكن هى ذاتها معرضة للانفراط.

هذه النوعية من التحديات الاخيرة سوف تفرض نفسها علي مصر والعالم العربي خلال الاسابيع القليلة المقبلة، عندما يبدأ فى الاول من يناير ٢٠٠٢ اعتبار «اليورو» هو العملة المعتمدة فى ١٢ دولة اوروبية، في اول عملية كبرى وكاسحة للتوحيد المالى لوحدات سياسية مختلفة منذ اتفقت الولايات الامريكية الثلاث عشرة المكونة للولايات المتحدة في نهاية القرن الثامن عشر على اقامة بنك مركزي واعتماد عملة موحدة بينها هى الدولار. **هذا الحدث الذي يأتى في موعده تماما، مهما كانت الاحداث فى نيويورك او قندهار، مضافا اليه استئناف عملية توسيع الاتحاد الاوروبى لكى يضم ١٢ دولة جديدة خلال السنوات الخمس المقبلة، مع بدء مجموعة منها في الانضمام فى العام القادم هي بولندا وتشيكيا والمجر وسلوفانيا، لايدل فقط على ان مسيرة «العولمة» لم تتوقف، او أن مسيرة الوحدة الاوروبية لم يقف أمامها عائق، وانما**

يدل على ان التحديات الجوهرية والبنائية لمصر والعالم العربى لم تتوقف.

ومن المدهش ان الموضوع يكاد لايوجد له اثر في الاهتمام العربي الحالى بعد أن سيطرت عليه تماما احداث الولايات المتحدة وافغانستان، وفى اعقابها احداث فلسطين والاراضي العربية المحتلة، وقبل ذلك كان هناك بعض الاشارات الى مجموعة من التحديات المتولدة عن هذه العملية الاوروبية بالغة الطموح للاندماج داخل القادة الاوروبية خاصة بعد انتهاء الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفيتى . وربما كان اول التحديات، وأهمها على وجه الاطلاق، هو ان هذه التطورات فى توسيع وتعميق الاتحاد الاوروبي، وما يواكبه من دعم لعملية توحيد السياسة الخارجية والدفاعية ، سوف يزيد من حالة عدم التوازن الاستراتيجى بين شمال البحر المتوسط وجنوبه.

ولفترة طويلة كان الاعتقاد العربي السائد هو ان الموقع الاستراتيجى للدول العربية فى وسط العالم القديم ماجاء فيه من ممرات مائية صناعية وطبيعية هامة وما اضيف له من اكتشافات بترولية، كل ذلك جعل العالم العربي مطمعا للقوى الخارجية. ولكن عالمنا كان ايضا من جانب اخر محظوظا من حيث انَ معظم الدول العظمى كانت بعيدة جغرافيا عن اراضيه ، على الأقل مقارنة بدول امريكا الوسطى والجنوبية التى كان عليها مجاورة دولة عملاقة سكانا و مساحة هىَ الولايات المتحدة الامريكية، ودول جنوب شرق اسيا التي بات عليها ان تتعامل فرادى مع دولة هائلة الحجم هى الصين ، ودول اسيا الوسطي وشرق اوروبا التى كان عليها المعيشة تحت ظلال الامبراطورية الروسية الشاسعة. **الان اصبح علي الدول العربية فرادى ان تتعامل مع كتلة استراتيجية هائلة ممتدة بامتداد قارة بأكملها هي القارة الاوروبية، وعدد سكانها ٥٠٠ مليون نسمة، وناتجها القومى الاجمالى سوف يتعدى عشرة تريليونات دولار** عن ذلك يمثل انقلابا استراتيجيا بكل المعايير ، لايبدو ان احدا علي استعداد لاستيعاب النتائج المترتبة عليه، فضلا عن التنبه له من الاساس.

هذا التحدى الكبير سوف يتفرع عنه بالضرورة مجموعة اخرى من التحديات التيلا يمكن تجاهلها، **فعملية التوسع الاوروبية سوف تعنى ان عملية الاهتمام الراهنة بجنوب البحر المتوسط العربى في معظمه سوف تقل تدريجيا** ، عندما تضغط الدول الجديدة فى الاتحاد الاوروبي علي الموارد المادية والمعنوية للاتحاد. ومن المعروف ان الهيئة الاوروبية، والمشروع الاوروبى كله حرص دوما

علي تنمية البلدان والمناطق المنضمة الى عملية الوحدة الاوروبية بحيث لا تنقسم اوروبا بين غنى وفقير وقد حدث بشكل اقام معجزة اقتصادية لم يتنبه لها احد في الدول الاوروبية الجنوبية مثل البرتغال واليونان واسبانيا والان بات ضروريا ان تتوجه هذه الموارد الي دول اقل بكثير من حيث المستوى الاقتصادى، وعندما يكون متوسط دخل الفرد من الناتج القومى الاجمالى في بولندا حوالى-٤٠٠٠ دولار ويقترب هذا المتوسط من ٣٠ الف دولار في دول مثل السويد والدنمارك وهولندا، فان اوروبا تصبح فجوة اقتصادية حقيقية لابد من سدها، ومن هنا يبدو ان عملية الاهتمام بجنوب البحر المتوسط فيما يسمى بعملية اعلان برشلونة سوف تبدأ في مواجهة مصاعب مالية ومعنوية خاصة على ضوء الاحباط المتزايد من نتائج هذه العملية علي عملية التنمية السياسية والاقتصادية في الدول العربية، وحتى فيما يتعلق بعملية السلام العربية الاسرائيلية التي جاء اعلان برشلونة فى الاصل لمساندتها تعثرت وتوقفت وخرجت من السعى الى السلام الى حالة اقرب الى الحرب.

واذا كان التوازن الاستراتيجي سوف يزداد اختلالا علي اختلاله، والموارد المادية والمعنوية الموجه من شمال البحر المتوسط الى جنوبه سوف تقل او على الاقل تتوقف عن الزيادة في وقت تتزايد فيه المشكلات والمعضلات التى يواجهها العالم العربي، فان ما تبقي بعد ذلك من القدرة علي المنافسة للسلع والبضائع لدول جنوب المتوسط سوف تتآكل هى الاخرى. فالدول التي سوف تنضم حديثا الى الاتحاد الاوروبي اقرب الى دول العالم الثالث متوسطة الدخل منها الى الدول الصناعية المتقدمة ورغم ان عمليات اصلاح اقتصادى جراحية قد جرت لها خلال السنوات الاخيرة، وتدفقت استثمارات خارجية هائلة عليها وصلت فى بعض الاحيان الى ٥٠ مليار دولار كما هو الحال فى بولندا ، الا ان البنية الانتاجية عامة تقدم سلعا زراعية وصناعية منافسة لمنتجات دول جنوب البحر المتوسط. هنا فإن التحدى سوف يكون كبيرا للغاية، خاصة أن دول الجنوب اضاعت وقتا ثمينا دون الاستفادة من عملية برشلونة فى تحرير التجارة بينها وبين اوروبا، وتأخرت في معظمها عن تحقيق الهدف الخاص باقامة منطقة للتجارة الحرة مع حلول عام ٢٠١٠ وفى حالة مصر علي سبيل المثال ، والتى استغرق توقيعها علي الاتفاق عامين بعد انتهاء المفاوضات ، وفشلها حتى الان في التصديق على الاتفاقية، فمن المرجح الا يتم تحقيق الهدف قبل عام ٢٠١٥

ولا يقل اهمية عن وهن القدرة التنافسية العربية فى السوق الاوروبية بعد التوسعات الجديدة، انصراف نظر، وقلة اهتمام ، اوروبا بالمشكلات العربية فقد حرص العالم العربى دوما

على ان يبقي لاوروبا دور على الساحة الشرق اوسطية، حتي لا تنفرد الولايات المتحدة بالمنطقة ، مع الاستفادة من التراث الاستعمارى للتعامل مع بعض القضايا مثلما كان الحال مع فرنسا في لبنان، وايطاليا فى الصومال، وبالتأكيد كان ولايزال لاوروبا مصالح استراتيجية في المنطقة وفى مقدمتها النفط، ولكن هذه المصالح سوف تقل اهميتها مع قدوم ١٢ دولة محملة بأعباء استراتيجية كبيرة تلقيها على عاتق الاتحاد الذى انضمت له وصارت عضوا كاملا من اعضائه. ومعنى ذلك ان الوقت والاهتمام المتاح للقضايا العربية سوف يتراجع، ومانشاهده اليوم من جولات شبه اسبوعية من قبل وفود اوروبية متنوعة الاشكال سوف تتناقص.

ولكن المشكلة الاكبر ربما سوف تتعلق بما بقى من اهتمام، فالدول الجديدة فى الاتحاد الاوروبى تأتى له بهوى امريكى لاشك فيه، واذا كنت اوروبا التى نعرفها حاليا تكاد تكون منقسمة معنويا على الاقل بين اصحاب الهوى الانجلو ساكسيونى الممتد عبر المحيط الاطلنطى والهوى اللاتينى الممتد حتى ضفاف البحر المتوسط ، فان الدول الجديدة تأتى الي الاتحاد هاجسها الامني لايزال يأتى من الشرق الروسى ومن ثم الضمانة الاساسية له تأتى من حلف الاطلنطى والانضمام اليه والعلاقة الوثيقة مع الولايات المتحدة . هذه الدول مع هذا النوع من الهوى سوف تحمل تحيزا نحو وجهة النظر الاسرائيلية داخل المؤسسات الاوروبية خاصة انها فى رد فعلها ازاء كل ماكان يجرى في الفترة السوفيتية صنفت العلاقات العربية السوفيتية - العربية ضمن الامور التى تنتمى الى العصور الباردة «**البائدة**». وفى الوقت الذي كانت فيه الدول العربية غارقة فى مشاكلها وعاجزة عن رؤية ماوراء اكتافها ، كانت اسرائيل تحرث الارض ، وتمهد التربة للحظة انضمام هذه الدول الى الاتحاد الاوروبي.

هذه تحديات كبرى واخطر مافيها أنها تجرى دون ان يتنبه لها احد، او تلقي ما تستحقه من النقاش العام، والمداولة فى المؤسسات الرسمية وغير الرسمية. ولعل الموضوع كله يحتاج الي قدر من الاقتراب الذى يسمح بوضع هذه التحديات فى احجامها الطبيعية، والبحث فى اوراقنا القديمة والجديدة عما يعين فى التعامل معها، فربما ساعتها سوف نجد ارصدة كثيرة، لايزال فى مقدورنا استعمالها قبل ان يفوت الأوان. المهم الان فان المهمة الاولى هى الا نضع رءوسنا فى الرمال كالنعام، وان نتنبه الى ما يجرى، فهو ليس بعيدا عنا، وانما سوف يحدث في صباح الأول من يناير القادم.



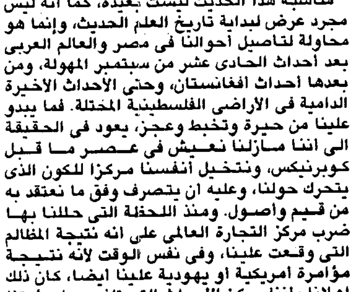
مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاهرام

التاريخ: ١٧ ديسمبر ٢٠٠١

عصر ما بعد كوبرنيكس..!

منذ اللحظة التى قرر فيها الانسان الانفصال عن باقى المملكة الحيوانية بالسير على قدمين، كانت هناك نقاط فاصلة كثيرة فى التاريخ البشرى، مثل النقطة التى نطق عندها كلاما مفهوما، واللحظة التى كتب فيها أول الحروف والكلمات حيث بدأ التاريخ المكتوب خلال الخمسة أو الستة الآف عام التالية.



د . عبد المنعم سعيد

هذه الفترة الأخيرة ممتلئة هى الاخرى باللحظات التى يؤرخ لها، ولكن اكثرها شيوعا هى تلك التى تفصل بين ما قبل ميلاد المسيح عليه السلام وما بعد ميلاده وهى الفترة المقدرة بالفى عام وعام. ولكن ربما جاءت أهم النقاط الفاصلة التى فصلت ما بين التقدم وما قبله من تخلف فى عام ١٥٤٣ بعد الميلاد عندما نشر نيوكلاس كوبرنيكس عالم الفلك البولندى كتابه «عن ثورات القبب السماوية» التى كشف فيها لأول مرة نظريته عن السماوات، والتى قال فيها ان الارض لديها دورة يومية حول نفسها، ودورة سنوية حول الشمس.

وكان ذلك انقلابا وثورة بكل المقاييس، وبالتاكيد لحظة فاصلة ولد بعدها ما نسميه العلم الحديث، وبدون تلك الخطوة التى قطعها ذلك الرجل المولود لأب تاجر فى ١٩فبراير ١٤٧٣ فى تورين قرب نهر الفيستولا شرق بولندا، فإنه كان سيستحيل الوصول الى ما وصلنا اليه الآن من اقتحام للذرة، وغزو للسماوات.

ولايدخل فى نطاق التصور ان يكون من حظ البشرية ان تعرف بعد ذلك جاليليو ونيوتن ومورتون وداروين حتى إينشتين، او ان تغزو الفضاء، وتعرف الفضائيات التلفزيونية، بما فيها العربية ايضا. كل ذلك لم يكن ليحدث لولا هذا الاكتشاف المثير ان الارض ليست ساكنة ثابتة، وإنما تدور حول نفسها، كما أن الشمس والأجرام الأخرى لاتلف حولها، وإنما هى التى تلف حول الشمس وبقية النجوم والأفلاك وفق قوانين يمكن حسابها بعلوم الحساب والهندسة، معنى ذلك ان الارض، وكذلك الإنسان، ليسا هما مركز الكون، وإنما هما فى قوانين الطبيعة جزء من حركة افلاك وأجرام أكبر بكثير، ومن يعرف ذلك ويتحرك وفق الإدراك لقوانين الحركة فإنه يصبح قابلا للتطور والتقدم.

ولم تكن هذه الثورة التى جاء بها كوبرنيكس سهلة على ما اعتاد الإنسان - الاوروبى خاصة - من اعتقاد فى الثبات والثوابت، ولم تكن الثورة التى جاءت على الثورة إلا محاولة لإخفاء وجه شمس الحقيقة. وكانت عملية الخروج من العصور الوسطى عملية مؤلمة وقاسية كان فيها الكثير من الضحايا العلماء من امثال جاليليو، بقدر ما كان فيها من إضاعة الوقت وحرمان الإنسان من الفترة التى يعمل فيها على اساس من الحقيقة. ولكن فى النهاية لا يصح الا الصحيح، وعندما عرف الانسان الأوروبى، ومعه كثيرون فى العالم الآن، انه ليس مركز الكون، وأنه جزء من انظمة متغيرة بالغة التعقيد، صار التقدم ممكنا، والعلم مسيطرا. ومن يومها صار مفتاح التقدم معروفا، عندما يستدعى الإنسان تلك اللحظة الفاصلة التى يعرف فيها أنه ليس مركز الكون، وإنما هو جزء من حركة دائبة ومتغيرة إلى الأبد، وعليه أن يدرك قوانين الحركة ويتكيف مع أدائها واتجاهاتها.

مناسبة هذا الحديث ليست بعيدة، كما انه ليس مجرد عرض لبداية تاريخ العلم الحديث، وإنما هو محاولة لتاصيل أحوالنا فى مصر والعالم العربى بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر المهولة، ومن بعدها أحداث افغانستان، وحتى الأحداث الأخيرة الدامية فى الأراضى الفلسطينية المحتلة. فما يبدو علينا من حيرة وتخبط وعجز، يعود فى الحقيقة الى اننا مازلنا نعيش فى عصر ما قبل كوبرنيكس، ونتخيل أنفسنا مركزا للكون الذى يتحرك حولنا، وعليه ان يتصرف وفق ما نعتقد به من قيم واصول. ومنذ اللحظة التى حللنا بها ضرب مركز التجارة العالمى على انه نتيجة المظالم التى وقعت علينا، وفى نفس الوقت لأنه نتيجة مؤامرة امريكية او يهودية علينا ايضا، كان ذلك إعلانا باننا مركز الأحداث التى تلف حول بؤرتنا ووفق ما نراه بما يجب ولا يجب ان يكون.

وبدون الدخول فى الكثير من التفاصيل، فإن فكرة «الخصوصية» الشائعة فى الفكر السياسى العربى، والتى تصمم على انه لابد ان يكون لنا طريق خاص للتنمية، وطريق خاص للهوية، وطريق خاص للتحرير، وطريق خاص للعلم حين نصمم فيه على وجود علوم إسلامية وعربية خاصة، كلها تقود الى العزلة والى الثبات والى الانفصال عن الكون فى النهاية. وقد كان ذلك واضحا منذ نشوب الأزمة العالمية وحتى الآن، حينما كان العالم فى ناحية، وكنا نحن وحدنا على الناحية الأخرى، او الاقرب الى الصحة انه بدا ان حكوماتنا وحدها،وليس دولنا جميعها، هى التى تتحرك مع حركة الافلاك العالمية الاخرى.

وبالتاكيد فإن ذلك حادث الآن مع الغزوة البربرية الإسرائيلية الراهنة فى الأراضى الفلسطينية فرغم الصراخ العربى العالمى فإن العالم لم يفعل إلا أن يهز اكتافه.

وطالما أن العرب لديهم اقل سجلات الديموقراطية تقدما، بل ويعتقدون أن هذا النظام فى الحكم يخص الدنيا ولا يخصهم، وطالما أنهم اقل دول الكوكب تحولا نحو اقتصاد السوق ويعتقدون على عكس بقية الشعوب أن الاقتصاد الحكومى وحده الذى ينفع رغم فشله على مدى خمسة عقود، فإنه ليس متصورا أن ياخذ العالم ما يقوله - أو يصرخ به العرب - بجدية. وطالما ان ما يصدق على الديمقراطية والراسمالية يصدق ايضا على التنمية والتحديث والمعاصرة والتقدم فإن العالم الذى لا يدور حولنا بالتاكيد سوف ينصرف الى ما هو أكثر أهمية.

ولعل أهم ما نتعلمه فى الأزمة الراهنة هو انه آن الأوان لكى ننتقل جميعا الى عصر ما بعد كوبرنيكس، أو نعبر تلك الحظة الفاصلة، والصعبة والمؤلمة كذلك، ما بين التخلف والتقدم، بان ندرك ان العالم لا يلف حولنا، وإنما نحن جزء



منه ومن حركته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية. وحينما فكرت الجامعة العربية تفكيرا حميدا فى الحوار مع الحضارات الاخرى فإنها باتت تحتاج دعوة المثقفين العرب الى ما هو اخطر، وهو القيام بهذا الحوار مع العلم تماما اننا لسنا مركز الكون، واننا فى تفاعلنا مع الحضارات الاخرى لا نملك كل الحقيقة، واذا كنا نريد تعليم الأخرين بحقوقنا، فإننا عند الاستماع سوف نكون على استعداد للتعلم ايضا عن حقوق الآخرين.

وربما قبل الحوار فإننا نحتاج للمعرفة اكثر مما نعرف، فالهند لم تعد هى ما عرفناه عن نهرو وعن حركة عدم الانحياز التى لم يعد لها وجود، ولا هى حزب المؤتمر الذى لم يعد موجودا فى السلطة منذ فترة طويلة، وهى دولة نامية نعم ولكنها الثانية فى العالم من حيث انتاج البرمجيات، وهى كذلك لأن الدنيا، وبالذات العالم الغربى، اعطاها المعرفة وكذلك السوق. والصين ليست كما نعرفها بلد شواين لاى، وبالتاكيد فإنها ليست بلد ماوتسى تونج، وهى بلد مختلف تماما عما الفناه وعرفناه، بل هى غول اقتصادى هائل ينظر بعجب الى حالتنا الاقتصادية فى الوقت الذى يعرف ان مصلحته الرئيسية فى استمرار نموه بالمعدلات التى بات متعودا عليها، ولا يتحقق ذلك الا باستمرار ازدهار الأسواق الاوروبية والأمريكية، واوروبا لم تعد بالتاكيد كما عرفناها، واذا كانت الصورة الاستعمارية هى الغالبة لدينا، فإن علينا ان نعرف انه فى يوم الأول من يناير القادم سوف تكون هناك عملة اوروبية واحدة فى ١٢دولة اوروبية، وبعدها سوف تبدا عملية انضمام ١٢دولة الى الاتحاد الأوروبى بحيث يصل عدد اعضائه خلال بضع سنوات الى ٢٧دولة ممتدة من تركيا حتى البرتغال، ومن القطب الشمالى حتى البحر المتوسط. ومن يظن ان هؤلاء جميعا سوف يجلسون فى انتظار تفكيرنا حول اتفاقية المشاركة، ومتى نقرر تحديث الصناعة المصرية فإنه لايزال يعيش فى عصر ما قبل كوبرنيكس، ولايزال يظن ان الأرض ثابتة، وان الشمس هى التى تدور حولها.

وبنفس الطريقة فإننا نحتاج للمعرفة حول روسيا التى انتهت منها الشيوعية والقطبية منذ عقد كامل، وحول امريكا التى هى قارة كاملة من التعقيدات والأفلاك والأجرام التى هى أكبر من حركة اللوبى الصهيونى الذى نظن أن أمريكا اختصار له، وحول افريقيا وأمريكا الجنوبية واسيا الوسطى وبقية العالم.

وباختصار فإن علينا حتى ينجح الحوار، او التواصل، او الاهم من كل ذلك التفاعل، ان نعرف الأفلاك التى ندور فيها ولا تدور حولنا.



مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاهرام

التاريخ: ٢٢ ديسمبر ٢٠٠١

حكاية شريط بن لادن..!

د. عبد المنعم سعيد



لا شيء مثل الحروب والمعارك الكبرى تضع علامات - بيضاء أو سوداء - في تاريخ البشرية، ومنها تتشكل القصص الكبرى للتحولات والتغيرات التي تأتي على العالم والدنيا كلها. ولكن، وكما هي العادة في كل الروايات العظمى، فإنها تحتوي أحيانا على قصة صغيرة أو قصيرة أو خط فرعي يشغل المسرح، أو الصفحات للحظات، ثم بعد ذلك يبتعد ويذوب، وربما لا يتذكره أحد بعد ذلك إلا من سطر يأتي في كتب التاريخ. ومن هذه النوعية ذلك الشريط التليفزيوني الذي أذاعته الولايات المتحدة يوم الخميس الثالث عشر من ديسمبر الجاري عن لقاء حضره أسامة بن لادن القائد الأعلى أو المرشد الأعظم أو الزعيم وكفى لتنظيم القاعدة، وفيه يفضي لضيوف لديه كيف تمت عمليات التفجير في الولايات المتحدة يوم الحادي عشر من سبتمبر باعتبارها نوعا من الجهاد الإسلامي الذي يعلي من شأن الإسلام والمسلمين.

وكانت أحداث ذلك اليوم من سبتمبر هي القصة الأصلية التي تلتها تداعيات عظيمة على مستوى الكون كله بعد تشكيل التحالف الدولي، ونشوب الحرب في أفغانستان بتغيراتها الدرامية والتراجيدية العنيفة. ولكن عرض الشريط التليفزيوني خلق تلك القصة الفرعية القصيرة التي شغلت الصفحات وأوقات الإذاعة والبث التليفزيوني لبضعة أيام سارقة الاهتمام العام من تداعيات القصة الأصلية التي كانت تجري فوق الجبال الصلدة في تورا بورا. وكان سبب ذلك أن عددا لا بأس به من المعلقين العرب قرروا أن الشريط التليفزيوني مزيف، فالصوت غير واضح ومتقطع، ولا توجد حكمة إطلاقا لدى السيد بن لادن في تسجيل مسئوليته عن الجريمة بالصوت والصورة، فضلا عن ذلك الإهمال المخيف في ترك الدليل الدامغ لكي تعثر عليه القوات المتحالفة. وأكثر من ذلك فإن الولايات المتحدة بما لديها من إمكانيات فنية عالية، وتكنولوجيا متقدمة للغاية، لديها القدرة لتأليف هذا الشريط وطرحه لتقديم الدليل الدامغ الذي تطالب الشعوب العربية والإسلامية به والذي يبرر استخدام القوة المسلحة ضد أفغانستان.

وهكذا أصبح لدينا قصة فرعية مثيرة للغاية متكاملة الأركان، وفيها أجهزة المخابرات، وقدرات التزييف، وعمليات تشكيل الوعي والإدراك والاقتناع في العالم الإسلامي من قبل الولايات المتحدة. ومما أعطى للقصة الفرعية مصداقية كبرى أن عددا لا بأس به من الكتاب المرموقين والمحترمين انضموا اليها فورا معلنين انهم لا يمكنهم ابتلاع هذه الفرية الأمريكية الجديدة. وبالتأكيد فإن تاريخ المعارك الكبرى عرف نوعيات مختلفة من عمليات التزييف ودس المعلومات وتغييرها والتلاعب بها من أجل تحقيق اهداف تكتيكية واستراتيجية في ساعة المواجهة. وكان للولايات المتحدة ذاتها الفضل في إذاعة المعرفة بكل ذلك من خلال مؤسساتها الأكاديمية، وصحافتها النشيطة، وأفلامها فائقة التوزيع، وآلاف الكتب والقصص الخاصة بعمليات الحروب الدعائية، والدعاية السوداء، الحقيقية أو المتخيلة. وهكذا، انقلب السحر على الساحر، وما تعلمه العرب من أدوات المعرفة الأمريكية طبقوه فورا على القصة الأمريكية ذاتها مشككين في مصداقية شريط السيد أسامة بن لادن، وفي أحوال كثيرة قاطعين بزيفه التام.

غاب عن هذه القصة الفرعية مجموعة من الأمور التي لم تخطر على بال أحد، حتى إن التشكيك فيما تقوله الولايات المتحدة بات أقرب إلى الغريزة منه الى فضيلة التقصي والتحقق. فالجهات القادرة فنيا على اختبار الشريط والتمعن في تزييفه الفني من خلال احلال وتبديل الصور والكلمات معروفة، وكثيرا ما يتم استدعاؤها في ساحات القضاء للتأكد من صحة توقيع أو سلامة صوت على مسجل أو تطابق شخص في صورة من الصور مع حقيقته في الواقع. وفي مثل هذه الحالة فإن أجهزة المخابرات مثلا هي القادرة على كشف الملعوب، وكذلك فإن خبراء التصوير في محطات التليفزيون لديهم هذه القدرة، وساعتها فإنهم يقدمون مبررات حكم بالتزييف اذا كان هناك حكم بذلك. المدهش أن أيا من القاطعين بالتزييف الأمريكي لم يطلب من أي من الجهتين في البلدان العربية المختلفة الحكم في هذا الموضوع من خلال أدوات فنية وليس من خلال المواقف السياسية. ولم يصدر تصريح واحد من هذه الجهات في الدول الأعضاء في جامعة الدول العربية، ولا الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي، ولا الدول الأعضاء في الأمم المتحدة بما فيها الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن من غير الأعضاء في حلف الأطلنطي وهما روسيا والصين. معنى ذلك أننا أمام واحد من احتمالين أولهما أن الولايات المتحدة نجحت في استقطاب كل أجهزة المخابرات والإسلامية والعربية والشيوعية في العالم لصالح مصداقية شريطها المزيف، وكذلك مع كل محطات التليفزيون الرسمية وغير الرسمية، وخبراء التصوير التليفزيوني في العالم كله. وثانيهما أن هناك احتمالا أن يكون الشريط صادقا بالفعل، طالما أن من ادعى لم يتقدم ببينة حقيقية حتى الآن سوى أن الولايات المتحدة لديها القدرة، وأن السوابق تشير بإمكانية حدوث ذلك.

فالسؤال المهم هو هل تناقض ما جاء في الشريط الأمريكي الجديد ما يختلف إلا في التفاصيل، ودرجة التأكيد، مع الشرائط التي بثتها قناة الجزيرة من قبل؟.. وطالما أنه لا يمكن قبول الادعاء بعمالة قناة الجزيرة لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وأنها عندما بثت شرائط السيد بن لادن من قبل كانت تحضر الرأي العام العالمي

للشريط الأمريكي القادم، أو أنها وفرت عن قصد او غير قصد المادة التى تستخدمها الولايات المتحدة فى التزوير، فإن المرجح هو أن الشريط الجديد هو امتداد للشرائط السابقة أراد به بن لادن ورفاقه تحمل مسئولية العمل أمام الله وأمام التاريخ. فعلى عكس السادة المشككين فى الشريط الأمريكى فإن رجل العام وصحبه يشعرون بالفخر الشديد بمن قام بعمليات الحادى عشر من سبتمبر، ويعتبرونها من الأعمال التى تكلل هامة المسلمين بالمجد والفخار، ولم يكن ذلك فى الشريط الأمريكى فقط بل أيضا فى شريطى قناة الجزيرة.

السؤال الأهم هو لماذا فعلت الولايات المتحدة ذلك وزيفت شريطا ليس له أصل؟ الإجابة الفورية هنا هى أن واشنطن أرادت كسب الرأى العام العربى والإسلامى الى جوارها فى معركتها ضد الإرهاب، وأنها أرادت قطع لسان المشككين فى قيام بن لادن وجماعته القاعدة بهذه الجريمة. ولكن ما يدهش هنا، ولا يتساءل به أحد، هو لماذا تأخرت الولايات المتحدة كل هذا الوقت فى تزييف الشريط. فإذا كانت فى حاجة ماسة لإقناع العرب والمسلمين فقد كان الوقت المناسب خلال الاسابيع الأولى للأزمة عندما كانت الأدلة قليلة، وموقف العالم العربى والإسلامى مغلف بالشك وعدم اليقين، ولكن لحظة إذاعة الشريط لم يكن هناك أى من ذلك، فقد استقرت الأوضاع غير المستقرة تماما فى باكستان، وانتهت المظاهرات التى انتشر بعض منها فى عدد من دول العالم الإسلامى، وبدا فى بعض الدول العربية أن مصير الحاج متولى أكثر أهمية من مصير بن لادن. أما فى أفغانستان، مكان المعركة والمواجهة، فقد ظهر أن الشعب الأفغانى، وقبائل البشتون فى مقدمته، لا يقل حرصا من الولايات المتحدة والدول المتحالفة معها - لأسباب عديدة - على مطاردة تنظيم القاعدة وقادته وقتلهم، بعد أن ظهر للشعب الأفغانى مشكلة حضارية مع أشقائه من الشعوب الإسلامية خاصة العربية منها.

معنى ذلك انه لم يكن هناك حاجة أمريكية لتزييف الشريط الخاص بالسيد بن لادن وصحبه، ولا يوجد ما يشير الى ان الولايات المتحدة كانت فى حاجة الى هذا الشريط فيما يخص دولا اخرى حليفة او غير حليفة، وبالتاكيد ليس فيما يخص الشعب الأمريكى ذاته الذى كان مقتنعا للغاية بمسئولية تنظيم القاعدة عن أحداث الثلاثاء الأسود. بقى احتمالان اولهما ان امريكا ارادت تزييف الشريط لإثبات قدرتها على خلق الأدلة لإعلاء شأن تكنولوجياتها فى العالم بعد ان تعرضت لمهانة كبيرة بعد تفجير مركز التجارة العالمى. ولكن هل يثبت هذا الشريط هذه القدرة فعلا اذا كان عدد كبير من المعلقين العرب قد اكتشفوا زيفه منذ اللحظة الأولى وقبل أن تدلى جهة اختصاص واحدة برأيها فى الموضوع؟. وثانيهما أن الولايات المتحدة من تلك النوعية من الدول التى تنحو لأسباب ثقافية ربما إلى الجرى وراء الأدلة المزيفة التى تشير إلى القاتل الخطأ بينما الجانى الأصلى مطلق السراح ويستعد لعملياته الإرهابية القادمة. ويبدو أن القدرة الأمريكية لن تثبت ما لم يتم القبض على أسامة بن لادن وتسليمه للكتاب العرب الذين يسعون إلى حرمانه من مسئولية العمل الذى عمل من اجله طويلا، حتى يعترف لهم شخصيا وساعتها - على الأرجح - سوف نجد من يقول انه كان منوما تنويما مغناطيسيا بفعل التكنولوجيا الأمريكية فائقة التأثير!!!.


مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر : الاهرام الاقتصادى

التاريخ : ٢٤ ديسمبر ٢٠٠١

مواجهة الخطر القادم من أوروبا..!

في مقال الأسبوع الماضى «**الأخطار التى لايتنبه لها أحد: توسيع الاتحاد الأوروبى**» تمت الإشارة إلى مجموعة من التحديات القادمة الى مصر والعالم العربى، والمتولدة أولا عن بدء تطبيق «**اليورو**» كعملة أوربية قابلة للتداول فى ١٢دولة أوروبية أعضاء فى الاتحاد الأوروبى، وثانيا بدء عملية توسيع الاتحاد اعتبارا من العام القادم لكى يضم ١٢دولة أخري الى أعضائه الـ١٥حاليا.

وجاء فى المقال أن هذه التحديات والأخطار سوف تظهر فى زيادة الاختلال الإستراتيجى بين أوروبا فى الشمال والدول جنوب البحر المتوسط، وانتقال قدر من الموارد المادية والمعنوية المخصصة لدول الجنوب إلى دول وسط وشرق أوروبا، وزيادة المنافسة أمام السلع والبضائع العربية من قبل السلع والبضائع القادمة من الدول المنضمة إلى الاتحاد والحاصلة على مزايا تفضيلية أكبر بحكم عضويتها، ووجود درجة أقل من التعاطف مع القضايا العربية بسبب ازدياد عدد الدول البعيدة عن البحر المتوسط، وأخيرا زيادة النفوذ الأمريكى- ومن ثم الإسرائيلى- فى الاتحاد الأوروبى بسبب أن الدول المنضمة حديثا ذات هوى أمريكى لأسباب أمنية واستراتيجية ورغبتها فى الانضمام الى حلف الأطلنطى.

فى هذا المقال سوف نحاول وضع هذه الأخطار فى حجمها، بل سوف تتم محاولة البحث عن الفرص التى تتيحها عمليتى تعميق الاتحاد الأوروبى من خلال «**اليورو**» وتوسيعه من خلال انضمام أعضاء جدد. فالحقيقة هى أن الأتحاد الأوروبى لم يكف عن «**التعمق**» أو«**التوسع**» منذ قيامه بتوقيع اتفاقية روما فى ٢٢مارس ١٩٥٧، وبدء تطبيقها مع الأول من يناير ١٩٥٨. فالتجمع الذى بدأ بست دول فقط(فرنسا وألمانيا و إيطاليا وهولندا وبلجيكا ولوكسمبرج) أصبح تسع دول عام ١٩٧٢مع انضمام بريطانيا وأيرلندا والدنمارك، ثم أصبح عشرمع انضمام اليونان عام ١٩٨٠، ثم إثنى عشر مع انضمام البرتغال وأسبانيا عام ١٩٨٦، وأخيرا ١٥دولة عام ١٩٩٥مع انضمام السويد وفنلندا والنمسا. وخلال أربعة عقود ونصف تقريبا انتقل التجمع الأوروبى من مجرد منطقة للتجارة الحرة الى اتحاد جمركى الى سوق مشتركة، حتى أصبح له بنك مركزى أوروبى وعملة موحدة وسياسة خارجية ودفاعية مشتركة. هذه التغيرات كلها تعميقا وتوسيعا أدت فى الواقع الى تنامى العلاقات بين أوروبا والعالم العربى، وشمال البحر الأبيض المتوسط وجنوبه اقتصاديا وسياسيا واستراتيجيا كذلك،

ولم تؤد إلى تقلص العلاقات رغم زيادة المنافسة داخل الاتحاد الأوروبى ورغم دخول دول بعيدة جغرافيا عن البحر المتوسط.

والحقيقة أيضا أن الدول العربية تتعامل بالفعل مع كتل اقتصادية كبيرة، فإذا كان الاتحاد الأوروبى سوف يضم ٢٧دولة يبلغ عدد سكانها ٥٠٠مليون نسمة، ويزيد ناتجها الإجمالى عن ١١تريليون دولار، فإن ذات الدول تتعامل مع الولايات المتحدة التى تضم ٥٠ولاية وناتجها الإجمالى يتعدى ١٠تريليون دولار، ومع الصين التى يزيد عدد سكانها على المليار، وناتجها عن التريليون، ومساحتها قدر أمريكا الشمالية، وكذلك الحال مع الهند التى تزيد على المليار، مساحتها أشبه بقارة كاملة. معنى ذلك فإن القضية ليست عما إذا كان الاتحاد الأوروبى قد زاد قوة علي قوة ام لا ، وانما القضية هي مدي قدرة الدول العربية علي زيادة تواجدها فى الأسواق الاقتصادية والسياسية العالمية. بل أنه من الممكن أن تكون عملية تعميق وتوسيع الاتحاد الأوروبى تمثل فرصة كبيرة للعالم العربى عندما تكون على حدوده الشمالية سوقا متسعة ونامية وكلها يزداد اعتمادها على النفط العربى وعلى مايتيحه العالم العربى من السلع والخدمات، وكل ذلك بعملة جديدة هى «**اليورو**» تقلل من الاعتماد على عملة دولية وحيدة هى الدولار الأمريكى.

فالحقيقة ثالثا أن مايبدو فى العلاقات الدولية وكأنه سلسلة من الأخطار عادة ماتحمل فى طياتها فرصا كثيرة يمكن استغلالها وانتهازها. وإذا كانت عملية توسيع وتعميق الاتحاد الأوروبى هى بشكل أو بآخر أحدي علامات استمرار ظاهرة العولمة حتى فى ظل الأزمة الدولية الراهنة، فإن عملية برشلونة التى ترمى إلى إنشاء منطقة تجارة حرة بين الاتحاد الأوروبى و١٢دولة جنوب البحر المتوسط مع حلول عام ٢٠١٠ هى الأخرى تمثل واحدا من مظاهر العولمة العابرة للقارات والجماعات. ولذا فإن الكرة واقعة بالفعل فى الملعب العربى، والدول العربية بيدها أن تدعم تواجدها فى كل دول الاتحاد القديمة والجديدة من خلال سرعة التوقيع والتصديق على اتفاقيات المشاركة ، والأهم من ذلك أن تقوم بخلق علاقات مماثلة مع الدول العربية الأخرى مثلما تم الاتفاق عليه فى أغادير بين مصر والأردن وتونس والمغرب.

والحقيقة رابعا أنه مهما بدت الصورة داعية للتشاؤم بسبب انضمام دول وسط وشرق أوروبا إلى الاتحاد الأوروبى، فإن النظرة الفاحصة ربما تقلل من هذه النظرة بل أن فيها ماقد يدعو إلى التفاؤل. فالدول الجديدة كانت لها علاقاتها التاريخية مع الدول العربية خلال الفترة السوفيتية، بل أن كثيرا من الصناعات الموجودة فى عدد من الدول العربية مثل مصر وسوريا قامت علي العلاقات مع تشيكيا والمجر

ورومانيا وغيرها، وربما أمكن بعث هذه الصناعات مرة أخرى من خلال مشاركة جديدة تساهم فيها دول الاتحاد الأوروبى الاكثر تقدما ومن خلال برامج تحديث الصناعة الموجودة بالفعل فى اتفاقيات المشاركة. ولعل هناك الكثير من الإشارات التى تدل أن دول الاتحاد الأوروبى الجديدة هى الأخرى تريد توسيع أسواقها ما وراء الأسواق المتقدمة فى غرب أوروبا ، وبالتالى فإن لها مصلحة فى توسيع علاقاتها الاقتصادية مع الدول العربية. والعكس بالعكس تماما حيث أن أسواق هذه الدول قد تكون أقل تنافسية بالنسبة للمنتجات الزراعية والسلع المصنعة ونصف المصنعة عما هو الحال بالنسبة للأسواق الأوروبية المتقدمة.

ولكن الانتقال من التشاؤم إلى التفاؤل لايتم وحده، وانما يتم من خلال عمل وجهد شاق يؤدى إلى ما هو بديهى وهو أن تكون الاقتصاديات العربية قوية ونامية بمعدلات كافية، ولديها فائض من السلع والبضائع القابلة للتصدير لأى من الأسواق الأوروبية الغربية أو الشرقية. ولعل هناك مجموعة من الخطوات التى يمكنها أن تعظم من نتائج المشاركة المتوسطية، وتقلل من مضار عملية التعميق والتوسيع الأوروبية. أولها أنه من الضرورى أن يكون هناك نوع من «**التفاهم الإستراتيجى**» بين الدول الأوروبية جميعها، بل أنها قامت على أساس من التفاهم الألمانى الفرنسى ومعهم بدرجة تالية إيطاليا، ثم بريطانيا بعد انضمامها .إن هذا التفاهم هو الذى يوفر القدرة والإرادة لتحويل المشروعات المتوسطية الكثيرة الى واقع، ويقلل من مضار التغيير المقبل فى أوروبا على جنوب البحر المتوسط.

هذا التفاهم يمكنه ثانيا أن يقود الى تقوية الرابطة الأمنية بين شمال وجنوب البحر المتوسط في ضوء التطورات العالمية الجديدة بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر، من خلال التعاون فى موضوع مكافحة الإرهاب. فمن المعروف أن إعلان برشلونة قد تضمن فى سلته الأولى مسألة مقاومة الإرهاب، ولكن مفهومه كان يقع فى إطار التعاون مابين الأجهزة البوليسية بين الدول الأعضاء فى عملية المشاركة باعتباره نوعا من التهديد الأمنى الخفيف SOFT SECURITY. هذا الموضوع لم يعد ممكنا القبول به بعد الأزمة العالمية المعاصرة، التى جعلت موضوع الإرهاب من موضوعات الأمن الثقيل أو الصلب HARD SECURITY التى تستدعى تعاونا وثيقا، وتنسيقا أمنيا يتناسب مع الخطر الذى يولده على مستقبل الدول شمال وجنوب البحر المتوسط.

ويستطيع التفاهم الإستراتيجى ثالثا أن يقوم بما نجحت الهيئة الأوروبية القيام به بالنسبة لعملية توسيع الاتحاد الأوروبى من حيث تنمية عدد من المعايير التى يتم على

علي اساسها انضمام الدول الي عملية المشاركة المتوسطية ،او يكون من خلالها قابلا للاستفادة من مزاياها الاقتصادية. ومن هذه المعايير أن تكون الدولة قد قامت بالقدر الكافى من الإصلاحات الإقتصادية التى تؤدى إلى تحقيق النمو الاقتصادى بمعدلات معقولة تتيح للدولة القدرة على التعاون والارتباط الخارجي.

وهنا فإن حالة الإحباط السائدة فى الدوائر الأوروبية فيما يخص التنمية السياسية فى دول الجنوب وانتقالها الى النظام الديموقراطى واحترام حقوق الإنسان لا ينبغى أن يكون واحدا من المحددات لعلاقات أوروبا مع الدول العربية. ويعود ذلك بالأساس إلى أن عمليات التحول السياسى فى المجتمعات هى مسألة داخلية تماما، وكل ماتستطيعه أوروبا هو تقديم النموذج والخبرة والعوامل المساعدة ومن هذه المعايير أيضا هو استعداد الدولة للتعاون مع غيرها من دول الجنوب، ومن المعروف أن أوروبا تشعر بالآثار السلبية لعملية الاختلال فى درجة الاندماج بين شمال البحر المتوسط وجنوبه. وبالتالى فإن التأكيد على إيجابية الدور الذى تقوم به محاولات فتح الأسواق والتعاون فى الجنوب كما هو الحال فى إعلان أغادير ينبغى له أن يكون واحدا من معايير المشاركة.

ولكن أعظم ماتستطيع عملية التفاهم الإستراتيجى أن تقوم به خامسا فهو خلق مساحة للحوار والتعلم بين شمالى البحر المتوسط وجنوبه. وليس سرا أن أحداث الثانى عشر من سبتمبر قد خلقت حالة من عدم الثقة والشك بين الدول والمجتمعات كذلك، وهنا فإن الحوار ليس ضروريا فقط، ولكنه لاغنى عنه إذا كان مطلوبا خلق علاقات صحية بين الطرفين. ولذا فإنه من الضرورى تغيير الأسلوب الذى كانت تتم به الحوارات فى السابق وكان يقوم على التقاء رجال الدين فى مناسبات احتفالية يقدم فيها كل طرف أسس التسامح والحوار وقبول الآخر الواردة فى الدين الذى ينتمى إليه. وربما كان الأجدى أن تتم الحوارات بين الجماعات الحاكمة للرأى العام مثل رجال الإعلام والمدرسين والمحامين وقادة الأحزاب السياسية، ولايتم فيها عرض كل طرف لأسس التواصل فى ثقافته وحضارته، وإنما أيضا يمكن فيها تعميق الوعى بمؤسسات التقدم والتعاون بين الطرفين. وفى هذا الإطار فإنه يمكن تغيير الصورة الاستعمارية الإمبريالية الراسخة عن الأوربيين لدى الجانب العربى فى أوروبا. وعندما تتغير هذه الصور، فإن تعميق التعاون عبر البحر المتوسط سوف يكون واحدا من نتائج تعميق وتوسيع الاتحاد الأوروبى وليس أول ضحاياه.!!


مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر : الاهرام

التاريخ : ٢٤ ديسمبر ٢٠٠١

نظرية صراع الحضارات والواقع

يمكن الحكم على اية نظرية او منظومة فكرية من المقولات المنطقية بوسيلتين، اولاهما: إثبات قدرتها او عدم قدرتها على تفسير الواقع، او القدر الأعظم من الأحداث فيه، وثانيتهما من خلال طرح بديل اخر اكثر قدرة على التفسير والفهم للواقع المعقد والمركب. وفي الحالتين فإن ذلك لا يثبت خطأ النظرية او المنظومة الفكرية، وإنما يثبت انها غير مفيدة في فهم ما يجري من وقائع وتفاعلات، وينطبق ذلك على ما قاله صمويل هنتنجتون وغيره عن «صراع الحضارات» كما ينطبق على اية نظرية اخرى. وبالتالي فإنها تختلف تماما عن الايديولوجيات او النصوص المقدسة التي لا يجوز لدى مريديها اخضاعها لأي نوع من الاختبار او الحكم المستند إلى الواقع او إلى وجود البديل. ولذا فإن النقاش حول الأفكار الايديولوجية صعب للغاية إن لم يكن يستحيل القيام به طالما ان افكار «الدحض» و«التحقق» و«البرهنة» قد جرى استبعادها منذ البداية.

ولحسن الحظ فإننا منذ بدانا الحديث عن «صراع الحضارات» في الاسبوع الماضي ازاء نظرية او منظومة من الأفكار التي تدعي تفسير الواقع باكثر مما تستطيع نظريات او منظومات فكرية أخرى تفسيره. وقد قدم صاحبها قائمة طويلة من الاحداث و الوقائع التي تشير إلى ان احتدام الصراع بين البشر يتزايد بسبب الحساسية المتزايدة لحضارات العالم إزاء بعضها البعض، بل وحساسيتها الزائدة تجاه الحضارة الغربية على وجه التحديد نظرا لقوتها المتصاعدة. ويبدو ذلك حاضرا بقوة بين الحضارة الغربية من جانب والسلافية الأرثوذكسية من جانب أخر، وبين الأولى والحضارة الاسلامية التي تتصادم بدورها مع الثانية، ومع الحضارة الهندوسية والكونفوشية التي تحتك وتتوتر علاقاتها مع الحضارة الغربية أيضا. والأمثلة الواقعية على ذلك متعددة من اول الخلافات الروسية الأمريكية، وحتى حرب الخليج الثانية، وحرب البوسنة، والصراع الهندي الباكستاني حول كشمير، والغربي الصيني حول حقوق الانسان. وكان بوسع هنتنجتون ومناصريه من الامريكيين والعرب والإسرائيليين - كما ذكرنا في مقال الأسبوع الماضي - ان يمدوا النظرية على استقامتها لكي تستوعب أحداثا تالية منها ضرب العراق المتكرر، وصراع حزب الله مع إسرائيل في لبنان، وحماس والجهاد الاسلامي مع إسرائيل في فلسطين، وحرب كوسوفا، ومقدونيا، والاختبارات النووية الهندية والباكستانية، والعوائق التي وضعت أمام الصين للانضمام إلى منظمة التجارة العالمية، وتلك التي وضعت أمام تركيا ومنعتها من الانضمام إلى الجماعة الاوروبية.

وقدمت الاحداث التي تفجرت منذ تفجير مركز التجارة العالمي في نيويورك، وما تلاه من تفاعلات الحرب ضد الإرهاب في افغانستان دليلا اضافيا على مدى قدرة النظرية وفائدتها التفسيرية. فالمشهد الافتتاحي كان معبرا عن الصراع في أنقى صوره، وعندما خرجت تصريحات غربية تشير إلى الحروب الصليبية وتخلف الحضارة الإسلامية، كان هناك في العالم الإسلامي من تلقفها فورا غير قابل لأي اعتذار او تراجع فيها باعتبارها المعبر «الحقيقي» عن النيات الغربية. وعندما خرج أسامة بن لادن على العالم بشرائطه عن طريق قناة الجزيرة التليفزيونية او عن طريق وكالة المخابرات المركزية الامريكية مؤخرا كانت الرسالة واحدة عن عالم منقسم إلى معسكرين: احدهما إسلامي والأخر غربي.

وربما لم يكن بن لادن يحتاج كثيرا إلى صمويل هنتنجتون ونظريته ومقولاته الفكرية لكي تروج لصراع الحضارات فقد كان وراءه تراث عربي وإسلامي طويل حول هذه النظرية القابلة للنقاش والبرهنة والتحقق وتحويلها إلى حالة من المقولات المقدسة التي يستعذب اتباعها الموت في سبيلها.

ومع مايبدو على السطح كما لو كان إعلانا لفوز النظرية بفضيلة القدرة على تفسير وفهم الأحداث باكثر من غيرها، إلا أن التمعن في احداث ووقائع العالم لا يعطي هذه النتيجة على الإطلاق. وربما كانت الولايات المتحدة ذاتها تقدم اول مفارقة مع نظرية صراع الحضارات، فبعد الأحداث البشعة في نيويورك أجرت مؤسستا رويتر وزغبي استطلاعا للراي نشر يوم ١٧ سبتمبر - اي بعد ستة ايام فقط من التفجيرات - جاء فيه أن المستجيبين للاستطلاع يميزون جيدا بين الإرهابيين وراية جماعة عرقية او دينية فقد قال ٨٤٪ من الامريكيين انهم يعتبرون الولايات المتحدة في حالة حرب مع مجموعة صغيرة من الإرهابيين «ربما يكونون مسلمين» مقابل ٨٪ اعتقدوا أن امريكا في حالة حرب مع الاسلام. وعندما سئلوا عما إذا كان الإسلام دينا يشجع على التعصب فإن ٤٢٪ اختلفوا مع هذه المقولة ووافق عليها ٣٨٪. وردا على السؤال عما إذا كانوا يفضلون او لا يفضلون العرب الامريكيين، جاءت الاجابة بالتفضيل وقدرها ٦٢٪ وعكسه ١٢٪ فقط وحتى عندما امتد السؤال للعرب ككل جاءت الاجابة بالتفضيل قدرها ٤٥٪ وعكسه ٣٣٪. وبالنسبة للمسلمين الامريكيين كانت نسبة التفضيل ٥٦٪، وعدم التفضيل ١٩٪، اما بالنسبة للمسلمين على عمومهم فقد كان التفضيل ٤٥٪ وعدم التفضيل ٣٠٪.

معنى ذلك أنه حتى فى ساعة السخونة الكبرى للحدث لم توجد حالة نقية من العداء «الحضارى» مع العرب والمسلمين فى الولايات المتحدة ، حتى فى اللحظة التى اندفع فيها اليمين المسيحى لكى يستعيد ويزيد فى مقولات تاريخيه عن صراعات ابدية لا يفتر لها لهب أو حماس. وما تشير إليه استطلاعات الرأى العام هو حالة التفضيلات والاختيارات الموزعة بين مواطنى الدولة، ولها ان تتغير وان تتعدل بتغير الظروف والاحوال والمصالح والأهواء. بل انه على الارجح كانت وراء التعديل الذى جرى فى خطاب السياسيين نحو الاعتدال ورفض ومقاومة العبارات المتطرفة الأولى. وبالمثل كان الحال فى العالم العربى والإسلامى، ورغم عدم وجود استطلاعات مماثلة للرأى العام، فإن هناك الكثير من الشواهد التى تدل على ان الشعوب لم تتحمس كثيرا للنظرية التى تحولت إلى ايديلوجية، وعلى أقل تقدير لم يحدث لديها اجماع او حتى توافق اجتماعى وسياسى على الصدام مع الغرب.

فخلال الاسابيع التى تلت احداث الحادى عشر من سبتمبر كانت الصيحة هى أن العرب والمسلمين لن يتركوا افغانستان تقف وحدها فى المعركة، وان عملية الاستقطاب الحضارى سوف تأخذ مداها بين المسلمين والغرب. ولكن ذلك لم يحدث، وبعد مجموعة من المظاهرات الأولية لتأييد افغانستان فى عدد من العواصم الإسلامية فإن الظاهرة برمتها تلاشت سواء فى الجامعات او اثناء صلوات الجمعة رغم الجهود الدوية من جماعات الصدام الحضارى، والفضائيات التليفزيونية العربية التى لم تكف لحظة عن حث الجميع على الانتفاضة والمواجهة. وكان المشهد فى باكستان بالذات موحيا للغاية، فقد قيل أن الشرعية الباكستانية تستند فى الأساس إلى هذا النوع من الصراع الحضارى، كما قيل أن الجماعات السياسية الإسلامية مهيمنة ومسيطرة على الشارع السياسى، وقيل كذلك أن القضية فى إسلام اباد ليست فقط هوية وحضارة ، وإنما مصالح استراتيجية فى الفناء الخلفى للدولة. ومع ذلك فقد تصرفت باكستان كدولة قومية من الدرجة الاولى، وبناء على ذلك وقفت إلى جانب الولايات المتحدة كما لم تقف دولة أخرى فى العالم، وعندما دعا أنصار الصراع الحضارى إلى مظاهرة من مليون شخص، لم يصل إلى ساحة التظاهر سوى خمسين الفا، ومن بعدها اختفت التظاهرات كلها، اللهم إلا من مسيرات سلمية مؤيدة للحكومة الباكستانية التى ذهب رئيسها برويز مشرف إلى الولايات المتحدة ، للقاء مع الرئيس جورج بوش المنتمى إلى حضارة الجانب الآخر التى يفترض انه معاد بها.

إلا أن ابلغ المشاهد المناقضة لنظرية صراع الحضارات فقد جاء من داخل افغانستان نفسها، ولم تكن القضية أن الافغان انفسهم من داخل الحضارة الإسلامية كانوا يتعاركون مع بعضهم حتى قبل بدء الأحداث، وانما لكيف سارت الوقائع بعد المشهد الافتتاحى. فالحقيقة هى أن التحالف الشمالى، وكثرته من المجاهدين، لم تقبل بفكرة الصراع الحضارى، ومن ثم تكوين جبهة مع طالبان، وجرى بدلا من ذلك جبهة مع الولايات المتحدة ومن معها من الغرب. وبعد أن ادركت طالبان أن ذلك لن يحدث، كانت هى التى تركت المدن، ومن بين الجماعات العرقية المختلفة كانت جماعة البشتون هى التى اشرفت على تصفية آخر معاقلها فى قندهار. لكن المدهش ان الجميع اصطفوا وراء فكرة مطاردة وقتل وتمثيل جثث اخوة الحضارة من العرب المسلمين الذين لم يراعوا حرمة هذه الحضارة من قبل. ولم يكن فى ذلك الجديد، فقد كانت العداءات داخل الحضارات نفسها طوال التسعينيات، سواء كانت الإسلامية فى الخليج، أو المسيحية فى البلقان وايرلندا فى اوروبا، هى الأكثر ظهورا على الصراع بين الحضارات.

ولايزال للحديث بقية!

د. عبدالمنعم سعيد

الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاهرام الاقتصادي
التاريخ: ٣١ ديسمبر ٢٠٠١

تأملات فى نهاية حركة طالبان

ربما يكون مبكرا للغاية التأمل فيما جرى لحركة طالبان الأفغانية، فالحرب بمعنى ما لاتزال دائرة فى أفغانستان، وحتى وقت كتابة هذا المقال لم يكن قد تم العثور علي قادة الحركة الرئيسيين والقبض عليهم أو أسرهم ، ولا حتى تم قتل أو أسر أيا من قادة تنظيم القاعدة، حليفهم الرئيسى فى الحرب ضد الولايات المتحدة الأمريكية. ومع استمرار عملية المطاردة للملا محمد عمر، أمير المؤمنين حتى وقت قريب للغاية، ولأسامة بن لادن، زعيم أكبر تنظيم إسلامى راديكالي دولي، فإن أجزاء قصة الأحداث التى غلفت صعود وسقوط الطالبان تظل غير كاملة. ومع ذلك فان تنصيب الحكومة المؤقتة فى كابول تحت رعاية دولية، وأنتهاء وجود حركة طالبان فى كل المدن والولايات الأفغانية يشير إلى أن القصة ربما وصلت إلى مشارف فصلها الأخير. وربما كان مشهد عبدالسلام ضعيف - سفير أفغانستان أو طالبان لدي باكستان - وهو يطلب حق اللجوء السياسي موحيا للغاية فحتى وقت قريب لايتعدي أسابيع ، كان الرجل الخافت الصوت الذى يعرف بعضا من اللغة الانجليزية هو المصدر الوحيد الرسمى من حركة طالبان والذى ينقل الاخبار عنها للعالم. وكان هو وحده - وبنظارته الدائرية المميزة - الذى يجلس أمام حشد هائل من المراسلين، ومحطات التليفزيون والاذاعة لكى ينقل رواية كابول الطالبانية للأحداث. ومع تقدمه بطلب اللجوء السياسي كان ذلك يعنى - علي الأقل - أن واحدا من ملفات الحرب الأفغانية ، والمتعلقة بحركة طالبان، قد أو شارف علي الأنتهاء.

لا بأس إذن من التأمل فى تلك الحركة التى ظهرت كالشهاب فى سماء العالم لكى تغير فى تاريخة المعاصر، بأكثر مما استطاعت حركات أخرى أن تغيرها. وبعد أن تصفى السماء وتنجلى الآفاق وتبعد السحب وعواصف الدخان الناجمة عن الحرب الراهنة فى أفغانستان فربما سوف يكون ممكنا أن تتحول التأملات إلى مساحات أكبر من اليقين. ولعل الكتاب الذى ألفه الاستاذ فهمى هويدى تحت عنوان **«طالبان جند الله فى المعركة الغلط!»** يمثل نقطة بداية جيدة للنظر فى الموضوع. فالكتاب يأتى من جانب متخصص عرف دروب الحركات الإسلامية وبشكل ما انتمى إليها بالتوجه والفكر، ومن خلال عمله الصحفى كان من أكثر المقتربين منها فى مصر وإيران والجزائر، وبلا جدال فإن كتاباته تعد مرجعا للعامة بقدر ما هى مصدرا للباحثين. ومن جانب آخر فإن الكتاب يعد من أفضل ماكتب فى الموضوع باللغات الحية كلها، ليس فقط لأنه جاء من عارف، وإنما لأنه جاء حاملا لطزاجة الرؤية المباشرة، وحيوية المقابلة الصحفية، وزخم وحرارة التواجد فى المكان نتيجة ثلاثة رحلات قام بها الكاتب عبر فترة زمنية طويلة تعاقبت علي أفغانستان فيها نظم وحكومات.

وعلي الأرجح أن عنوان الكتاب سوف يمثل مشكلة للقارئ منذ البداية ليس فقط حول الكتاب، وإنما حول الموضوع أيضا فعبارة التعجب التي اعتبرت طالبان جند الله فى المعركة الغلط علي الارجح سوف تثير قضية إمكانية أن تكون جماعة ماجند الله ثم بعد ذلك يذهبون إلى المعركة الغلط فى آن واحد ؛ فإذا كان الحال كذلك فما الذى بقى لجند الشيطان! فبحكم التعريف فإن جند الله مكانهم المعركة الصح، أو هكذا ينبغى أن يكون ، إذا كانوا جند الله حقا، وليسوا جنودا مزيفين يحملون كلمة الحق فى مكان الباطل. ومع ذلك فإن العنوان يظل موحيا بما هو شائع لدينا عن الأدبيات الثورية المختلفة التى يقال فيها دوما أن النوايا كانت طيبة، ولكن الأعمال خرجت عن مسارها الطيب الذى كان يجب أن يكون عليه. ومن يقرأ الكتاب يخرج بالانطباع أننا أمام مجموعة غير عادية من البشر الطيبين، الذين يعملون بالصباح فى خدمة الدولة، ويقاتلون من أجلها بعد الظهر عندما يترك الوزراء مكاتبهم إلى الخطوط الأمامية للقتال ضد التحالف الشمالى - المعارض فى ذلك الوقت والحاكم الآن - وبعد ذلك يتفرغون للعبادة فى المساء والليل.

ولكن الطريق إلى الجحيم - كما يقال - مفروش بالنوايا الطيبة، ويحسب للكتاب، ومؤلفه، أنه كان الأقرب إلى تحسس الكارثة المقبلة علي أفغانستان وطالبان معا. وبدون أن يحدد نوعها تبدو الكارثة القادمة ناجمة عن نظام فشل تماما فى تحديد أولوياته، وانشغل كثيرا بالشكل عن المضمون ، ونجح فى معظم الأحوال فى خلق الأعداء واستبعاد الحلفاء.

وكل ذلك صحيح إلي حد كبير، ولكنه ليس كافيا أبدا لتفسير نهاية حركة طالبان، فالموضوع ليس أن جند الله ذهبوا إلى المعركة «**الغلط**»، وإنما هو هل كان ممكنا أن تذهب هذه النوعية من الجنود إلى المعركة «**الصح**»؟!. إن الفكر الذى سيطر علي طالبان، كما سيطر علي غيرهم، يدفع دفعا فى اتجاهات بعيدة عن معارك التنمية والبناء المادي والروحى للأمم، فنطقة البداية فيه أن الدولة فى حالة صراع وعداء دائم مع الآخرين، وأن الإسلام ليس مجرد دين من أديان البشر، ولكنه دين خاص لايكف الآخرين عن الكيد والعداوة له. وعندما ذهب الأستاذ فهمى هويدى ومعه وفد من علماء المسلمين إلى أفغانستان من أجل حث طالبان علي عدم هدم تماثيل بوذا فى باميان قال لهم الملا نور ثاقب: «**نحن لا نفهم تلك الضجة المثارة حولنا بسبب ماقررناه (هدم التماثيل)، إذ غاية ما فعلناه أننا تمسكنا بديننا وطبقنا تعاليمه. إننا لم نعتد على أحد، ولم نظلم أحدا، وغنما تصرفنا بوحى من عقيدتنا وفى حدود بلادنا. ونحن نعلم أنهم حانقون علينا فى الخارج ولايكلون من الكيد لنا**

بسبب إصرارنا على إقامة الدين فى البلاد. ولذلك أصبح الدين هو محور خلافنا مع الآخرين». وعندما رفض فضيلة الشيخ القرضاوى هدم التماثيل ليس على أسس فقهية وإنما على أسس عملية تؤدى «**إلى الإضرار بمصالح الأقليات المسلمة وتمزيق المصاحف**» وهو مايعد مفسدة أكبر، فكان رد الملا هو أن «**العالم الذى تتحدثون عنه هو عدونا فى كل الأحوال هدمنا الأصنام أم لم نهدمها. وامتناعنا عن الهدم لن يغير شيئا من موقفه إزاءنا**».

إن هذه النظرة للذات وموقعها من العالم تكاد تكون شائعة فى كل الحركات الإسلامية، بل أنها تكاد تكون صنو كل الثورات والحركات السياسية العربية. ورغم أن تاريخ العالم يشهد بصراعات طويلة بين أمم وقوميات وحضارات كثيرة، ورغم أن العالم الغربى استعمر أمما كثيرة بحجم الهند، والعالم اللاتينى، بل وضغط ضغطا هائلا على أمة عظمى مثل الصين، فإننا لانجد مثل هذه الحالة من العداء الأبدى التى لاتجعل للسياسة والسلوك معنى. ولو تأملنا موقفا آخر حدث بعد غزو العراق للكويت وتحرك العالم الغربى، والعربى أيضا، ضد هذا العدوان من خلال ماعرف فى الأدبيات بحرب الخليج الثانية، لوجدنا أنه فى هذه الحالة أيضا كان الدفاع عن الموقف العراقى أيضا هو أن غزو الكويت لم يكن هو القضية لأن العالم كان ضد العراق وكفى، وأنه لايمكن أن يقبل بأمة عربية قوية، ولابد له من محاولة تصفيتها.

إن هذه النظرة العدمية والتى ترى«**أن العالم لن يرضى عنا أو يرحمنا فى كل الأحوال**» كما قال الملا نور ثاقب هى التى تدفع دفعا باتجاه الصدام، لأنها تعتبره نوعا من تصديق للنبوءة التى ترقى إلى مرتبة الإيمان. وطالما أن الموضوع كله يقع فى دائرة الدين والاعتقاد، فإن الحركة الثورية، وهى فى هذه الحالة تحديدا طالبان، فأن طلب المعركة يصبح نوعا من السعى نحو «**الشهادة**» التى تعتبر المحك الرئيسى للحالة النضالية. هنا فإن «**السياسة**»و«**الدبلوماسية**» تصبح أدوات لامعنى لها، نوعا من «**الكلام**» الذى لاطائل منه، ويظهر ذلك كثيرا من موقف الحركات الإسلامية المختلفة من «**عملية السلام**» فى الشرق الأوسط حيث تبدو دوما وكأنها نوع من التغطية المستترة للإستسلام. وفى حالة أفغانستان كان ذلك موجودا من حركة طالبان منذ تداعت الحوادث التالية للحادى عشر من سبتمبر حينما لم ترفض فقط تسليم المشتبه فيه أسامة بن لادن وصحبه، بل أنها بدت غير مكترثة تماما للتحالف الدولى، والإقليمى أيضا. الذى يتجمع ضدها.

هنا فإن هذه النوعية من جند الله تذهب بإصرار شديد ليس فقط إلى المعركة الغلط، بل أيضا إلى التى كان يمكن تجنبها. فالنوعية الأصولية التى مثلتها طالبان لم تكن تشغل بال أحد فى العالم، بل ربما نظر العالم

لها باستحسان لأنها وفرت قدرا من الاستقرار لأفغانستان. وبشكل ما لم يكن ذات العالم ينظر بالقبول إلى المناوئين لهم من المجاهدين نظرا للتجربة بالغة السوء التى قدموها من قبل وأدت إلى حرب أهلية طاحنة بين الفرق والشيع المختلفة. ولكن طالبان لم يكن بإمكانها الإحساس بالقبول العالمى، بل ولم تجد مشكلة فى أن تكون المأوى ليس فقط لشبكة القاعدة، بل لكل المناضلين فى العالم الذى طالما أنه سوف يقف ضدها فى كل الأحوال، فإنه من الطبيعى التحالف مع كل من يقف ضده من المجاهدين والمكافحين بل وحتى المغامرين من الأمريكيين والأستراليين والفرنسيين.

إن هذه الحالة من القدرية المذهلة فى الاستسلام لفكرة الصراع مع العالم، والغرب تحديدا، لاتجعله حتميا فقط بل تجعله أيضا ضرورة لمصداقية حركة طالبان أو من شابهها من حركات. وفى كثير من الأحيان فإن هذا الصراع يصير جوهر عمليات المزايدة بين أقطابها إلى الدرجة التى تضيع معها كل القضايا «**الصح**» الأخرى. وهنا يعطينا الأستاذ فهمى هويدى صورة من قريب لهذه الحالة عندما ينقل لنا ذلك الحوار الذى دار بين أعضاء من حركة طالبان والوفد الإسلامى الذى ذهب لإنقاذ التماثيل البوذية قبل حضور علماء الحركة وأمير المؤمنين. فقد فوجئ الوفد بمن قال لهم أن عليهم القول للملا عمر عندما يحضر - وهو ما لم يحدث - أن الإسلام ليس أفغانستان فقط، ولا هو الفقه الحنفي فقط، ولا المحكمة الشرعية فى كابول وحدها. وقالوا أيضا ليتكم تقترحون عليه أن يوسع دائرة التشاور مع علماء العالم الإسلامى، ويعمل علي «**تطوير مناهج التعليم، لأن ذلك سيساعد كثيرا فى تخريج أجيال مدركة لحقائق الدين والدنيا معا**». وأخيرا قالوا «**ليتكم تحدثون أمير المؤمنين أيضا فى ضرورة التواصل مع الإعلام فى العالم، لأن الإعلام عندنا ضعيف وفاشل؛ ولذلك افترسنا الاخرون وشوهوا صورتنا**».

كان الذهاب للمعركة «**الغلط**» حتميا لأنه لم يكن ممكنا طرح القضايا «**الصح**»، وكان الجمع الطالبانى فى حاجة إلى وفد من العلماء القادمين فى مهمة لكى يطلبوا منهم طرح الموضوع. ولم تكن طالبان استثناء من الحركات الثورية والجهادية فى العالم العربي والإسلامى، ففيها جميعا سوف نجد فيها هذه الصورة ليس فقط من غياب الحرية، بل وحتى غياب قدرة أعضاء الحركة والمناضلين فيها علي طرح القضايا الصحيحة. ولم يكن يغير من الأمر شيئا لقاء وفد العلماء الأجلاء بالملا عمر الذى وقر فى ذهنه أن العالم يعاديه بما فيه هؤلاء العلماء، وأن القضية مع العالم ليست المحاجاة، أو التواصل السياسي والفقهى، وإنما هى القتال والنضال حتى تصل الأمور إلى ما وصلت إليه. ولكن الاعتقاد فى عدوانية العالم ليس وحده الذى يقود إلى المعركة «**الغلط**»، وإنما هناك دواع أخرى لا تقل أهمية!!



قائمة

أصدارات

الملفات

مركز الاهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

ؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - الرقم البريدي ١١٥١١ تليفون : ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠ - ٥٧٨٦٣٠٠ - ٥٧٨٦٤٠٠ - تلكس ٩٣٠٠٢ فاكس : ٥٧٨٦٤٤٣

قائمة الملفات الوثائقية المتاحة

الكود	أسم الملف	الفترة الزمنية	عدد الاجزاء	عدد الصفحات	السعر بالجنيه
١	البيئة	١ يناير ١٩٩٠ الى ٣١ مارس ١٩٩٠	١	١٨٧	١٤٠
		١ ابريل ١٩٩٥ الى ٢٨ يونيو ١٩٩٠	١	٣٠٠	٢٢٥
		٤ يناير ١٩٩٩ الى ٢٥ سبتمبر ٢٠٠٠	١	١٩٦	١٤٧
٢	الاحزاب المصرية	٢ أكتوبر ١٩٩٩ الى ٢٤ يناير ٢٠٠١	١	١٠١	٧٦
٣	المعاهدة النووية	١١ ابريل ١٩٩٥ الى ٢٠ نوفمبر ١٩٩٥	١	١٩١	١٤٣
٤	الالغام فى مصر	٩ فبراير ٢٠٠٠ الى ٣ ابريل ٢٠٠١	١	٥٦	٤٢
٥	الجات	١٤ مايو ١٩٦٣ الى ٢٥ يوليو ١٩٩٤	١	٢٦٥	١٩٩
		١٢ أغسطس ١٩٩٤ الى ١٣ نوفمبر ١٩٩٥	١	٢٣٤	١٧٧
		١ فبراير ١٩٩٠ الى ٢٨ أغسطس ٢٠٠١	١	٩٨	٧٤
٦	الصحافة الصفراء	١٩ يوليو ٢٠٠١ الى ٢٤ يونيو ٢٠٠١	١	١٥١	١١٣
		٢٤ يونيو ٢٠٠١ الى ٢٨ سبتمبر ٢٠٠١	١	١٤٧	١١٠
٧	حرب ١٩٦٧	١٧ مايو ١٩٦٧ الى ١٩ يوليو ١٩٨٧	١	١٦٩	١٢٧
٨	حرب ١٩٥٦	٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ الى ٢١ يوليو ١٩٩٥	١	٧٩	٥٩
٩	الخصخصة	٣١ أكتوبر ١٩٩١ الى ٢٢ يوليو ١٩٩٦	١	٣٢٢	٢٤٢
		٤ فبراير ١٩٩٧ الى ٢٩ يوليو ٢٠٠١	١	٢٤٣	١٨٢
١٠	مؤتمر قمه جنوه ومناهضو العولمة	١٤ يوليو ٢٠٠١ الى ١٢ سبتمبر ٢٠٠١	١	١٢١	٩١
١١	ديون مصر	٥ مارس ١٩٩٠ الى ٢٢ ديسمبر ١٩٩٠	١	٢٤٠	١٨٠
			١	٢٦٨	٢٠١
١٥	الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الصغرى	٢٥ محرم ١٤١٢ الى ١ ذو الحجة ١٤١٣	١	٢٢٤	١٦٨
			١	١٩٧	١٤٨
			١	١٤٧	١١٠
١٨	الجمعيات الأهلية فى مصر	٣٠ يناير ١٩٩٩ الى ٣ ديسمبر ٢٠٠٠	١	١٤١	١٠٦

الكود	أسم الملف	الفترة الزمنية	عدد الاجزاء	عدد الصفحات	السعر بالجنيه
١٩	الاقليات الاسلامية	٢٦ ربيع الثانى ١٣٩٢ الى ٥ جمادى الأول ١٤١٣	١	٢٨١	٢١١
		١ جمادى الأول ١٣٩٣ الى ٢٩ جمادى الأول ١٤١٣	١	٢٥٠	١٨٨
		١ صفر ١٣١٩ الى ٢٨ ربيع الأول ١٤١٣	١	١٧٨	١٣٤
		١ جمادى الأول ١٣٩٣ الى ١٧ ربيع الثانى ١٤١٣	٢	٣٩٤	٢٩٦
		٧ ربيع الثانى ١٣٧٨ الى ٥ جمادى الأول ١٤١٣	٢	٤٥٧	٣٤٣
٣١	البترول والطاقة	٦ سبتمبر ١٩٩٨ الى ٢٧ سبتمبر ٢٠٠٠	١	١٤٩	١١٢
٣٢	صراع المياه فى المنطقة العربية الجزء الأول	١٢ أكتوبر ١٩٤٤ الى ٣ أكتوبر ١٩٨٩	١	٢٤٥	١٨٤
	صراع المياه فى المنطقة العربية الجزء الثانى	يناير ١٩٩٠ الى مايو ١٩٩١	١	٢٥٨	١٩٤
٣٥	مكتبة الاسكندرية	٢١ يناير ١٩٢٤ الى ٢٨ أغسطس ١٩٩٨	١	٢٣٤	١٧٦
٣٨	النظام العالمى الجديد	٣ مارس ١٩٩١ الى ٦ سبتمبر ١٩٩٢	١	٢٣٠	١٧٣
		٢ أكتوبر ١٩٩٢ الى ١٦ يناير ١٩٩٣	١	٤٠	٣٠
٤٥	التيار الاسلامى المعتدل ١	٤ أغسطس ١٩٩٠ الى ١٠ سبتمبر ١٩٩٠	١	١٨٠	١٣٥
	التيار الاسلامى المعتدل ٢	١٠ سبتمبر ١٩٩٠ الى ٣٠ سبتمبر ١٩٩٠	١	١٧٩	١٣٤
	التيار الاسلامى المعتدل ٣	١ أكتوبر ١٩٩٠ الى ٣١ ديسمبر ١٩٩٠	١	٢٢٢	١٦٧
	التيار الاسلامى المعتدل ٤	١ يناير ١٩٩١ الى ٢٩ يناير ١٩٩١	١	٢٠٥	١٥٤
	التيار الاسلامى المعتدل ٥	٢٩ يناير ١٩٩١ الى ١٤ فبراير ١٩٩١	١	١٧٩	١٣٤
	التيار الاسلامى المعتدل ٦	١٥ فبراير ١٩٩١ الى ٥ مارس ١٩٩١	١	١٩١	١٤٣
	التيار الاسلامى المعتدل ٧	٦ مارس ١٩٩١ الى ١٨ يوليو ١٩٩١	١	١٩١	١٤٣
٥٠	الصراع العربى الإسرائيلي	١ ابريل ١٩٨٨ الى ٣١ ديسمبر ١٩٨٨	١	٢٤٣	١٨٢
		١ يناير ١٩٨٩ الى ٢٢ ديسمبر ١٩٨٩	١	٢٥٩	١٩٤
٦١	الطفولة	٢٠ مارس ١٩٩٨ الى ٢٠ أغسطس ٢٠٠١	١	٢٢٣	١٦٧
٦٨	إتفاقية طابا	٥ سبتمبر ١٩٩٥ الى ١٣ أكتوبر ١٩٩٥	١	١٢٧	٩٥
٨٠	قمة كامب ديفيد الثانية	٢٨ يونيو ٢٠٠٠ الى ٢١ يوليو ٢٠٠٠	١	٢٣١	١٧٣
		٢١ يوليو ٢٠٠٠ الى ٣٠ يوليو ٢٠٠٠	١	٢١٧	١٦٣
		٣٠ يوليو ٢٠٠٠ الى ٢٣ سبتمبر ٢٠٠٠	١	١٩٤	١٤٦

الكود	أسم الملف	الفترة الزمنية	عدد الاجزاء	عدد الصفحات	السعر بالجنيه
٨٥	**الإرهاب**				
	٨٥/١/١ إغتيال رفعت المحجوب	١٣ أكتوبر ١٩٩٠ الى ٢٠ أغسطس ١٩٩٣	١	٢١٢	٣٢١
			١	٢١٦	
	٨٥/١/٢ إغتيال فرج فودة	٩ يونيو ١٩٩٢ الى ٢٧ فبراير ١٩٩٤	١	٦٤	٤٨
	٨٥/١/٣ إغتيال محمد حسين الذهبي	٤ يونيو ١٩٧٧ الى ٢٩ ديسمبر ١٩٧٧	١	٢٤٣	١٨٢
	٨٥/١/٤ إغتيال السادات	٧ أكتوبر ١٩٨١ الى ٦ أكتوبر ١٩٨٢	١	٢٦٩	٢٠٢
	٨٥/٢/١ محاولة إغتيال صفوت الشريف	٢١ ابريل ١٩٩٣ الى ٢٨ مايو ١٩٩٣	١	١٧٣	١٣٠
	٨٥/٢/٢ محاولة إغتيال زكي بدر	١٧ ديسمبر ١٩٨٩ الى ٢٨ ديسمبر ١٩٨٩	١	١٤	١١
	٨٥/٢/٣ محاولة إغتيال نجيب محفوظ	١٥ أكتوبر ١٩٩٤ الى ٢٠ مارس ١٩٩٥	١	١٢٧	٩٥
	٨٥/٢/٤ محاولة إغتيال حسني مبارك	٢٧ يونيو ١٩٩٥ الى ١٩ سبتمبر ١٩٩٩	١	٢٢٩	١٧٢
	٨٥/٢/٥ محاولة إغتيال حسن الألفي	١٩ أغسطس ١٩٩٣ الى ٢٣ أغسطس ١٩٩٤	١	١٢٨	٩٦
	٨٥/٢/٦ محاولة إغتيال مكرم محمد أحمد	٤ يونيو ١٩٨٧ الى ١١ يناير ١٩٨٩	١	٣٠	٢٣
	٨٥/٢/٧ محاولة إغتيال حسن ابوباشا	٦ مايو ١٩٨٧ الى ٩ يونيو ١٩٨٩	١	٣٢	٢٤
	٨٥/٢/٨ محاولة إغتيال عاطف صدقي	٢٦ فبراير ١٩٩٣ الى ٤ مايو ١٩٩٤	١	١١٢	٨٤
	٨٥/٢/٩ محاولة إغتيال نبوى إسماعيل	١٤ أغسطس ١٩٨٧ الى ٣١ أغسطس ١٩٨٧	١	٣٣	٢٥
	٨٥/٢/١٠ محاولة إغتيال جمال عبدالناصر	٢٧ أكتوبر ١٩٥٤ الى ١٨ ديسمبر ١٩٥٤	١	١١٢	٨٤
	٨٥/٣ التنظيمات الإرهابية	٥ فبراير ١٩٨٣ الى ٣٠ سبتمبر ١٩٩٤	١	٧٩	٥٩
	٨٥/٤ أحداث ارهابيه على مستوى المحافظات	٢٩ يوليو ١٩٨٥ الى ٣٠ ابريل ١٩٩٥	١	١٩٣	١٤٥
	٨٥/٥ التطرف الديني	١٤ سبتمبر ١٩٨١ الى ٤ يناير ١٩٨٩	١	٢١٩	١٦٤
	٨٥/٦ مكافحة الإرهاب	٢٣ أكتوبر ١٩٨١ الى ١٧ ابريل ١٩٨٨	١	٢٠٢	١٥٢
		١٨ ابريل ١٩٨٨ الى ٣١ ديسمبر ١٩٩٠	١	١٨٤	١٣٨
		١١ مايو ١٩٩٢ الى ٣٠ ديسمبر ١٩٩٢	١	١٣٩	١٠٤

الكود	أسم الملف	الفترة الزمنية	عدد الاجزاء	عدد الصفحات	السعر بالجنيه
	الإرهاب (تابع)				
	٧/٨٥ اعمال إرهابية " تفجير السفارة "	١١ يناير ١٩٩٣ الى ٢٥ نوفمبر ١٩٩٧	١	١٦٢	١٢٢
٩٧	القدس	١٩ ابريل ١٩٩٩ الى ١٣ ديسمبر ١٩٩٩	١	٢٧٩	٢١٠
		١٨ يناير ٢٠٠٠ الى ٣١ يوليو ٢٠٠٠	١	١٩١	١٤٣
		١ أغسطس ٢٠٠٠ الى ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٠	١	٢١٥	١٦١
٩٨	التوتر الحدودى بين الهند وباكستان	١٦ مايو ١٩٩٥ الى ١٤ ديسمبر ١٩٩٩	١	٢٣٢	١٧٤
١٠٥	اتفاقية واى ريفر ١	١٦ أكتوبر ١٩٩٨ الى ٦ أغسطس ١٩٩٩	١	٢٢٠	١٦٥
	اتفاقية واى ريفر ٢	٦ أغسطس ١٩٩٩ الى ٦ ديسمبر ١٩٩٩	١	٢١٤	١٥٩
١٣١	التجارة الالكترونية	١٩ أكتوبر ١٩٩٨ الى ٣١ أغسطس ٢٠٠١	١	١٤٨	١١١
١٣٣	الجماعات الاسلامية	٢٨ مايو ١٩٩٩ الى ٣ أكتوبر ٢٠٠٠	١	٨٠	٦٠
١٤٣	قمة شرم الشيخ	١١ أكتوبر ٢٠٠٠ الى ٢٠ يوليو ٢٠٠٠	١	١٤٤	١٠٨
١٥٥	المجلس القومى للمرأة	١٧ يناير ٢٠٠٠ الى ١٥ نوفمبر ٢٠٠٠	١	١٠٤	٧٨
١٥٩	حوار الأديان	١٩ يونيو ١٩٩٩ الى ١٢ أغسطس ٢٠٠١	١	١٠٣	٧٧
١٦٥	انتفاضة الأقصى	٣ أغسطس ٢٠٠٠ الى ٢٩ أغسطس ٢٠٠١	١	٢٢١	٣٣٠
			١	٢١٩	
١٧٥	**الهجوم على أمريكا**				
	١/١٧٥ الهجمات على مركز التجارة العالمى	من ١٢ سبتمبر ٢٠٠١ الى ٣٠ سبتمبر ٢٠٠١	١	١٧٣	١٣٠
	٢/١٧٥ تداعيات الهجوم على أمريكا – اجتماعية – عسكرية – سياسية – اقتصادية	من ١٢ سبتمبر ٢٠٠١ الى ٣٠ سبتمبر ٢٠٠١	١	٢٣٧	١٧٨
	٣/١٧٥ دوائر التحقيقات الجنائية	من ١٢ سبتمبر ٢٠٠١ الى ٣٠ سبتمبر ٢٠٠١	١	١٩٠	١٤٣
	٤/١٧٥ أحوال كيانات المجتمع الأمريكى	من ١٢ سبتمبر ٢٠٠١ الى ٣٠ سبتمبر ٢٠٠١	١	٩٦	٧٢
	١/٥/١٧٥ ردود افعال دول العالم	من ١٢ سبتمبر ٢٠٠١ الى ٣٠ سبتمبر ٢٠٠١	١	١٧٤	١٣١

الكود	أسم الملف	الفترة الزمنية	عدد الاجزاء	عدد الصفحات	السعر بالجنيه
	الهجوم على أمريكا (تابع)				
	٢/٥/١٧٥ ردود افعال دوّل العالم	من ١٢ سبتمبر ٢٠٠١ الى ٣٠ سبتمبر ٢٠٠١	١	١٨٣	١٣٧
	١/٦/١٧٥ أراء واتجاهات وتحليلات – شخصيات حرف الألف	من ١٢ سبتمبر ٢٠٠١ الى ٣٠ سبتمبر ٢٠٠١	١	٢٤٢	١٨٢
	٢/٦/١٧٥ أراء واتجاهات وتحليلات – شخصيات من حرف الباء الى حرف السين	من ١٢ سبتمبر ٢٠٠١ الى ٣٠ سبتمبر ٢٠٠١	١	٢٢٢	١٦٧
	٣/٦/١٧٥ أراء واتجاهات وتحليلات – شخصيات حرف السين وحرف الغين	من ١٢ سبتمبر ٢٠٠١ الى ٣٠ سبتمبر ٢٠٠١	١	١٣١	٩٨
	٤/٦/١٧٥ أراء واتجاهات وتحليلات – شخصيات حرف الميم	من ١٢ سبتمبر ٢٠٠١ الى ٣٠ سبتمبر ٢٠٠١	١	٢١١	١٥٨
	٥/٦/١٧٥ أراء واتجاهات وتحليلات – شخصيات حروف من الصاد الى الياء	من ١٢ سبتمبر ٢٠٠١ الى ٣٠ سبتمبر ٢٠٠١	١	١٣٥	١٠١
١٧٦	مؤتمر ديربان	٢ أغسطس ٢٠٠١ الى ١٥ سبتمبر ٢٠٠١	٢	٣٩٦	٢٩٧
١٧٧	الأفغان العرب	٢٨ يناير ١٩٩٣ الى ٢٨ يونيو ١٩٩٣	١	٧١	٥٣
		١٨ سبتمبر ٢٠٠١ الى ٢ ديسمبر ٢٠٠١	١	١٦٦	١٢٥
١٧٨	صراع الحضارات	٣ سبتمبر ٢٠٠١ الى ٩ أكتوبر ٢٠٠١	١	١٧٧	١٣٣
		١٠ أكتوبر ٢٠٠١ الى ٣٠ أكتوبر ٢٠٠١	١	٢١٧	١٦٣

" الشخصيات "

الكود	أسم الملف	الفترة الزمنية	عدد الاجزاء	عدد الصفحات	السعر بالجنيه
١٤	الملك سعود بن عبدالعزيز وجهوده	١٥ نوفمبر ١٩٤٧ الى ٢٨ مارس ١٩٦٧	١	٦٤	٤٨
٤٠	أسامة بن لادن ١	٢٦ أغسطس ١٩٩٨ الى ٢٧ أغسطس ٢٠٠١	١	٢٦٨	٢٠١
٤١	د . أحمد زويل	٢ يناير ١٩٩٩ الى ٣٠ ديسمبر ١٩٩٩	١	١٧٩	١٣٤
٥١	الارهابى عمر عبدالرحمن	٨ ابريل ١٩٨٩ الى ١٩ يناير ١٩٩٦	١	١٦٧	١٢٥
٥٢	انجازات مبارك	٥ أكتوبر ٢٠٠١ الى ٣٠ أكتوبر ٢٠٠١	١	٢٣٦	١٧٧
٥٣	الملك فهد بن عبدالعزيز	٩ ديسمبر ١٩٩٥ الى ١٦ فبراير ٢٠٠٢	١	١٥٠	١١٣
٥٤	قداسة البابا كيرلس السادس (١)	٢٥ ابريل ١٩٥٩ الى ٢٤ ديسمبر ١٩٦٦	١	١٤٨	١١١
	قداسة البابا كيرلس السادس (٢)	١ يناير ١٩٦٧ الى ١٨ يوليو ٢٠٠١	١	١٢٦	٩٥

ملحوظة هامة : -

هذه الأسعار لاتشمل تكلفة الشحن والتآمين فى حالة إرسال الملفات خارج القاهرة .



* قريبـــا !!

موضوعات جديدة

(ملفات تحت الإعداد والتجهيز)

- دول محور الشر
  العراق / إيران / كوريا الشمالية
- الهجوم على امريكا
  - ملف فرعى جديد
  توجيهات السياسات الخارجية الامريكية
  بعد احداث ١١ سبتمبر 2001
- العمليات الاستشهادية فى الارض المحتلة
- عولمة الحرب على الأرهاب
- مؤتمر القمة العربية – بيروت – مارس – 2002
- المبادرة السعودية لاحلال السلام فى الشرق الأوسط .
- الجمرة الخبيثة
- الحرب ضد أفغانستان
- حركة طالبان - أفغانستان
- ايمن الظواهرى
- تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والحاسبات
- الحكومة أو الإدارة الألكترونية
- انتفاضة الاقصى الثانية
- حصار الرئيس عرفات
- الهجوم على مخيم جنين

7 – لمزيد من المعلومات يمكنكم الاتصال

بـــ مؤسسة الأهرام – مركز التنظيم وتكنولوجيا المعلومات

شارع الجلاء – الرقم البريدى **11511**

أو فاكس رقم **002025786443**

e.mail. microfilm @ ahram . orc . eg

أو الاتصال التليفونى المباشر **7704619**

مركز الاهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات





السيد / مدير مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

بعد التحية والاحترام

الموضوع : طلب توريد ملفات وثائقية

رجاء التكرم باتخاذ اللازم بتزويدنا بالاصدارات التالية من الملفات الوثائقية .

١ - إختيار كود الملف المطلوب:

15	14	13	12	11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1
30	29	28	27	26	25	24	23	22	21	20	19	18	17	16
45	44	43	42	41	40	39	38	37	36	35	34	33	32	31
60	59	58	57	56	55	54	53	52	51	50	49	48	47	46
75	74	73	72	71	70	69	68	67	66	65	64	63	62	61
90	89	88	87	86	85	84	83	82	81	80	79	78	77	76
105	104	103	102	101	100	99	98	97	96	95	94	93	92	91
120	119	118	117	116	115	114	113	112	111	110	109	108	107	106
135	134	133	132	131	130	129	128	127	126	125	124	123	122	121
150	149	148	147	146	145	144	143	142	141	140	139	138	137	136
165	164	163	162	161	160	159	158	157	156	155	154	153	152	151
180	179	178	177	176	175	174	173	172	171	170	169	168	167	166

٢ - عدد النسخ المطلوبة :

١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١

٣ - شكل الوعاء المطلوب للملف :

افلام ملفوفه ١٦ مم	ملف ميكروفيلمى	C.D ملف الكترونى	ملف ورقى
ميكروفيش			

٤ - اسلوب السداد :

شيك مصرفى	نقدا

نوع العملة

دولار	مصرى

٥ - بيانات الجهة الطالبة :

١ - اسم الجهـــة : ....

٢ - العنـــوان: ....

٣ - تليفـــون : ....

٤ - نشاط الجهـــة : .... فاكس : ....

....

....

....

٦- موضوعات مقترحة : ....

....

مع تحياتي

المدير المسئول

التاريخ / /2002

مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - الرقم البريدي ١١٥١١ تليفون : ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠ - ٥٧٨٦٣٠٠ - ٥٧٨٦٤٠٠ - تلكس ٩٣٠٠٢ فاكس : ٥٧٨٦٤٤٣